

كتاب الحَيَوَانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بكير الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وإشراف

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثمة — في

جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْخَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ ٢
نسباً ، وبين الصديق مَبْياً ، وَجَبَّ إِلَيْكَ التَّثَبُّتُ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حِلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ ^(١) وطرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،
وما في الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أَصُوبَ في أَمْرِكَ ، وَأَدْلَى عَلَى
مِقْدَارِ وَزْنِكَ ، وَعَلَى الْحَالِ الَّتِي وَضَعْتَ نَفْسَكَ فِيهَا ، وَوَسَّمتَ عَرْضَكَ
بِهَا ، وَرَضِيَتْهَا لَدِينِكَ حِطًّا ^(٢) ، وَلَمَرَوْعَتِكَ شِكْلًا ، [فَقَدْ انْتَهَى إِلَى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلَكَ عَلَيْهِ ، وَطَعَنُكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقَّصَكَ
لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِّيكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ
الْمَكْلَبِ وَمُضَارَّةِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجَمْعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبِعِهِ
وَنُظْمِهِ ، وَمَنْ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمَ فِيهِمَا . ثُمَّ عَيْتَنِي بِكِتَابِ حِيلِ
الْأَلْصُوصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعَيْتَنِي بِكِتَابِ الْمُلْحِ وَالطُّرْفِ ،
وَمَا حَرَّ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرْدِ ، وَمَا عَادَ بَارِدُهُ ^(٣) حَارًّا لِقَرْطِ بَرْدِهِ حَتَّى

(١) في ط : « البر واليقين » . وما أثبتته في ل ، ١٠ س وهو الصواب .

(٢) كذا في ل ، ١٠ س وهو تصحيح ما في ط « ورضيتها لعرضك حطاً » .

(٣) في ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبئني بكتابِ احتجاجاتِ البخلاءِ ، ومناقضَتِهِمَ للسُّمَّاءِ ، والقولِ في الفرقِ بين الصدقِ ^(١) [إذا كان ضارًّا في العاجلِ ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجلِ ، ولمْ جُعِلَ الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقُ بين الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ، وبين الإفراطِ في الحميةِ والأنفةِ ، وبين التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ الاكتراثِ لسوءِ ^(٢) القالةِ ؛ وهل الغيرةُ اكتسابٌ وعادة ، أم بعضُ ما يعرض من جهةِ الديانةِ ، ولبعضِ التزُّيدِ فيه والتحسُّنِ به ، أو يكونُ ذلك في طباعِ الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانت العقولُ سليمةً ، والآفاتُ منفيةً ^(٣) والأخلاقُ معتدلةً .

وعبئني بكتابِ الصُّرَحَاءِ والهَجَنَاءِ ، ومفاخرةِ السُّودانِ والحرمانِ ، وموازنَةِ ما بين حقِّ الخثولةِ والعمومةِ ؛ وعبئني بكتابِ الزرعِ والنخلِ والزيتونِ والأعنانِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛ وبكتابِ فضلِ ما بين الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بين الذكورِ والإناثِ ، وفي أيِّ موضعٍ يغلبُ ويفضَّلُ ، وفي أيِّ موضعٍ يكنُّ المغلوباتِ والمفضولاتِ ، ونصيبِ أيِّهما في الولدِ أوفرَ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأيَّ عملٍ هو بينَ أليقَ ، وأيِّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغَ .

وعبئني بكتابِ القحطانيَّةِ و [كتابِ] العدنانيَّةِ في الردِّ على

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) في ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال في القاموس « ما أكثرَ له : مأبال به » وقال الزبيدي : الأصل فيه ألا يستعمل إلا في النفي وشذ ، استعماله في الإثبات .

(٣) هذا ما في ل . وفي ط : « منفية » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمت أني تجاوزت فيه حدَّ الحمية إلى حدَّ العصية ،
وأني لم أصل^(١) إلى تفضيل العدنانية إلا بتقص^(٢) القحطانية . وعبني^٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بخست الموالي حقوقهم ، كما أني أعطيت
العرب ما ليس لهم . وعبني بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول
في فرق ما بين العرب والعجم ، هو القول في فرق ما بين الموالي والعرب ،
ونسبني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المعاد من
الخطأ ، وحمل الناس المؤن .

وعبني بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إياها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبادة البدة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديانين إلفاً لما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبّدوا له^(٦) ،
وأظهرهم جدّاً ، وأشدّهم على من خالفهم ضغنًا ، وبما دانوا ضينًا^(٧) ،
وما الفرق بين البُدِّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) في ط : « بتقص » والمثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتقصه :
يقع فيه ويذمه » .

(٣) في ط : « العلة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « عبادة البدة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبدة : جمع بد
- بضم الباء - وهو الصنم ، « عرب » بت ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) في ل : « أشد الناس إلفاً لما دانوا به » .

(٦) في ط : « وشغفا لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشيء إذا
علق قلبه به .

(٧) في ل : « صباية وعجبا » .

الدُّمِيَّة والجُنَّة ، وَلَمْ صَوَّرُوا فِي مَحَارِبِهِمْ وَبُيُوتِ عِبَادَتِهِمْ ، صَوَّرَ عِظَامَهُمْ وَرِجَالَهُ دَعْوَتَهُمْ ، وَلَمْ تَأْتِنُقُوا فِي التَّصْوِيرِ ، وَتَجَوَّدُوا^(١) فِي إِقَامَةِ التَّرَكِيبِ ، وَبَالِغُوا فِي التَّحْسِينِ وَالتَّضَخُّيمِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ أَوَّلِيَّةُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ ، وَكَيْفَ اقْتَرَفْتَ تِلْكَ النُّحْلَ ، وَمِنْ أَىِّ شَكْلِ كَانَتْ خُدْعُ تِلْكَ السَّدَنَةِ ، وَكَيْفَ لَمْ يَزَالُوا أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ عِدْداً ، وَكَيْفَ شَمِلَ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ الْأَجْنَاسَ الْمُخْتَلِفَةَ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ الْمَعَادِنِ ، وَالْقَوْلِ فِي جَوَاهِرِ الْأَرْضِ ، وَفِي اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْفَلِيزِ وَالْإِنْخِبَارِ عَنْ ذَاتِهَا وَجَامِدِهَا ، وَمَخْلُوقِهَا وَمَصْنُوعِهَا ، وَكَيْفَ يَسْرِعُ الْإِنْتِقَالُ إِلَى بَعْضِهَا ، وَيُبْطِئُ عَنْ بَعْضِهَا ؛ وَكَيْفَ صَارَ بَعْضُ الْأَلْوَانِ يَصْبُغُ وَلَا يَنْصَبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَنْصَبُغُ وَلَا يَصْبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَصْبُغُ وَيَنْصَبُغُ ، وَمَا الْقَوْلُ فِي الْإِكْسِيرِ وَالتَّلْطِيفِ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ هَاشِمٍ وَعَبْدِ شَمْسٍ ، وَكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ ، وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَعْرِفَةِ الْمُهْدَدِ وَاسْتَطَاعَةِ الْعَفْرِيتِ^(٢) ، وَفِي الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ السِّكِّتَابِ ، وَمَا ذَلِكَ الْعِلْمُ^(٣) ، وَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِمْ : كَانَ [عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ]

(١) فِي ط : « تَجَرَّدُوا » بِالرَّاءِ . وَصَوَابُهُ مَا فِي ل . وَتَجَوَّدُ : فَعْلٌ الْجِدِّ .

(٢) فِي ط : « وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي اسْتِيْلَاءِ الْغَفْرِيتِ عَلَى سَلِيمَانَ وَفِي الْمُهْدَدِ » ، وَهُوَ كَلَامٌ مَشْهُوَ بِحَرْفٍ وَضَعْتَ بَدْلَهُ مَا فِي ل . وَمَعْرِفَةُ الْمُهْدَدِ هِيَ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِآيَةِ « وَجَنَّتْكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًّا يَقِينٌ » . وَأَمَّا اسْتَطَاعَةُ الْغَفْرِيتِ فَهُوَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « قَالَ غَفْرِيتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَتَيْتُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ » . يَعْنِي عَرْشَ بَلْقَيْسَ .

(٣) فِي ط : « وَمَا الَّذِي هُوَ ذَلِكَ الْعِلْمُ » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ فِي ل .

وعبّنتي بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القول في الأرزاق والإنفاقات
 [وكيف أسباب التثمير والترقيح ^(١)] ، وكيف يَجْتَلِبُ ^(٢) التجار الحُرَفَاءَ ،
 وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذي يوجب
 لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غش
 الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد مستروا وكشف
 ما مؤهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنتي برسائلي [
 وبكل ما كتبت] به [إلى إخواني وخُلَطَائِي ، من مَزَحٍ وجَدِّ ، ومن إفصاح
 وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح
 لا يزال أثره نامياً ؛ ومن مُلَحّ تضحك ، ومواعظ تُبكي .

٤

وعبّنتي برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ،
 وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهارى لها في أتم حلية . وزعمت أنّي
 قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال في
 التشييع والاقتصاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أنّ مقالة
 الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
 وزعمت أنّ في أصل القضية والذي جرّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأوَّله
 صغير ، وأنَّ كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول
 الراجز ^(٥) :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) في ط : « تجرد » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « خطبة مقالة الرافضة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما في ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز في المحاسن والأعصاد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ

وَسُحْقُ النَخْلِ مِنْ الْقَسِيلِ

وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ

وَقُلْتُ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٢) :

فَاعْلَمْ بُيَّيْ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعِلْمُ

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَبِيجُ لَهُ الْعَظِيمُ

وَقُلْتُ : وَقَالَ الْآخَرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ رَبِّ جِدِّ سَاقِهِ اللَّعْبُ

وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الْآخَرِ (٣) :

مَا تَنْتَظِرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فَيْكُمْ تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبٌ (٤)

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظِلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبِّبُ

وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدِيكَرَبَ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولده ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عترة » ، وعبارة « وهو قول عترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل . مينة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد ميثاقان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما انقسم أعمامه المال ظلّموا أمه . . ما تنتظرون : أي تنتظرون .

جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ آتَفَ^(١) قَوْمِهِ بَنِي مَازَنَ أَنْ سَبَّ رَاعِيَ الْمُحَزَّمِ^(٢)

وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَارِحُ

وَنَقُولُ [الْعَرَبُ] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَلَا تُلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً »^(٤) .

وَعَبَّ كِتَابِي فِي خُلُقِ الْقُرْآنِ ، كَمَا عَبَّ كِتَابِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَشَبَّهِةِ

وَعَبَّتْ [كِتَابِي] فِي الْقَوْلِ فِي أَصُولِ الْفَتَا وَالْأَحْكَامِ ، كَمَا عَبَّ كِتَابِي هـ

فِي الْإِحْتِجَاجِ لِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ وَبَدِيعِ تَرْكِيبِهِ . وَعَبَّتْ مُعَارَضَتِي

لِلزَيْدِيَّةِ وَتَفْضِيلِي^(٥) الْإِعْتَزَالَ عَلَى كُلِّ نَحْلَةٍ ، كَمَا عَبَّ كِتَابِي فِي الْوَعْدِ

وَالْوَعِيدِ ، وَكِتَابِي عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ^(٦) ثُمَّ عَبَّتْ جَمْلَةَ كِتَابِي فِي الْمَعْرِفَةِ

وَالْتَمَسْتُ تَهْجِينَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ، وَصَغَّرْتُ مِنْ شَأْنِهَا ، وَحَطَّطْتُ مِنْ قَدْرِهَا ،

وَاعْتَرَضْتُ عَلَى نَاسِخِهَا وَالْمُنْتَفِعِينَ بِهَا ، فَعَبَّتْ كِتَابَ الْجَوَابَاتِ ، وَكِتَابَ

الْمَسَائِلِ ، وَكِتَابَ أَصْحَابِ الْإِلَهَامِ ، وَكِتَابَ الْحُجَّةِ فِي تَثْبِيثِ النُّبُوَّةِ ،

وَكِتَابَ الْأَخْبَارِ ، ثُمَّ عَبَّتْ إِنْكَارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وَبَصِيرَةِ كُلِّ

جَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ ، وَتَفْرِيقِي بَيْنَ اعْتِرَاضِ الْغُمَرِ^(٧) ، وَبَيْنَ اسْتِبْصَارِ الْحَقِّ ، وَعَبَّتْ .

(١) فِي ط : « آتَفَ » وَأَثْبِتَ مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَأَنْفَ يَجْمَعُ عَلَى أَنْوَفَ .

وَأَنْفَ وَأَنْوَفَ .

(٢) فِي ط ، ل ، س ، ١٠ س : « الْمُحَزَّمِ » بِالْخَاءِ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْخُزَانَةِ

بِقِسْمِ الْبَغْدَادِيِّ ٣ : ٧٧ . وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ سِتَّةِ رَوَاهَا الْبَغْدَادِيُّ وَذَكَرَ لَهَا قِصَّةَ طَوِيلَةَ طَرِيقَةٍ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَاشِمٍ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْإِتْبَاقِ ٣ : ١٩٨ .

(٤) فِي ط : « حَيَّةٍ » وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفُ طَبَعٍ .

(٥) فِي ط : « تَفْضِيلٍ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٦) فِي ط : « النَّصْرَانِي وَالْيَهُودِي » وَأَثْبِتَ مَا فِي ل .

(٧) هَذَا مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَفِي ط « الْقَمَرِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْغُمَرُ :

الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ^(١) ، وكتاب الفرق ما بين النّبىّ والمنبىّ ، والفرق ما بين الحبل والخارق ^(٢) ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة ^(٣) . ثمّ قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير لقدره والتّهجين لنظمه ، والاعتراض ^(٤) على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزريت على نخبه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في الغرض الذى إليه نزعتنا ، والغاية التى إليها قصدنا ^(٥) . على أنّه كتابٌ معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى ^(٦) ، ويحتاجُ إليه الرّيس كما يحتاجُ إليه الحاذق : أما الرّيس فللتعلّم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبة وطبقاتُ معانيه منزلة . وأما الحاذقُ فللكفاية المؤنة ؛ لأنّ كلّ من التقط كتاباً جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرّضه لمطاعن البغاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضِه عقله المسكودّ على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفّر بمثله صاحبُ علم ، أو هجمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافِه ، ونشيطُ جامٍ ،

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ ، ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « الخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابها مافى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغراض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا مافى ل . وفى ط : « كما يحتاجُ إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مَوْوَنَةً جمعه وخزنيه ، وطلبه وتبعه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستفاد العمر وفلَّ الحدَّ ، وأدرك أقصى حاجته وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنَّ له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأمم ، وتنشأ به العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عربيًّا أعرايًّا ، وإسلاميًّا جماعياً ، فقد أخذَ من طُرفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعلمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وجدان الحاسة ، وإحساس الغريزة . ويشبهه الفُتَيَّان كما تشبهه الشيُوخ ، ويشبهه الفاتِكُ كما يشبهه الناسِكُ ، ويشبهه اللاعبُ ذو اللُّهُو كما يشبهه المَجدُّ (١) ذو الحَزْم ، ويشبهه الغُفْلُ كما يشبهه الأريب ، ويشبهه الغبيُّ كما يشبهه الفَطَن .

وعبَّئِي بحكاية قولِ العُثمانيَّة (٢) والضَّرَّارية ، وأنتِ تسمعين (٣) أقول في أوَّل كتابي : وقالت العُثمانيَّة والضَّرَّاريَّة ، كما سمعتني أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ عليَّ بالنصب لحسكايتي [قول العُثمانيَّة] ، فهلاًَّ حكمتَ عليَّ بالتشيع لحسكايتي [قول الرافضة] !! وهلا كنتُ عندك من الغالية لحسكايتي حجج الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصبة لحسكايتي قولَ الناصبة !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيَّة والصفُوريَّة ، كما حكينا قولَ الأزارقة والزيدية . وعلى

(١) في ل : « الجدى » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُثمانيَّة » ، وكلمة « سر » هذه لا وجود لها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعتني » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَتْ الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، وعمولٌ عليها . والأَكْثَرُ عندك من الخارجية ، كما صرنا عندك من الضَّرَّارِيَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رَضِيتَ بأن تكون أَسْرَعَ من الشيعة ، أَسْرَعَ إلى أعراض الناس من الخارجية^(١) ، اللهم إلا أن تكون وجدتَ حكايتي عن العُمَانِيَّةِ والضَّرَّارِيَّةِ أشيعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم] ، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتني قد وهنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قُوِّيتُ باطل أعدائك ؛ ! ولو كان ذلك كذلك ، لساكن شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ما ادعيت واضحاً] .

وعبّنتي بكتاب العباسية ، فهلاً عبّنتي بحكاية مقالة من أبي وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ النَّاسِ سُدىً بلا قيمٍ أردُّ عليهم ، وهماً بلا راعٍ أريحُ لهم ، وأجلدُ أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نَشْراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المفساد ، وأجمعُ لهم على المرشد !! بل ليس ذلك بك ، ولسكنه بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبطرك ، فلم تشجّه للحجة وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية^(٢) ، ولم تعرف باب الخرج إذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد .

رأيت أن سبَّ الأولياء أشقى لدائك ، وأبلغ في شفاء سقمك ، ورأيت أن إرسالَ اللسان أحضرَّ لذَّةً ، وأبعدُ من التَّصَبُّبِ ، ومن إطالة الفسكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رَضِيتَ بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارة » .

(٢) في ط : « وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقابل وهي لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنتَ لعجزك ، [و^(١)] وصَلْتَ تَقْصَكَ بِتَامٍ غَيْرِكَ ،
واستَكْفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةٍ مثلك ، وحَيَّسْتُ على تقويمِ أشباهك ٧
كان ذلكَ أَزِيناً في العاجِلِ ، وأَحَقَّ بالْمُثَوِّبَةِ في الآجِلِ ، وكنتَ إِنْ
أخطأتَكَ الغَنِيمةُ لم تُحْطِكِ السَّلامَةَ ، وقد سَلِمَ عَلَيْكَ المَخَالِفُ بِقَدْرِ ما ابْتُلِيَ
[به] مِنْكَ المَوَافِقُ . وعلى أَنَّهُ لم يُبْتَلِ مِنْكَ إِلَّا بِقَدْرِ ما أَلْزَمْتَهُ من مُؤَنِّقٍ
تَثْقِيقِكَ ، والتَّشَاغُلِ بِتَقْوِيمِكَ . وهل كُنتَ في ذلكَ إِلَّا كما قالَ العَرَبِيُّ :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الْكَلَابِ » .

والإِلا كما قالَ الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)
وهل جَالَتْنَا في ذلكَ إِلَّا كما قالَ الشاعر^(٣) :

مَاضِرٌ تَغْلِبَ وَائِلٌ أَهْجَوْنَهَا أَمْ بُلْتُ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ
وكما قالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٤) :

مَا أَبَالِي أَنْبًى بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ كَلَّافِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيمٌ
وما أَشْكُ أَنَّكَ قد جعلتَ طُولَ إِعْرَاضِنَا عَنْكَ مَطِيَّةً لَكَ ، وَوَجَّهْتَ حِلْمَنَا
عَنْكَ إِلَى الخَوْفِ مِنْكَ ، وقد قالَ زُفَرٌ بْنُ الْخَارِثِ لِبَعْضِ مَنْ لم يَرِ حَقَّ
الْصَّفْحِ ، فَجَعَلَ العَفْوَ سَبِيلاً إِلَى سَوْءِ الْقَوْلِ :

(١) زيادةٌ ضروريةٌ لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضر » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزاعة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنَّ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مَسْنُونٌ^(١) الْغَرَارَيْنِ أَزْرَقَا
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلَى وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرِقَا^(٢)

وقال الأول :

وَضَعَانٍ دَاوَيْتُهَا بِضَعَانٍ حَتَّى شَقَيْتُ وَبِالْحَقُّودِ حُقُودَا
وقال الآخر :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلٍ وَقَلَّ جُهَالًا بِجُهَالٍ^(٣)
فَاقْعَسْ إِذَا حَدِبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا وَوَاظِرِ الشَّرَّ مَثْقَلًا بِمَثْقَالٍ
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضُهُ هَؤُلَاءِ الشَّرَّ
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ ، وَالْحَقْدُ بِالْحَقْدِ ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ^(٤) :
فَمُسًّا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْخَشَرِ
وَلَا تَأْنَفَا أَنْ تَرَجِعَا قَتْلًا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ^(٥)

(١) في ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حله لا يوصف بالصفل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكا في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فإن من الجهل أن تضرب الطل وأن تلمس العريض حتى يغرقا هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلته من ل ومن البيان للجاحظ . والطل : الأعناق أو أصولها ، جمع ظلية أو ظلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :
وما تنى عنك قوما أنت خائفهم كمثل رقلك جهالا بجهالا
وصحنته من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ وبجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمالي : « فاحشى الأقوام » وفي جمع الجواهر : « فاحشى الإنسان » . وفي ل ، س : « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما في الخبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدلّ^(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السرِّ
فإنّ أنا لم أُمّر ولم أنّه عنكما ضحكتُ له كيّا يلجّ ويسْتَشْرِى^(٢) ٨
وقال النّمر بن تولّب :

جزى الله عنيّ بجمرة ابنة نوفلٍ جزاءً مُغلٍّ بالأمانة كاذب^(٣)
بما خبرتُ عنيّ الوشاة ليكذبوا علىّ وقد أوليتها فى النوايب
يقول : أخرجتُ خبرها ، فخرج [إلى ^(٤)] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتُ أن نعارضك لعارضتك فى القول بما هو أقبحُ أراً وأبقى
وسمّا ، وأصدقُ قبلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ من تركَ المعارضة فقد
صفح ، كما أنّه ليس من عارضَ فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن
فهيمته فقد كفيّتنا مثونةً المعارضة ، وكفيتَ نفسك لزومَ العار ، وهو قوله ^(٥) :

إن كنتَ لا ترهبُ ذمّي لِمَا تعرّفُ من صفّحي عن الجاهلِ
فاخشَ سكوتي إذ أنا منصت فيك لمسموعٍ خناً القائلِ^(٦)
فالسامعُ الذمُّ شريكٌ له ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ

(١) فى ط : «أولى» ، وصوابه ما فى ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه
لو شئتُ اغتباكما عندى غير واحد .

(٢) فى ط «يلج» بالخاء ، وأثبت ما هو فى أمالى المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س وغل وأغل بمعنى خان وفى ط «مقل» وتعريفه ظاهر .

وفى س : «نخل» وجمرة بالجمع اسم زوجته ، كما فى الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيهما السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة
الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتاني فى الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فضل ما بين العداوة
والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزائن ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزائن وجميع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشى ٢ : ١٥٠ . وفى ل ، س
«فاخش سكوتى آذناً متعتاً» . وآذناً : مصغراً .

مقالة... السوء إلى أهلها أسرع من مُنحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذممه بالحق وبالباطل
فلا تسبح إن كنت ذا إرادة حرب أخى التجربة العاقل
فإن ذا العقل إذا هجته هجت به ذا خبل خابل
تبصر في عاجل شداته عليك غب الضرر الآجل
وقد يقال : إن العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد
قال الشاعر :

والعفو عندليب القوم موعظة وبعضه لسفيه القوم تدريب
فإن كنا^(١) أسأنا في هذا التقريع والتوقيف ، فالذى لم يأخذ فينا بحكم
القرآن ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفزع إلى مافي الفطن
الصحيحة ، وإلى ما توجه المقاييس المطردة ، والأمثال المضروبة ، والأشعار
السائرة ، أولى بالإساءة وأحق باللائمة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « لَا تَجْنُرْ
بِمِسْنَكٍ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حكم الله تعالى وآداب رسوله والذي أنزل به الكتاب ودل
عليه من حجج العقول .

فأما ما قالوا في المثل المضروب [« رَمَتْني بِدَاهِهَا وَانْسَلَّتْ » ، وأما
قول الشعراء ، وذهم الخطباء لمن أخذ إنساناً بذنب غيره ، وما ضربوا في ذلك
من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول في شعره :
وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

(١) في ط : « فأننا كنا » وتصحيحه من ل ، م ، ١٠ ، س ،

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العَرَّ كَوُوا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقمُوا
الصحيحَ من غير أن يُبرِثُوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرَت إبلُ أحدهم فبلَغَتِ الألف ، فقَتُوا عَيْنَ الفحل ،
فلنْ زادت الإبلُ على الألف فقتوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقأ والمعنى اللذان
سمعتَ في أشعارهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقأ والمعنى وبيتِ المحتسبي والخافقات^(١)
[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف^(٢) والغارة ،
فقال الأول :

فقاتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ عِيَافَةً وفيهِنَّ رَعْلَاءُ المَسَامِعِ والحامى^(٣)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به
في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقأ » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن فقات عينك واجدا أبالك إن عد المساعي كدارم
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى يا جرير المكلف
و « بيت المحتسبي » إشارة إلى قوله :

بيتاً زارة يحب بفنائه وعجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « الخافقات » يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْضَى المَالِكَانِ أُمُورُهَا بِحَقِّ وَأَيْنَ الخَافَقَاتِ الوَاعِ
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عني) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتك (بالمفقأ والمعنى) وبيت (المحتسبي) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرءلاء : اللى تشق أذنها وتترك مدلاة ، لكرمها [.

وكانوا يقولون فى موضع الكفارة والأمنية؁ كقول الرجل : إذا بلغت
إبل كذا وكذا وكذلك غنمى؁ ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة .
والعتيرة من نُسك الرجية والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغت
إبل أحدهم أو غنمه ذلك العدد؁ استعمل التأويل وقال : إنما قلت لى
أذبح كذا وكذا شاة؁ والظباء شاء كما أن الغنم شاء؁ فىجعل ذلك القربان
شاء كله مما يصيد من الظباء؁ فلذلك يقول الحارث بن حلزة البشكرى :
عننا باطلا وظلما كما تُعتر عن حجرة الربيض الظباء
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَغْ - نَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب؁ إما لكدر الماء؁ أو لقلدة العطش؁
ضربوا الثور ليقترحم الماء؁ لأن البقر تقبعه كما تتبع الشول الفحل؁ وكما
تتبع أن الوحش الحمار . فقال فى ذلك عوف بن الخرع (١) :
نَمْتُ طِيَّ جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَائِي (٢)
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى كَضَرَبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظَّمَاءِ
وقال فى ذلك أنس بن مدرك فى قتله سليك بن السلكة :

لَئِي وَقَتْلِي سَلِيكًا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقْرُ (٣)
١٠ أَنْفَتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نِمَكْتُ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ (٤)

(١) فى ط : « عوض بن الجزع »؁ وهو على الصواب الذى أثبتة؁ فى ل؁ س

١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الامت . والثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

وقال الهيبان الفهمي^(١) :

كما ضُرِبَ اليُسُوبُ أَنَّ عَافَ بَاقِرٌ وما ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ
ولما كان الثورُ أَمِيرَ البقر ، وهى تطيعه كطاعةِ إناث النحل لليعسوب ، سَمَّاهُ
باسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أَنَّ الجنَّ هى التى تصدُّ الثيرانَ عن الماءِ حتى تُمسِكَ البقرُ
عن الشربِ حتى تهلك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإننى وما كلُّفتُمونى - وربكم - لأعلمُ مَنْ أَمْسَى أَعَى وَأَحْوَبَا^(٢)
لِسكالِ الثورِ والجنِّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وما ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا
وما ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ وما إن تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٣)
كَأنَّهُ قال : إذا كان يُضْرَبُ أبداً لأنها عافت الماء ، فكأنها إنما عافت الماءَ لِيُضْرَبَ .

وقال يحيى بن منصور الذُّهَلِيُّ فى ذلك :

لِسكالِ الثورِ والجنِّ يَضْرِبُ وَجْهَهُ وما ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتِ الجنُّ ظَالِمَةً
وقال نَهْشَلُ بْنُ حَرْيٍّ^(٤) :

أُنْزِعْكَ عَارِضٌ وَبَنُو عَالِدِيٍّ وَتَغَرَّمَ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَائِ
كِدَابِ الثَّورِ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي إِذَا مَا عَافَتِ البَقَرُ الظَّمَاءَ^(٥)
وكيف تكلفُ الشَّعْرَى سُهَيْلاً وبينهما الكواكبُ والسَّمَاءُ

(١) فى الأصل : « الهيتان » . وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » . وفى ط ، س :

« الفقى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . وما أثبتته عن ل .. يقال حاب بكذا : أتم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوباً كبيراً » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقر وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزائن اللفيدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حاسة البحرى ٣٥٣ .

وقال أبو نُؤَيْرَةَ بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بِذَنْبِ الْعَطْرُق ^(١) :

أَبَا يُوسُفَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ طَاعِي وَنُصْحِي إِذْنُ مَا بَعْتَنِي بِالْخَلْقِ ^(٢)

وَلَا سَاقَ سَرَّاقِ الْعِرَاقَةِ صَالِحٍ ^(٣) بَنِي وَلَا كُذِّفْتُ ذَنْبَ الْعَطْرُقِ ^(٤)

وقال خِدَاش ^(٥) بن زُهَيْرٍ حين أَخَذَ بِدِمَاءِ بَنِي مُحَارِبٍ ^(٦) :

أَكْلَفُ قَتْلَى مَعْشَرٍ لَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا دَارُهُمْ دَارِي وَلَا نَصْرُهُمْ نَصْرِي

أَكْلَفُ قَتْلَى الْعِيسِ عِيسٍ شَوَاحِطٍ وَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ تُثَفِّ لَهُ قُدْرِي ^(٧)

وقال الآخر :

١١ إِذَا عَرَكَتْ عِجْلُ بَنَا ذَنْبَ طِيٍّ عَرَ كُنَّا بَتِيمَ اللَّاتِ ذَنْبَ بَنِي عِجْلٍ

وَلَمَّا وَجَدَ الْيَهُودِيُّ أَخَا حَنْبِصَ ^(٨) الضَّبَابِيَّ فِي مَنْزِلِهِ فَخَصَّاهُ فَمَاتَ ، وَأَخَذَ

حَنْبِصُ بْنُ عَبْسٍ بِجَنَائَةِ الْإِودِيِّ ، قَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : أَتَأْخُذُنَا بِذَنْبِ

غَيْرِنَا ، وَتَسْأَلُنَا الْعَقْلَ وَالْقَاتِلُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ تِيْمَاءَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ أَنْ لَوْ

قَتَلْتَهُ الرِّيحَ ، لَوَدِدْتُ مَوْتَهُ ! فَقَالَ قَيْسُ لِبَنِي عَبْسٍ : الْمَوْتُ فِي بَنِي ذُبْيَانَ

خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ فِي بَنِي عَامِرٍ ! ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَكْلَفُ ذَا الْخَصْبَيْنِ إِنْ كَانَ ظَالِمًا

وإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا وَإِنْ كُنْتُ شَاطِنًا ^(٩)

(١) في ط « العطرط » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إِذْنُ هَادِيَّتِي » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمخلق الضبي ولاء الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخدش شاعر جاهل ، من أشراف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكذا يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عيس شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وفي القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنص » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩ .

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤ من آلِ تيماء طائر
ولا يَعْدُمُ الْإِنْسَى وَالْجَنُّ كَانَا (١)
فَهَلَّا بَنَى دُيَّانَ - أُمُّكَ هَابِلُ -
رَهَنْتَ بِقَيْفِ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا (٢)
إِذَا قُلْتُ قَدْ أَفْلْتُ مِنْ شَرِّ حَنْبُضٍ
أَتَانِي بِأُخْرَى شَرَّهِ مُتَبَاطِنًا
فَقَدْ جَعَلْتُ أَكْبَادُنَا تَجْتَوِيكُمْ
كَمَا تَجْتَوِي سُوقُ الْعِضَاءِ الْكَرَازِنَا (٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَلَ لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ ابْنَتَهُ - وَهِيَ صُخْرُ أَخْتُ لُقَيْمٍ - قَالَ حِينَ قَتَلَهَا:
أَلَسْتُ امْرَأَةً ! وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَزُوجَ عِدَّةَ نِسَاءٍ ، كُلُّهُنَّ خُتَنَهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ ،
فَلَمَّا قَتَلَ أُخْرَاهِنَّ وَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُخْرُ ابْنَتِهِ ، فَوَثَبَ
عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا وَقَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا امْرَأَةٌ ! وَكَانَ قَدْ ابْتُلِيَ بِأَنَّ أُخْتَهُ كَانَتْ
تُخَيِّمُهُ (٤) وَكَذَلِكَ كَانَ زَوْجُهَا ، فَقَالَتْ لِإِحْدَى نِسَائِ لُقْمَانَ : هَذِهِ لَيْلَةُ
طُهْرِي وَهِيَ لَيْلَتُكَ ، فَدَعِينِي أَنَا فِي مَضْجَعِكَ ، فَإِنَّ لُقْمَانَ رَجُلٌ مُنْجِبٌ ،

(١) في ل : « من آلِ تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .
(٢) في الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح في الأغاني ١٥ : ٧٠
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .
(٣) الكرزن وقد يكرس والكرزين : القناس الكبير .
(٤) المحمقة والحقق أيضا : المرأة تله الحمق . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٦٧ :
وكانت تحت رجل أحمق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَى فَا تُنَجِبَ . فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَحَمَلَتْ بِلُقَيْمٍ . فهو قولُ
الْتَّمِرِ بْنِ تَوَلَّبٍ ^(١) :

لُقَيْمٌ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنًا
لِيَالِي حَقٍّ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغَرَّ بِهَا مُظْلِمًا ^(٢)
فَأَجْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا ^(٣)

فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلَ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَافُ
ابْنُ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَاشٌ يُدِبُّ لِي الْمَنِيَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ ^(٤)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أُذَيْنَةَ ^(٥) :

١٢ أَتَجْمَعُ تَهِيَامًا بَلِيلَ إِذَا نَأَتْ وَهَجَرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحْرُ
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبَادٍ :

قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِئْنَى لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلِي عَنْ حِيَالٍ ^(٦)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ الْآلُ هُوَ وَإِنِّي بِحَرْفِهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأَظْنُهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ :

(١) شاعر غَضْرَمِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا ، وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثًا ، وَكَانَ أَحَدَ أَجْوَادِ الْعَرَبِ الْمَذْكُورِينَ وَفِرْسَانِهِمْ .

(٢) فِي ط « فَعَرِبَهُ » . وَغَرَّبَهَا : خَدَعَ بِهَا . وَمُظْلِمًا : فِي الظُّلَامِ .

(٣) الْحَكَمُ : الْمُنْتَجَبُ الَّذِي يُلِدُ حَكِيمًا ، وَيُقَابِلُهُ الْحَقُّ : الَّذِي يُلِدُ الْحَقُّقَ .

(٤) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٤٥ « وَعَبَّاسٌ يَمُهِدُ لِي الْمَنِيَا » وَفِي ل « وَعِيَاشٌ يَدِبُ إِلَيَّ » . وَأَدْبَاهَا :
جَمَلُهَا تَدِبُ .

(٥) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ ، وَأُذَيْنَةُ لَقَبٌ لِأَبِيهِ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَحْيَى . شَاعِرٌ مُقَدِّمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَيَعُدُّ فِي الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ أَيْضًا ، وَاسْكَنَ غَلِبَ عَلَيْهِ الشَّعْرُ ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ مَسْتُفِيضَةٌ فِي الْأَغَانِي

٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النِّعَامَةُ : فَرَسُ الْحَارِثِ . وَعَنْ حِيَالٍ : أَيْ بَعْدَ انْقِطَاعِ عَنِ الْحَمْلِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ
جَدَّ الْجَدُّ .

فلا تَلَمْ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ
وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَأَنِّمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ^(١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض الملوك^(٢) لِسِنَارِ الرومي ؛ فإنه لما
علا الخورزنتق ورأى بُنياناً لم ير مثله ، ورأى في ذلك المستشرف ، وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيان لرجلٍ آخر من الملوك ،
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك الكلبي^(٣) في شيء كان بينه وبين
بعض الملوك :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَارٍ وما كان ذا ذنبٍ
سِوَى رَصِّهِ البنيانَ سبعينَ حِجَّةً يُعَلَّى عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٤)
فلما رأى البُنيانَ تَمَّ سُحُوفُهُ

وَأَضَى كَمِثْلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ^(٥)
ووظنَّ سِنَارٌ به كُلَّ حَبِوَةٍ وَفَارَزَ لَدَيْهِ بِالْمُودَّةِ وَالْقُرْبِ^(٦)

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الميثم بن عدي : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن علي . وقال ابن الكلبي :
هو بهرام جور بن يزديجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبي . وفي أمالي ابن الشجري ١ : ١٠٢
أنه عبد العزيز بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمذ كجعفر وهو الآجر . والسكب : التماس أو الرصاص ، ويحرك .
وفي ثمار القلوب « عشرين حجة » وفي معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) في معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) في ل : « حبرة » بمعنى السرور .

فقال اقذفوا بالعِلج من رأس شاذي فذاك لعمرُ الله من أعظمِ الخطب وجاء المسلمون ، يروى خلفٌ عن سلف ، وتابعٌ عن سابق ، وآخرٌ عن أول ، أنهم لم يخلِفُوا في عيبِ قول زياد^(١) : « لَأَخَذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ، وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ، ولم يخلِفُوا في لعنِ شاعرهم حيث يقول :
 إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
 قال : وقيل لعمرُ بن عبيد : إن فلاناً لما قدّم رجلاً ليضربَ عنقه ، فقيل له : إنه مجنون ! فقال : لولا أن المجنون يلدُ عاقلاً لخلّيت سبيله . قال : فقال عمرو : ما خلقَ الله النَّارَ إلّا بالحقِّ ! ١٣

ولما قالت التغلبيّة للجحّاف ، في وقعة البشر^(٢) : فُضَّ اللهُ فَالَكَ وأعمالك ، وأطالَ سهادك ، وأقلَّ رقادك ، فوالله إن قتلتَ إلّا نساءً أعاليهنَّ ثديًى ، وأسافلهنَّ دُئى ! فقال لمن حوله : لولا أن لِدَ هذه مثلها لخلّيت سبيلها ! فبلغ ذلك الحسن فقال : أمّا الجحّاف فجدوةٌ من نارِ جهنم .
 قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنفِ بنِ قيسِ الكُمأةَ بالسّمنِ ، فقال عند ذلك الأحنف : « رَبِّ مَذْمُومٌ لَأَذْنَبَ لَهُ (٣) » .

فبهذه السيرة سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن^(٤) :

وإنَّ امرأً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إلّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه . والكلام في خطبته البراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « اليسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر

المعجم والأغاني ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، وأصحاب الفكر والعبر ، وأرباب التحل ، والعلماء وأهل البصر ، بخارج الملل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الخلفاء ، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء ، وكتب الفراغ والخلفاء ، وكتب الملاحى والفكاهات ، وكتب أصحاب الخصومات ، وكتب أصحاب المراء ، وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية ! ! ألا أنهم لا يحاسبون أنفسهم ، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ، ولا يخافون تصفح العلماء ، ولا لائمة الأرباء^(١) ، وشنف الأكفاء ، ومشنأة^(٢) المجلساء ؟

فهلأ أمسكت - يرحمك الله - عن عيبيها والظعن عليها ، وعن المشورة والموعظة ، وعن تخويف مافى^(٣) سوء العاقبة ، إلى أن تبلغ حال العلماء ، ومراتب الأكفاء ؟ !

فأما كتابتنا هذا ، فسنذكر جملة المذاهب^(٤) فيه ، وسنأتى [بعد ذلك] على التفسير ، ولعل رأيتك عند ذلك أن يتحول ، وقولك أن يتبدل ، فتثبت أو تكون قد أخذت من التوقف بنصيب ، [إن شاء الله] .

(١) كذا فى ل . وفى ط « ولائمة الأدباء » .

(٢) فى ط : « شنأة » وصوابه شنأة ، وأثبت مافى ١٠ س وأما فى ل فهى « مساء » . والشنف . بالتحريك وكذا المشناة بمعنى ، هو البغض .

(٣) فى ل : « مافيه » .

(٤) فى ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفَق ، ومُخْتَلَف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها في جملة التَّوَلِّدِ جَمَادٍ وَنَاسٍ . وكان حَقِيقَةُ القَوْلِ في الأجسام من هذه القِسْمَةِ ، أن يقال : نَاسٌ وغيرُ نَاسٍ . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنَاسٍ اسماً ، كما وضعُوا للنَّاسِ اسماً ، لاتبَعْنَا أَرْهَمَهُمْ ؛ وإنَّما ننتهي إلى حيثُ انتهوا . وما أَكْثَرَ ما تكونُ دَلالةُ قَوْلِهِمْ جَمَادٍ ، كدَلالةِ قَوْلِهِمْ مَوَاتٍ . وقد يَفْتَرِقَانِ في مواضعَ بعضِ الافتراقِ . وإذا أُخرجتْ (١)

من العالمِ الأَفلاكُ والبروجُ والنجومُ والشمسُ والقمرُ ، وجدَّتها غيرُ نَاسِيَةٍ ، ولم تجدَّهم يسمُّون شيئاً منها بِجَمَادٍ ولا مَوَاتٍ ، وليس لأنَّها تنحَرِّكُ من تلقاءِ أنفسِها لم تُسمَّ مَوَاتاً ولا جَمَاداً .

ونَاسٌ يجعلونها مدبَّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخَّرة غير مسخَّرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إِنَّمَا يَحْيَا بِإِحْيائها لَهُ ، وبِما تُعطيه وتُعيره . وإنَّما هذا منهم رَأْيٌ ، والأُمُّ في هذا كُلُّهُ على خِلافِهِمْ ، ونحنُ في هذا الموضعِ إِنَّمَا نعبِّرُ عن لُغَتنا ، وليس في لُغَتنا إلَّا ما ذكرنا .

والنَّاسُ يسمُّون الأرضَ جَمَاداً ، ورَبِّما يجعلونها مَوَاتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ماعدلوس : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنْبِتُ قديماً ، وهى مَوَاتِ الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أرضاً مواتاً
فهى له .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمونها
حيواناتاً ما دامت كذلك ، وإن كانت لانضمام إلى النماء والحس .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماء والأرضُ والهواءُ
والنارُ ، والاسمانِ لا يتعاورانِ عندهم إلا الأرض .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النامي على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام :
شئٌ يمشى ، وشئٌ يطير ، وشئٌ يَسْبَحُ ، وشئٌ يَنْسَاحُ ^(١) . إلا أن كلَّ
طائرٍ يمشى ، وليس الذى يمشى ولا يطير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يمشى
على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أن الحشراتِ
راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكله طباع البهائم والسباع . إلا أننا فى هذا كله
نتبع الأسماء القائمة ^(٢) المعروفة ، البائِثات بأنفسِها ، المتميزاتِ عند سامعِها ،
من أهلِ هذه اللغَةِ وأصحابِ هذا اللسان ، وإنما نُفَرِّد ما أفرَدوا ،
ونَجْمَع ما جَمَعوا ^(٣) .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرّد ما أفرَدوا ويجمع ما جمعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وَبَهِيْمَةٍ وَهَمَجٍ . والسباعُ من الطير على ضَرْبَيْنِ :
فَفيها العِثاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البِغاثُ ^(١) وهو كلُّ ماعِظَمٍ من
الطير : سَبْعاً كان أو بهيْمَةً ، إذا لم يَكُنْ من ذواتِ السِّلاحِ والمخالبِ
المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَمِ والغُرَبانِ ، وما أَشَبَّها مِنْ لثامِ السباعِ .

ثم الحَشَاشُ ، وهو ما لُطِّفَ جِرمُهُ وصَغُرَ شَخْصُهُ ، وكان عَدِيمَ السِّلاحِ
[ولا يَكُونُ ^(٢)] كالزُّرْقِ ^(٣) واليُؤْيُؤِ ^(٤) والباذَنجَارِ ^(٥) .

فأما الهَمَجُ فليس من الطير ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَطِيرُ . والهَمَجُ فيما يَطِيرُ ،
كالْحَشَرَاتِ فيما يَمْشِي .

والحَيَّاتُ من الحَشَرَاتِ ، وأَيُّ سَبْعٍ أَدْخَلَ فِي مَعْنَى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأَفَاعِيِ وَالنَّعَاطِينِ ؟ وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ
الْأَنْيَابِ وَأَكَّالَةِ اللَّحُومِ وَأَعْدَاءِ الْإِنْسِ وَجَمِيعِ الْبَهَائِمِ ، وَلِذَلِكَ تَأْكُلُهَا
الْأَوْعَالُ ^(٦) وَالْحَنَازِيرُ وَالْقَنَافِذُ وَالْعِقَبَانُ ^(٧) وَالشَّاهْمُوكُ ^(٨) وَالسَّنَانِيرُ ، وَغَيْرَ
ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ . فَكُنْ جَعَلَ الْحَيَّاتِ سَبْعَاءً ، وَسَمَّاها بِذَلِكَ عِنْدَ
بَعْضِ الْقَوْلِ وَالسَّبَبِ فَقَدْ أَصَابَ ، وَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ هَاكَذَا اسْمَ الَّذِي هُوَ الْعِلَامَةُ

(١) في القاموس ، البِغاثُ مثلثة : طائرٌ أَغْبَرُ جَمْعُهُ كَنْزِلَانُ ، وَشَرَارُ الطيرِ .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزُّرْقُ : طائرٌ يَصَادُ بِهِ ، بَيْنَ الْبَازِيِ وَالْبَاشِقِ ، وَفِيهِ خَيْلٌ وَخَيْثٌ .

(٤) اليُؤْيُؤُ : مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ يَشَبُّهُ الْبَاشِقُ .

(٥) كَذَا فِي ط وَص وَ ١٠ س . وَفِي ل « الْبَازَنجَانِ » . وَأَرَاهَا مَحْرَفَةٌ عَنْ « الْبَاشِقِ » . انظر

الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) فِي ط « الْأَوْعَالُ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل وَمِنْ الْحَيَوَانِ لِلْجَاحِظِ ٢ : ٥٢ وَ ٦ : ٥٥ .

(٧) فِي ط « الْغُرَبَانِ » .

(٨) الشَّاهْمُوكُ : الْفَقَى مِنَ الدِّجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَبْيِضَ بِأَيَّامِ قَلَائِلِ ، وَهُوَ مَعْرَبُ شَاهِ مَرِغَ ، وَمَعْنَاهُ

مَلِكُ الطَّيْرِ . السِّمِيرَى .

كَالْكَلْبِ وَالذئْبِ وَالْأَسَدِ فَقَدْ أَخْطَأَ :

وَمِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ شَكْلٌ يَكُونُ سِلَاحُهُ الْخَالِبُ كَالْعُقَابِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، ١٥
وَشَيْءٌ يَكُونُ سِلَاحُهُ الْمَنَاقِيرُ كَالذُّسُورِ وَالرَّخَمِ وَالْغُرْبَانِ ، وَإِنَّمَا جَعَلْنَاهَا سِبَاعاً
لأنَّهَا أَكَّالَةٌ لِحُومٍ .

وَمِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ الْمَنَاقِيرُ كَالْكِرَاكِيِّ وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ الْأَسْنَانُ كَالْبُومِ وَالْوُطُوطِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
سِلَاحُهُ الصِّبَاصِيُّ كَالذِّبْيَكَةِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ السَّلْحُ (١) كَالْجَبَارِيِّ (٢)
وَالْتَعْلَبِ أَيْضاً كَذَلِكَ .

وَالسَّبْعُ مِنَ الطَّيْرِ : مَا أَكَلَ الْلَحْمَ خَالِصاً ، وَالبَّهِيمَةُ : مَا أَكَلَتِ الْحَبَّ
خَالِصاً . وَفِي الْفَنِّ الَّذِي يَجْمَعُهَا مِنَ الْخَلْقِ الْمَرْكَبِ وَالطَّبْعِ الْمَشْتَرَكِ ، كَلَامٌ
سَنَأْتِي عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْمَشْتَرَكُ عَنْدهُمْ كَالْعَصْفُورِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي مَخْلَبٍ مَعْقِفٌ وَلَا مَنَسَرٌ (٣)
وَهُوَ يَلْقُطُ الْحَبَّ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَصِيدُ النَّمْلَ (٤) إِذَا طَارَ ، وَيَصِيدُ الْجَرَادَ ،
وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ ، وَلَا يَزُقُّ فِرَاحَهُ كَمَا تَزُقُّ الْحَمَامُ ، بَلْ يُلْقِمُهَا كَمَا تُلْقِمُ
السَّبَاعُ مِنَ الطَّيْرِ فِرَاحَهَا . وَأَشْبَاهُ الْعَصَافِيرِ مِنَ الْمَشْتَرَكِ كَثِيرٌ ، وَسَنَذْكُرُ
ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) السِّلْحُ وَالسِّلَاحُ كَقُرَابٍ : النِّجْو .

(٢) فِي ط « كَالْجَبَارِيِّ » وَالصَّوَابُ « كَالْجَبَارِيِّ » كَمَا فِي ل . وَهِيَ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي
سِلَاحُهَا سِلَاحُهَا .

(٣) الْمَنَسَرُ كَجَلْسٍ وَمَنْبَرٍ : مَقَارِ الطَّيْرِ الْجَارِحِ .

(٤) فِي ط « النَّمْلُ » وَالصَّوَابُ « النَّمْلُ » كَمَا فِي ل فَإِنَّ النَّمْلَ طَائِرٌ بِطَبْعِهِ ، وَأَمَّا النَّمْلُ فَيَعْرِضُ
لَهُ الطَّيْرَانِ حِينَ السَّكْرِ ، قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ

وليس كل ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجعلان والجحش واليعاسيب والذباب والزناير والجراد والنمل والقراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك ، ولا يسمى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكور والسبب . وقد يسمون الدجاج طيراً ولا يسمون بذلك الجراد ، والجراد أطيّر^(١) ، والمثل المضروب به أشهر ، والملائكة تطير ، ولها أجنحة وليست من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، وليس جعفر من الطير .

واسم طائر يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس بالريش والقوادم^(٢) والأبهر^(٣) والخوافي^(٤) ، يسمى طائراً ، ولا بعلمه يسقط ذلك عنه . ألا ترى أن الخفاش والوطواط من الطير ، وإن كانا أمرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير ولا قصب^(٥) وهما مشهوران بالحمل والولادة ، وبالرضاع ، وبظهور حجم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذات ريش ومنقار وبَيْضٍ وجناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كل عائم سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه . ألا ترى أن في الماء كلب الماء ، وعنز الماء ، وخيزر الماء ، وفيه الرق^(٦) والسلخفاة ، وفيه الضفدع وفيه السرطان ، والبَيْنِب^(٧) ،

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطيّر : أشد طيرنا .

(٢) القوادم والقادمى - كسحارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأبهر : الجناح الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الخواقي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) قال الدميرى : بكسر الراء وبالقف : ضرب من دواب الماء يشبه القمحا . والرق أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهو في ط « التبتل » وفي ل « البئيل » وفي س « الثبتل » وصوابه في الدميرى قال : « على وزن فيعمل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المؤلف ٢٥١ .

والتَّمْسَاحُ وَالذُّخْشُ وَالذُّلْفَيْنُ وَاللَّحْمُ وَالْبَنَبَكُ^(١) ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
وَالكَوْسَجُ والدُّ اللُّحْمُ ، وليس للكوسج أب يُعرَف . وعامةُ ذَا يَعِيشُ في الماء ، ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، وَيَبْيِضُ فِي الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بِيضاً لَهُ صُفْرَةٌ ، وَقِيضُ
وغيرُ قِيضٍ ، وهو مع ذلك ممَّا يكون في الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمماً قطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يتكلَّم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويتغو ، ويهق ،
ويصهل ، ويشحج ، ويخور ، ويبغم ، ويعوي ، وينبح ، ويرقو ،
ويضغو ، ويهدير ، ويصفر ، ويصوي ، ويثوي ، وينعب ، ويزار ،
وينزب^(٢) ، ويكش^(٣) ، ويعج^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهُ ، كالتذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعير التي تسمى لطيمة ،

(١) في الأصل : « البلب » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم الملوفا
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنيك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع
الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) في ط « يترب » وفي « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والنفاء للشاة ، والنبيق للحمير ، والصهيل للخيول ، والشحج
للغزال ، والخوار لثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقاة للديكة ، والضغاة للسانير ، والمهدير للفحول ، والصغير للسنور ،
والصوصاة للجراء ، والتوقاة للدجاج ، والنعيب للغريان واليوم ، والزئير للأسد ،
والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحذره بجلودها .
والمعيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفح » والفحج صوت الأفاعى
تحذره بأنفواها .

وكالظُّعْنُ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا وَجَدَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، أَوْ أَخَذَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، سُمِّيَتْ بِأَنْبِهِ النَّوْعَيْنِ ذِكْرًا ، وَبِأَقْوَاهِمَا . وَالْفَصِيحُ هُوَ الْإِنْسَانُ ، وَالْأَعْجَمُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ لَا يَفْهَمُ إِرَادَتَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جَنْسِهِ . وَلِعَمْرِي إِنَّا نَفْهَمُ ^(١) عَنِ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ وَالسَّتُورِ وَالْبَعِيرِ ، كَثِيرًا مِنْ إِرَادَتِهِ وَحَوَائِجِهِ وَقَصُودِهِ ^(٢) ، كَمَا نَفْهَمُ إِرَادَةَ الصَّبِيِّ فِي مَهْدِهِ وَنَعْلَمُ ^(٣) — وَهُوَ مِنْ جَلِيلِ الْعِلْمِ — أَنَّ بَكَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ضَحْكُهُ . وَمَحْمَمَةُ الْفَرَسِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْخَلَاةِ ^(٤) ، عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَحْمَمَتُهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْحِجْرِ ، وَدُعَاءُ الْهَرَّةِ الْهَرَّ خِلَافَ دُعَائِهَا لَوْلَدِهَا ، وَهَذَا كَثِيرٌ .

وَالْإِنْسَانُ فَصِيحٌ ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ أَوْ بِالْهِنْدِيَّةِ أَوْ بِالرُّومِيَّةِ ، وَلَيْسَ الْعَرَبِيُّ أَسْوَأَ فَهْمًا لِطَمَطَمَةِ الرُّومِيِّ [مِنَ الرُّومِيِّ] لِبَيَانِ لِسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ يُقَالُ لَهُ فَصِيحٌ ، فَإِذَا قَالُوا : فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِهِمْ أَعْجَمٌ ، وَإِذَا قَالُوا الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَلَمْ يُلْفِظُوا بِفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى يَرِيدُونَ ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا نَفْهَمُ عَنْهُ . وَقَالَ كَثِيرٌ :

فَبُورِكَ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى بِنْدِيَّةً وَصَامَتْ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى وَنَاطِقُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . . . وَفِي ط « إِنْ التَّعْمِيمِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَقَصُورُهُ » بِالرَّاءِ وَلَمْ يَظْهَرْ مَعْنَاهُ ، فَكُتِبَتْ مَكَانَهُ « قَصُودُهُ » جَمْعُ قَصَدَ .

(٣) فِي ط : « وَنَفْهَمُهُ » . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ١ : ١٦٢ .

(٤) فِي ط « الْفَحْصَلِ » وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ . وَالْوَجْهُ مَا فِي ل ، وَوُورِدَ فِي ط زِيَادَةُ

« مِنْ » قَبْلَ « حَمَمَةِ » وَإِثْبَاتُهَا يَفْسِدُ التَّرْكِييبَ .

ويقال « جاء بما صأى ^(١) وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى ^(٢) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شئ سوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشئ العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدل ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال ^(٣) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً . ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد ^(٤) ، وإشارة ،

(١) فى ط « صأى » بالضاد ، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .

(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفناء الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمَكِّنُهُ الْمُسْتَدِلُّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ
مِنْ ^(١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا اسْتَحْزَنَ مِنَ الْبَرَهَانِ ، وَحُشِيَ ^(٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ،
وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْحُرْسُ الصَّمَاتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ
الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرِبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّنْدِيرِ
وَالْحِكْمَةِ ، مَخْبَرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْهَزَالَ
وَكُشُوفَ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّفْثَةِ ، عَنْ
حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيب] :

فَعَاثُوا فَانْتَوُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنَتُكَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ مُتَخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ
وَقَدْ قَالَ الْعُكْلِيُّ ^(٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذُّبِّ وَفِي شِدَّةِ حَسِّهِ وَاسْتِرْوَاخِهِ :
يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مَقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٤)

وَقَالَ عِنْتَرَةُ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَانَ لَحْيِي رَأْسَهُ جَلَمَانٍ بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ ^(٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَكُلَّ » وَأَصْلَحَتِ الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفُ ظَاهِرِ تَوْجِيهِهِ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدَيْيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانْظُرِ السَّانَ (نَحْر) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمَقْرَاعُ : النَّفَاسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْقِعُ : التَّحْدِيدُ .

(٥) فِي ط « حَرِقَ » بِالْخَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفُ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْحَرَقُ : الْأَسْوَدُ » ، شَبَّهَ لَحْيَيْهِ بِالْجَلَمَيْنِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَنْجَبِرُ

بِالْغَرَبَةِ وَالْفَرَقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلَمَانُ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَمَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقَمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ يَهْدُمُ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه ^(١) : سَلَّ الْأَرْضَ ، فَقُلْ : مَنْ شَقَّ
أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَعَلَ ثِمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً ،
أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً .

فموضوعُ الجسم ونَصَبته ، دليلٌ على ما فيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة ^(٢) عليه .
فالجمادُ الأَبَكُ الأَخْرَسُ من هذا الوجه ، قد شارك في البيان الإنسان الحيُّ
الناطق . فَبَنَ جَعَلَ أَقْسَامَ الْبَيَانِ خَمْسَةً ، فقد ذَهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ في اللغة ،
وشاهدٌ في العقل . فهذا أَحَدُ قِسْمَي الْحِكْمَةِ ، وَأَحَدُ مَعْنَيَيْ ^(٣) مَا اسْتَخَزْنَاهَا ^(٤) ١٨
أَللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْوَدِيعَةِ .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودَعَ صُدُورُ صُنُوفِ سَائِرِ الْحَيَوَانَ ، مِنْ ضُرُوبِ ^(٥)
المعارف ، وَفَطَرَهَا عَلَيْهِ مِنْ غَرِيبٍ ^(٦) الْهِدَايَاتِ ، وَسَخَّرَ حَتَايَ جَرَّهَا لَهُ مِنْ
ضُرُوبِ النَّعْمِ الْمُوزَوْنَةِ ، وَالْأَصْوَاتِ الْمَلْحَنَةِ ، وَالْمَخَارِجِ الشَّجِيئَةِ ،
وَالْأَغَانِي الْمَطْرَبَةِ ، فَقَدْ يَقَالُ إِنَّ جَمِيعَ أَصْوَاتِهَا مُعَدَّلَةٌ ، وَمُوزَوْنَةٌ مُوقَّعَةٌ ،
ثُمَّ أَلَذَى سَهَّلَ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ الْعَجِيبِ فِي الصَّنْعَةِ ، مِمَّا ذَلَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
لِمُنَاقِيرِهَا وَأَكْفُفِهَا ، وَكَيْفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى قَدَرِ مَا هَيَّأَ لَهَا
مِنَ الْآلَةِ ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثِيراً مِنْهَا مِنَ الْحَسِّ اللَّطِيفِ ، وَالصَّنْعَةِ
الْبَدِيعَةِ ، مِنْ غَيْرِ تَأْدِيبٍ وَتَقْبِيفٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَقْوِيمٍ وَتَلْقِينٍ ، وَمِنْ غَيْرِ
تَدْرِيجٍ وَتَمْرِينٍ ، فَبَلَّغَتْ بِعَفْوِهَا وَبِمَقْدَارِ قُوَى فِطَرَتِهَا ، مِنَ الْبَدِيعَةِ

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) في الأصل « استخزنهما » والصغير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدَرُ عليه خُذَّاقُ رجالِ
الرأى ، وفلاسفة علماء البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ
أَكْلَهُمْ خصالاً وَأَعْمَهُمْ خللاً ، لا من جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من
جهة التعسف والافتقار ، ولا من جهة التقدم فيه ، والتأني فيه ، والتأني له .
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المَعِينَةِ عليه . فصار جهد^(١) الإنسان
التأني الحسن ، الجامع القوى ، المتصرف في الوجوه ، المقدم في الأمور ،
يعجز عن عَقْرِ كثير منها ، وهو ينظر إلى ضروب ما يجيء منها ، كما
أعطيت العنكبوت ، وكما أعطيت السُرْفَةُ ، وكما عَلَّمَ النحل ، بل^(٢)
وعُرِفَ التَّنَوُّطُ من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة ، في غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم^(٣) العجز في أَنْفُسِهِمْ في أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الهمَجُ والحشاشُ وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين^(٤) ، والاستطاعة والتصرف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأني والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة^(٥) ، والمتبصر شأن العاقبة ،
متى أحسن شيئاً كان كلُّ شيءٍ دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل
سائر الحيوان ، وإن كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحدُ الناسِ متى
أحسن شيئاً عجيباً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل
منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسان جعل

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجد لهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجه ما في ل لثم المقارنة بقوله بعد :

« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ
بلا تعلُّم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ، إذ كان ١٩
لا يقطع فيه ، ولا يحسُّدها ؛ إذ لا يؤمِّل اللِّحاقَ بها . ثمَّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيُونِ الناظرين ، ومُجَاهِ أَسْمَاعِ الْمُتَعَبِّينَ ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتِّعَاضِ والازدِجَارِ ، وعلى التَّعَرُّفِ والتَّبَيُّنِ ،
وعلى التَّوَقُّفِ والتَّدَكُّرِ ، فَجَعَلَهَا مَذْكُرَةً مُنْبِئَةً ، وَجَعَلَ الْفِطْرَ تَذْشِي^(١) ،
الْحَوَاطِرَ ، وَتَجُولُ بِأَهْلِهَا فِي الْمَذَاهِبِ . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٌ وتعريفٌ وتفقيهٌ وتنبيه . وأراك قد عبثتَه قبل أن
تقفَ على حُدُودِهِ ، وتنفكَّرَ في فصولِهِ ، وتعتبرَ^(٢) آخرَهُ بأُولِهِ ، ومَصَادِرِهِ
بمَوَارِدِهِ ، وقد غلَطْتَ فيه بعضُ ما رأيتَ [في أثنائه] من مزجٍ لم تعرف
معناه ، ومن بَطَالَةٍ لم تَطَّلِعْ على غُورِهَا ؛ ولم تدبِرْ لم اجتَلِبْتَ ، ولا لَأَيَّ
عِلَّةٍ تُسَكِّفْتُ ، وأَيَّ شَيْءٍ أُرِيغَ بها ، ولَأَيَّ جِدٍّ احْتَمِلَ ذلك الهزل ،
ولَأَيَّ رِيَاضَةٍ مُجَشِّمَتْ تلكَ البَطَالَةَ ؛ ولم تدبِرْ أَنَّ الْمَزَاحَ جِدٌّ إِذَا اجْتَلِبَ
ليكونَ عِلَّةً لِلجِدِّ ، وَأَنَّ الْبَطَالَةَ وَقَارٌ وَرَزَانَةٌ ، إِذَا تُسَكِّفْتُ لتلكَ العَاقِبَةِ .
ولمَّا قال الخليلُ بنُ أحمدَ : لا يصلُ أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما قول . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تنفكر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ . وَذَلِكَ
مِثْلُ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ
عَلَى مُرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ
مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مَنْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ ، وَفَهَمَ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ
مِنْ عَزِّهِ ، وَنَالَ سُرُورِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطُّوْلُ مِنَ الْكَدِّ ، وَالْكَثْرَةِ
مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادُ إِلَى حِفْظِهِ بِالسَّوَاجِرِ ^(١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ،
وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نَعْتُ الْكِتَابِ)

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيئَةً بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِيْنُهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ
إِلَى أَنْ عَبْتَ وَضَعْتَ الْكُتُبَ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَتْ ^(٢) بِهَا
الْوُجُوهُ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِمَا عَلِمَ ، حَتَّى عَيْبَ الْكُلَّ
بِمَا عَلِمَ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصْبِ الْحَرْبِ
فَعَيْبَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّنْخُ وَالْعُقْدَةُ ^(٣) هُوَ ، وَنَعِمَ الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ
النَّشْرَةُ وَالزَّهْرَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأُنَيْسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ
الْمَعْرِفَةُ بِلِلَادِ الْغَرَبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالْدَّخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالزَّيْلُ .
٢٠ وَالْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) السَّاجِرُ : غَشْبَةٌ تَمْلُقُ وَتَعْنُقُ الْكَلْبَ . وَسَجَرَهُ : شَدَّهُ بِهِ كَسَوْجَرِهِ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٣ : ٥٠ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصَرَّفَ » .

(٣) الْعُقْدَةُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ : مَا فِيهِ بَلَاغُ الرَّجُلِ وَكِفَايَتُهُ .

إِنْ شئتَ كَانَ أَبِينَ من سَحْبَانِ وائل ، وإن شئتَ كَانَ أَعْيَا من بَاقِلٍ ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وإن شئتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وإن شئتَ أَهْتَكِ طَرَائِفُهُ ، وإن شئتَ أَشَجَّكَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهِ ، وبزاجرٍ مُغَرٍّ ، وبناسكٍ فَاتِكٍ ، وبناطقٍ أَخْرَسَ ، وبباردٍ حَارٍّ . وفي البارد الحَارُّ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ^(١) :

قُلْ لَزُهُيرٍ إِذَا انتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلٍ أَوْ أَكْثَرٍ فَأَنْتَ مِهْدَارُ^(٢)
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَا سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ^(٣)
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ التَّلَجُّ بَارِدٌ حَارُّ^(٤)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبٍ^(٥) أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُوءَى هِنْدِيٍّ ، وبفَارِصِي^(٦)
يُونَانِيٍّ ، وبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ^(٧) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالضَّعِيفَ ، وَالْعَفْثَ وَالسَّمِينَ ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجَنَسَ وَضِدَّهُ .
وبعد : فَمَنْ رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ^(٨) ، وَرَوْضَةً تُقْلُ^(٩) ،

-
- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط « مهذار » بالذال .
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أعده أبو نواس من مذاهب حكام الهند ، فأنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حاراً . وقالوا : إن البسند يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .
(٤) خفيف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٧) في ط « ممتنع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتع » .
(٨) الرذن : أصل الكم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في الكم نفسه .
(٩) في ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتلاطم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي المحاسن « تنقل » .

في حِجْرِ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لَكَ
بمونس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمَنْ مِنَ الأرضِ ،
وأَكْمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأَحْفَظُ للوديعِ من أرباب الوديعِ ،
وأَحْفَظُ لِمَا اسْتُخْفِظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المعريين ^(١) ، بل مِنْ
الصَّيَّانِ قَبْلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بتمييز الأشخاص ،
حينَ العنايةِ تامةٍ لم تَنْقُصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقِمْ ، والإرادةُ وافرةٌ
لم تشعَّبْ ، والطِّينَةُ لينةٌ ، فهي أقبلُ ما تكون للطباعِ ، والقضيبُ
رطبٌ ، فهو أقربُ ما يكون من العلوقِ ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلُقْ
جديدها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وكانت كما قال الشاعر ^(٢) :

أَنَا فِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ ^(٣) :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُذْشَعُ ^(٤)
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وقد قال جِرَانُ الْعَوْدِ ^(٥) :

[تُرْكَنُ بِرَجْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى تَنْكَرَتْ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ]
كَوْحِي فِي الْحِجَارِ أَوْ وُشُومٍ بَأَيْدِي الرُّومِ بِأَقْيَةِ النَّشُورِ
وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القدوس :

وإِنْ مَنْ أَدْبَتَهُ فِي الصَّبِيِّ كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

- (١) في ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .
- (٢) هو مجنون بن عامر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
- (٣) البيت ساقط من ل . وفي ط « نَمِرَةُ بْنُ الطَّيِّبِ » والتصحيح من س .
- (٤) نشع الصبي وأنشعه . أو جره . والنشوع : الوجور .
- (٥) شاعر نمرى اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :
خذوا حذرا يا جاراتي فإنني رأيت جيران العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بعدَ الذي قد كان في يُبْسِهِ (١)

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مِيلِ الْغُلَامِ الْمُؤَدَّبُ وَلَا يَنْتَفِعُ التَّادِيبُ وَالرَّأْسُ أُشِيبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّةَ (٢) لعيسى بن عمر (٣) : أَكْتُبْ شِعْرِي ، فَالْكِتَابُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنَ الْحِفْظِ . لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسَى الْكَلِمَةَ وَقَدْ سَهَرَ فِي طَلَبِهَا لَيْلَتَهُ ،
فِيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا ، ثُمَّ يُنْشِدُهَا النَّاسَ ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسَى
وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ .

وعبت الكتاب ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَلِيطاً أنصف ، ولا رفيقاً
أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جَنَابَةً ، ولا
أقلَّ إِمْلَالاً وإِبراماً ، ولا أحفلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلَافاً وإِجراماً ، ولا
أقلَّ غِيبةً ، ولا أبعدَ من عَضْبَةٍ (٤) ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولد لخالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ،
إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن
البصري والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفاً وسبعين مصنفاً
ذهبت كلها ، وكان يتعذر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،
أنه سقط عن حصار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالي أراكم تكأكم على
كتكأكم على ذي جنة ؟ ! افرنقوا عني » . واتهمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه
نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثياباً في أسقاط قبضتها
عشاروك ! » . وانظر بقية الرواة ٢٧٠ .

(٤) المضببة : الكذب والإفك والبهتان .

تصُلُفًا وَتَكَلُفًا، وَلَا أَبْعَدَ مِنْ مِرَاءٍ ، وَلَا أَثَرَ لَشَغَبٍ ، وَلَا أَزْهَدَ فِي جَدَالٍ ،
وَلَا أَكْفَ عَنْ قِتَالٍ ، مِنْ كِتَابٍ . وَلَا أَعْلَمُ قَرِيبًا أَحْسَنَ مُوَاَفَاةً ، وَلَا أَعْجَلَ
مُكَافَاةً ، وَلَا أَحْضَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَخْفَ مَثُونَةً ، وَلَا شَجَرَةً أَطُولَ عَمْرًا ، وَلَا
أَجْمَعَ أَمْرًا ، وَلَا أَطِيبَ ثَمَرَةً ، وَلَا أَقْرَبَ مُجْتَنًى ، وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا ، وَلَا
أَوْجَدَ فِي كُلِّ إِبْطَانٍ ، مِنْ كِتَابٍ . وَلَا أَعْلَمُ نِتَاجًا فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ وَقُرْبِ
مِيلَادِهِ ، وَرُخْصَ ثَمَنِهِ ، وَإِمْكَانِ وُجُودِهِ ، يَجْمَعُ مِنَ التَّدَايِيرِ الْعَجِيبَةِ
وَالْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ آثَارِ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ ، وَمَحْمُودِ الْأَذْهَانِ اللَّطِيفَةِ ،
وَمِنْ الْحِكَمِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الْقَوِيَّةِ ^(١) ، وَالتَّجَارِبِ الْحَكِيمَةِ ، وَمِنْ
الْإِخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْبِلَادِ الْمُتَنَازِحَةِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، وَالْأُمَمِ
الْبَائِدَةِ ، مَا يَجْمَعُ لَكَ الْكِتَابُ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فَوَصَفَ نَفْسَهُ ،
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، بِأَنْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ ، وَاعْتَدَّ بِذَلِكَ
فِي نِعْمَةِ الْعِظَامِ ، وَفِي أَيَادِيهِ الْجِسَامِ . وَقَدْ قَالُوا: الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ ، وَقَالُوا :
كُلُّ مَنْ عَرَفَ النُّعْمَةَ فِي بَيَانِ اللِّسَانِ ، كَانَ بِفَضْلِ النُّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ
أَعْرَفَ . ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ قِرْآنًا ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي أَوَّلِ التَّنْزِيلِ
وَمُسْتَفْتَحِ الْكِتَابِ .

(كَوْنُ الْجَمَاعَةِ ضَرُورِيًّا)

ثُمَّ أَعْلَمَ ، رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّ حَاجَةَ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ ، صِفَةٌ
لَازِمَةٌ فِي طَبَائِعِهِمْ ، وَخِلَقَةٍ قَائِمَةٌ فِي جَوَاهِرِهِمْ ، وَثَابِتَةٌ لَا تُزِيلُهُمْ ، وَتُحِيطُهُمْ
بِجَمَاعَتِهِمْ ، وَمَشْتَمَلَةٌ عَلَى أَدْنَاهُمْ وَأَقْصَاهُمْ ، وَحَاجَتُهُمْ إِلَى مَا غَابَ عَنْهُمْ -

(١) فِي الْأَصْلِ « الْقَدِيمَةِ » بِالذَّلَالِ .

مَّا يُعِيشُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ ، وَيُمْسِكُ بِأَرْمَاقِهِمْ ، وَيُصْلِحُ بِهِم ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وإلى التعاونِ في دَرْكِ ذَلِكَ ، والتوازُرِ عليه - كَحَاجَتِهِمْ إلى التعاونِ على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازُرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التي لم تَغِبْ عنهم ، فحاجةُ الغائبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجةِ الشاهدِ ، لاحتياج الأدنى إلى معرفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفة الأدنى ، معانٍ متضمنةٌ ، وأسبابٌ متصلةٌ ، وحبالٌ متعقدة . وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلنا ، كحاجةِ [مَنْ كان قبلنا إلى أخبارِ مَنْ كان قبلهم ، وحاجةِ] مَنْ يَكُونُ بعدنا إلى أخبارنا ؛ ولذلك تقدَّمت في كتب الله البشارات بالرُّسل ، ولم يسخرْ لهم جميعَ خلقه ، إلَّا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه . وجعلَ الحاجةَ حاجتين : إحداهما قِوامٌ وقُوتٌ ، والأخرى لذةٌ وإمتاعٌ وازديادٌ في الآلةِ ، وفي كُلِّ ما أَجْدَلَ النفوسَ ، وجمع لهم العتاد^(١) . وذلك المقدارُ مِنْ جميعِ الصَّنَافِينَ وفقَ لِكثرةِ حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساعِ معرفتهم وبُعْدِ غُورهم ، وعلى قَدْرِ احتمالِ^(٢) طبعِ البشريةِ وفِطْرَةِ الإنسانيَّةِ . ثم لم يقطع الزيادةَ إلَّا للعجزِ خلقهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجزِ ، إلَّا بعدَم الأعيانِ ، إذ كان^(٣) العجزُ صفةً من صفاتِ الخلقِ ، ونعتاً من نُعوتِ العبيد .

لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيعُ بلوغَ حاجتهِ بنفسه^(٤) دونَ الاستعانة

(١) في ط : « المتعاد » وصوابه في ل .

(٢) في ط : « اعتبار » وتصحيحه من ل .

(٣) في ط : « إذا » وهو تحريف يقع كثيراً في مواضع تشبه هذا .

(٤) في ط : « بنفسه » والوجه ما أثبت عن ل .

ببعض من سخرَ له ، فأدناهم مسخرًا لأقصاهم ، وأجلهم ميسرًا لأدقهم .
وعلى ذلك أحوجَ الملوك إلى السوقِ في بابٍ ، وأحوجَ السوقِ إلى الملوكِ
في بابٍ ، وكذلك الغنىُّ والفقيرُ ، والعبدُ وسيدهُ . ثمَّ جعلَ الله تعالى كلَّ
شيءٍ للإنسانِ حَوْلًا ، وفي يده مُدَلَّلًا ميسرًا^(١) إمَّا بالاحتِيالِ له والتلطُّفِ
في إراغته واستمالته ، وإمَّا بالصَّوْلَةِ عليه ، والفتكِ به ، وإمَّا أَنْ يَأْتِيَهُ
سهوًا ورهوًا . على أَنَّ الإنسانَ لولا حاجتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا ضالَّ
عليها . إلَّا أَنَّ الحاجةَ تَفْتَرِقُ في الجنسِ والجهةِ والجيلةِ ، وفي الحظِّ والتقديرِ . ٢٣
ثمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ في أمورِها ، والاعتبارِ
بما يَرَى ، ووَصَلَ بينَ عقولهم وبينَ معرفةِ تلكِ الحكمِ الشريفة ، وتلكِ
الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكيرِ ، وبالتنقيبِ^(٢) والتنقيرِ ، والتثبتِ^(٣)
والتوقُّفِ ؛ ووَصَلَ معارفهم بمواقعِ حاجاتهم إليها ، وتشاغُرهم بمواضعِ
الحكمِ فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيانُ الذي جعله الله تعالى سببًا فيما بينهم ، ومعبرًا عن حقائقِ
حاجاتهم ، ومعرفًا لمواضعِ سدِّ الخلةِ ورفعِ الشبهة ، ومداوقِ الحيرة ، ولأنَّ
أكثرَ الناسِ عن الناسِ أفهمُ منهم عن الأشياءِ المائلة ، والأجسامِ
الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التي لا يُتَعَرَفُ ما فيها من دقائقِ الحكمةِ

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقيب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : « والتثبت » .

وكتوبز الآداب ، وينابيع العلم ، لآ بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر التام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه الفكر ، والاحتباس من وجوه الخدع ، والتحفظ من دواعي الهوى ؛ ولأن الشكّل أفهم عن شكله ، وأسكن إليه وأصب به . وذلك موجود في أجناس البهائم ، وضروب السباع . والصبي عن الصبي أفهم له ، وله آلف وإليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل : لنبئ عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لأن الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه .

ثم لم يرخص لهم من البيان بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرق ، وكثر ولم يقلل ، وأظهر ولم يخف ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون معانيهم ، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛ وفي خصلة خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد تبدل بمنسها الذي وضعت له وصرفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ، والخط ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجد من صحة الدلالة ، وصدق الشهادة ووضوح البرهان ، في الأجرام الجامدة والصامته ، والساكنة التي لا تتبين^(١) ولا تحس ، ولا تفهم ولا تتحرك إلا بداخل يدخل عليها ، أو عند ممسك خلّ عنها ، بعد [أن] كان تقييدها .

ثم قسم الأقسام ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك الناظر واللامس في معرفة

(١) في ل : « لا تبين » ، أى تنطق . والتين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إِلَّا بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ نَصِيبَ النَّازِرِ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ نَصِيبِ اللّامِس . وَجَعَلَ الْخَطَّ دَلِيلًا عَلَى مَا غَابَ مِنْ حَوَائِجِهِ عَنْهُ ، وَسَبَبًا مَوْصُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْوَانِهِ ؛ وَجَعَلَهُ خَازِنًا لِمَا لَا يَأْمَنُ نَسْيَانُهُ ، مِمَّا قَدْ أَحْصَاهُ وَحَفِظَهُ ، وَأَتَقَنَهُ وَجَمَعَهُ ، وَتَسَكَّلَ الْإِحَاطَةَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلشَّامِ وَالذَّائِقِ نَصِيبًا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهندِ لضاعَ من الحسابِ الكثيرُ والبسيطُ ، ولبطلت^(١) معرفةُ التضاعيفِ ، ولَعَدِمُوا الْإِحَاطَةَ بِالْبَاوَرَاتِ وَبَاوَرَاتِ الْبَاوَرَاتِ^(٢) ، وَلَوْ أَدْرَكُوا ذَلِكَ لَمَّا أَدْرَكُوهُ^(٣) إِلَّا بَعْدَ [أَنْ] تَغْلُظَ الْمُثُونَةُ ، وَتَنْتَقِصَ الْمُثَنَةُ ، وَلِصَارُوا فِي حَالِ مَعْجَزَةٍ وَحُسُورٍ ، وَإِلَى حَالِ مَضِيعَةٍ وَكَلَالٍ حَدٍّ ، مَعَ التَّشَاغُلِ بِأُمُورٍ لَوْلا فَقْدُ هَذِهِ الدَّلَالَةِ لَسَكَانَ أَرْبَحَ لَهُمْ ، وَأَرَدَ عَلَيْهِمْ ، أَنْ يُصَرِّفَ ذَلِكَ الشَّغْلَ فِي أَبْوَابِ مَنَافِعِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلومٌ ، وَالْحَلَّةُ فِي مَوْضِعِ فَقْدِهِ مَعْرُوفَةٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴾ . وَبِالْبَيَانِ عَرَفَ النَّاسُ الْقُرْآنَ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بحذفها .

(٣) في ط : « ولو أدركوا ذلك لما أدركوه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عِنْدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ فَأَجْرِي الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ^(١) ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلَكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلَكِ الْأَقْدَارُ .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدونةُ والأخبارُ المخلدةُ ، والحكمُ المخطوطةُ التي تُحَصِّنُ الْحِسَابَ وَغَيْرَ الْحِسَابِ ، لَبْطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ ، وَلَغَلَبَ سُلْطَانُ النَّسْيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْزَعٌ إِلَى مَوْضِعٍ اسْتَذْكَارٍ . وَلَوْ تَمَّ ذَلِكَ لَحَرَمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْدَارَ حِفْظِ النَّاسِ لِعَوَاجِلِ حَاجَاتِهِمْ وَأَوَائِلِهَا ، لَا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا مَذْكُورًا وَلَا يُغْنِي فِيهِ غَنَاءُ^(٢) مَحْمُودًا . وَلَوْ كُفِّتْ عَامَّةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَصْطَنِعُ الْكِتَابَ ، أَلَّا يَزَالَ حَافِظًا لِفَهْرَسْتِ كِتَابِهِ لِأَعْجَازِهِ ذَلِكَ ، وَلِكُفِّ شَطَطًا ، وَلَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ . وَفَهْمُكَ لِمَعَانِي كَلَامِ النَّاسِ ، يَنْقُطِعُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فَهْمِ عَيْنِ الصَّوْتِ مُجَرَّدًا ، وَأَبْعَدُ فَهْمِكَ لَصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامَلِكَ وَالْمَعَاوِينَ لَكَ ، مَا كَانَ صِيَاحًا صَرَفًا ، وَصَوْتًا مَصْنَعًا وَنِدَاءً خَالصًا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفَاهِمَةِ ، وَعُطْلٌ مِنَ الدَّلَالَةِ . فَجَعَلَ اللَّفْظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وضوايه المدكا في ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح
٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رفع الحواجب ، وكسر
الأجفان ، ولئى الشفاء وتحريك الأعناق ، وقبض جلد الوجه ، وأبعدها
أن تلوى ثوب على مقطع جبل ، مُجَاهَ عَيْنِ الناظر ، ثم ينقطع عملها ويدرس
أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كل شئ فضل عن انتهاء مدى الصوت
ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب . فأى نفع أعظم ،
وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !! وليس للعقد حظ
الإشارة فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عز وجل القلم فى المكان الرفيع ، ونوّه بذكره
فى المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فاقسم بالقلم
كما أقسم بما يُحِطُّ بالقلم ، إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشق
غباره ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتسكلف [بُعْدَ] غايته . لكن لما أن
كانت حاجات الناس بالحضرة ^(١) أكثر من حاجاتهم فى سائر الأماكن ،
وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة واكدة ، وراية ثابتة ،
وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون فى الغيبة وعند النائية ، إلا
ما خُصِّصَ به الدواوين ؛ فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قَدِّمُوا اللِّسَانَ عَلَى الْقَلَمِ . فَاللسانُ الآنَ إِنَّمَا هُوَ فِي مَنَافِعِ الْيَدِ^(١) وَالْمُرَافِقُ الَّتِي فِيهَا ، وَالْحَاجَاتِ الَّتِي تَبْلُغُهَا .

(فَضْلُ الْيَدِ)

فَمِنْ ذَلِكَ حَظُّهَا وَقِسْطُهَا مِنْ مَنَافِعِ الْإِشَارَةِ ، ثُمَّ نَصِيبُهَا فِي تَقْوِيمِ الْقَلَمِ ، ثُمَّ حَظُّهَا^(٢) فِي التَّصْوِيرِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الصَّنَاعَاتِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الْعَقْدِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي إِبْصَالِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى الْفَمِ ، ثُمَّ التَّوَضُّؤُ وَالْإِمْتِسَاحُ^(٣) ، ثُمَّ انْتِقَادِ الدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ ، وَفِي الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، وَأَصْنَافِ الرَّئْيِ ، وَأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وَأَصْنَافِ الطَّغْنِ ، ثُمَّ التَّقْبِيرِ بِالْعُودِ وَتَحْرِيكِ الْوَرِّ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَبْطَلُ الضَّرْبُ كُلُّهُ أَوْ عَامَّتُهُ . وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَهَا ضَرْبُ الطَّبْلِ وَالذَّفِّ ، وَتَحْرِيكِ الصِّفَاقَتَيْنِ^(٤) ، وَتَحْرِيكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ الْمَزَامِيرِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِطْلَاقِ وَالْحَبْسِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْيَدِ إِلَّا إِمْسَاكُ الْعِنَانِ وَالزُّمَامِ وَالْخَطَامِ ، اسْكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُظُوظِ .

وَقَدْ اضْطَرَبُوا فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْعَقْدِ وَالْإِشَارَةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ مَغْزَانًا فِي هَذَا الْكِتَابِ سِوَى هَذَا الْبَابِ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا مِمَّا أُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ إِخْوَانُنَا

(١) فِي ل « إِنَّمَا يَوْفَى مَنَافِعِ الْيَدِ » .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَمُكَرَّرَاتُهَا هِيَ فِي ط : « خَطُّهَا » وَهُوَ تَصْحِيفُ أَصْلَحَ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « وَالتَّمْسِجِ » .

(٤) الظَّاهِرُ أَنَّهَا آلَةُ مُوسِيقِيَّةٌ تَشْبَهُ تِلْكَ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا أَصْحَابُ الْمَوْسِيقِ النَّحَاسِيَّةِ : قُرْصَيْنِ نَحَاسَيْنِ يَضْرِبُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ .

وخلطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد
٢٦ الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتبي ، من طريق
فضل^(١) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما
قصّدتنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتاب هو الذي يؤدّي إلى الناس كتب الدين^(٢) ، وحساب الدواوين
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكته ، وبلغ ما استنطقته . ومن
لك بمسامر لا يتبدّيك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،
ولا يحوجك إلى التجمّل له والتذمّم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل
زيارته غيباً ، ووروده خمساً ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، وكان منك
مكان بعضك .

والقلم مكتفٍ بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدّ لبيان اللسان
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك^(٣) خاصّ الخاصّ
إذا كان أخصّ الخاصّ قد يدخل في باب العام ، إلا أنّه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفي خاصّ [الخاصّ] باللفظ عمّا أدّاه ، كما اكتفى عامّ العامّ والطبقات
التي بينه وبين أخصّ الخاصّ .

والكتاب هو المجلس الذي لا يُطربك ، والصديق الذي لا يغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيق الذى لا يملك ، والمستريح الذى لا يسترثك^(١) ، والجار الذى لا يستبسطيك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالتفاق ، ولا يحتال لك بالكذب . والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشحد طبعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بنانك ، وفخم ألفاظك ، وبجح^(٢) نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك ، وعرفت به فى شهر ، ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر ، مع السلامة من الغرم ، ومن كدّ الطلب ، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ، ومن الجلوس بين يديّ من أنت أفضل منه خلقاً ، وأكرم منه عرقاً ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارئة الأغبياء . والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك فى السفر كطاعته فى الخضر ، ولا يعتلّ بنوم ، ولا يعترّيه كلال السهر . وهو المعلم الذى إن افتقرت إليه لم يُخفرك ، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عزّلت لم يدع طاعتك ، وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلقاً بسبب أو معصياً بأذى حبل ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تضطرّك [معه] وحشة الوحدة إلى جليس سوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلّا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى المارة بك ، مع ما فى ذلك من التعرّض للحقوق التى تلزم ، ومن فصول

(١) المستريح : طالب العرف . واستراثة : استبطاء . وفى ط : « يسترثك » . وفى ل :

« يسترثك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البجح بحركة : الفرح ، وبجح به كفرج ، وبجحته تبيحها فتبجح : أى أفرحته ففرح .

النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ^(١) ، ومن ملاسة صغار الناس ، وحضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ، وجهالاتهم المذمومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ، مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخْفِ المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه أَسْبَغَ النعمة وأعظم المِنَّة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفسكاهات ساعات ليلهم ، الكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروءة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح دين ، ولا في تشير مال ، ولا في ربّ صديعة ^(٢) ولا في ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبنيه في وصيته : يَا بَنِيَّ لَا تَقُومُوا فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَاقٍ ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهب المسكارم إلا من الكتب .

وسمعت الحسن اللؤلؤي ^(٤) يقول : غَبَرْتُ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قَلْتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الخوض » .

(٢) رب الصديعة : تعهد بها .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصي بفيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بُتْ [ولا اتسكات] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى ^(١) .

وقال ابن الجهم : إذا غشيَ النعاسُ في غير وقت نوم — وبئس الشيءُ النومُ الفاضلُ ^(٢) — عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحكم ، فأجدُ اهتزازي للفوائد ، والأريحية ^(٣) التي تعزيني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين ^(٤) أشدَّ إيقاظاً من نهي الحمير وهدة الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدةَ ورأيتُ ذلك فيه — فلو تراني وأنا ساعةً بعد ساعةٍ أنظرُكم بقي من ورقٍ مخافة استنفاده ، وانقطاع المادّة من قلبي ، وإن كان المصحفُ عظيم الحجم كثير الورق ، كثير العدد — فقد تمّ عيشي وكَمَل سروري .

وذكر العتيبي ^(٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طوله وكثرة ورقه

= زياد اللؤلؤ الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلي . . وقد روى الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤي كان في بعض الليالي بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعى المأمون ، فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده ! !

(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقليل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط : « الفاضل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحية » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التبين » .

(٥) في ل : « التقيي » وهو تصحيف ما في ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان قاضياً وتوفي سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتيبي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يمينه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : لكفى ما رغبني فيه إلا الذي زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلاقى من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كبا دخلت .

٢٨ وقال العتيبي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه ^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يُحكِم مقالة واحدة ، على أنه حرٌّ مخير ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شيئاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال ^(٢)] : إنما رغبني ^(٣) في العلم أتى ظننت أني أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المواعيد ، فأني لا أريد العلم بشيء ! !

== وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن التميمي ١٧٦ : « كان العتيبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن يثان طيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألق به ، لأنه كان يمسك حياقي ويدبر جسمي » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بمقله ، فحدث له منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ انظر القفطي ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركل ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) في الأصل « ورغبني »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبه أكثر من سَمَاعِهِ ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَفُ [إليه] ^(١) ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، أَلَدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، أَلَدَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستَهترين بالبيان ^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس يَنْتَفِعَ بإنفاقه ، حتى يؤثر اتِّخَاذُ الكتبِ إِنْثَارَ الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يَوْمَل في العلم ما يَوْمَل الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السديّ مرة : ودِدْتُ أَنْ الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة ^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تَجْيِيز ^(٤) الخبر الأسود المشرق البراق ، وعلى استجداء الخطِّ والإرغاب لمن يخطُّ ، فَإِنِّي لم أَرَكُورِقَ كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرِمتُ مالا عظيماً - مع حُبِّي للمال وبُغْضِي الغُرْم - كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلايذه .

(٢) المستَهتر : المولع بالشئ المبهك فيه . وفي ط : « أَلَدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستَهترين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل لتصحح .

(٣) في ط : « حرص على المقالات » وصوابه ما في ل . وحرصيص إنما يجمع على حرص - كرمان ،

وحرصاص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكْرِ الآفات .
قلت لإبراهيم : إِنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاقِ النصارى على
البيع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ
وُسُنَنِ [وَأَتْبِئْنَ وَتَبِيئْنَ] ^(١) ، أو لو كانت كتبهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصناعاتِ ،
أو سُبُلَ التَّكْسِبِ والتجاراتِ ، أو كتبَ ارتفاعاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعض
ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإن كان ذلك لا يقربُ من غِيٍّ
ولا يُبعدُ من مَأْتَمٍ — لكانوا أَمْنٌ قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ
٢٩ في التَّيْبِ ^(٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدَّيَّانَةِ ، [و] على طريقِ تعظيمِ
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاقِ المخوس على بيت النار ، وكإنفاقِ
النصارى على صُلْبَانِ الذهب ، أو كإنفاقِ الهند على سَدَنَةِ البِدَّةِ . ولو كانوا
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمةِ لهم مبدولةً ، والطرقُ إليها سهلةً
معروفةً . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلَّا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلغُوا في ذلك بعفُوهم ،
ما لا تبلغُهُ النصارى بغايةِ الجُهدِ .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْقَ ، حين استجاز هذا السَّيْلُ ملكٌ من
ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنَّ أحدًا لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوأنفُسهم

(١) في الأصل « تَبِيئْنَ وَتَبِيئْنَ » وصححه بما ترى .

(٢) في ط : « التَّيْبِ » .

به ، فلمّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بالجلال ، وغطّاه بالكراميس ^(١) ، وطبّخَ سلاسلَ القناديلِ حتّى ذهبَ عنها ذلك التلألؤُ والبريقُ ؛ وذهبَ إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانبٌ لسنة الإسلام ، وأنّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدَّفَاقَ ، مَذْهَلَةٌ للقلوبِ ، وَمَشْغَلَةٌ دُونَ الخشوعِ ، وأنّ البالَ لا يكونُ مجتمعاً وهناك شيءٌ يفرّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس في كتبهم مثلُ سائر ، ولا خبرٌ طريف ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميّة ، ولا تعريفٌ صنّاعة ، ولا استخراجُ آله ، ولا تعلیمٌ فِلاحَةٍ ، ولا تدبيرٌ ^(٢) حرب ، ولا مقارعة ^(٣) عن دين ، ولا مناضلة عن نحلة ، وجُلُّ ما فيها ذكرُ النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافدُ العفاريت ، وذكرُ الصنديد ، والتهيل بعمود السنخ ^(٤) ، والإخبار عن شقلون ، وعن الهامة [الهامة] . و [كله] هَذَرٌ وعِىٌّ وخُرَافَةٌ ، وسُخْرِيَةٌ وتكذُّبٌ ، لا ترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مؤثقاً ، ولا تدبيرَ معاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصّة ^(٥) . فأىُّ كتابٍ أجْهَلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أفسدُ من كتابٍ

(١) الكرياس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزّة : فعلال . والنسبة كرايبيسى ، كأنه شبه بالأنصاري .

(٢) في ط : « تدبر » والوجه ما في ل .

(٣) ماعدال : « منازعة » .

(٤) في ط « الصبح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصة » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل ...

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع ^(١) بالديانة ، [لا ^(٢)] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دينٍ ! ؟ والناسُ لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامةٌ سرقها [وإحضارٌ نفعها . وأما الدين فأقلُّ ما يُطمع في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورةٍ مغلفة ، ويموه تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل ^(٣) . فليس إنفاقهم عليها من حيث ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [آخلاقاً وأكثر] فساداً ، يحتاج ٣٠ من الترقيع والتموه ^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ ^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشدَّ انتشاراً من اليهودية تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تريثهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتب كلَّ ما تسمع ، فإن أخسَّ ما تسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض ^(٦) .

(١) في ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) في ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلط فيه الكثير

ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجه العبارة من ل ، بهد أن حذف (لا) .

(٤) في ط : « احتاج من الترقيع والتموه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما في ل . ويطابقه ما في المحاسن والمساوي ١ : ٩ وانظر الجيران ٥ : ٢٤٨ . وفي

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن في ط : « من مكان » .

وقال الخليل بن أحمد : تكثّر من العلم لتعرف ، وتقلّل منه لتحتفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير ^(١) :

أما لو أعى كلّ ما أسمعُ وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفدْ غيرَ ما قد جمعتُ لقليلِ هو العالمُ المصقعُ ^(٢)
ولكنّ نفسى إلى كلّ نو عٍ من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ
وأحصرَ بالعمى في مجلسى وعلمى في الكتبِ مستودعُ
فن يكُ في علمه هكذا يكنُ دهره القهقرى يرجعُ
إذا لم تكنُ حافظاً واعياً فجمعك للكتبِ لا ينفعُ

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلّف ابنُ يسيرِ الكتبَ ما ليس عليها . إن

الكتبَ لا تحيى الموتى ، ولا تحوّل الأحمقَ عاقلاً ، ولا البليدَ ذكياً ،

ولكنّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قبُول ، فالكتبُ تشحّد وتفتّق ،

وترهّف وتشفى . ومن أراد أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغي لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولد لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي

الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقلداً ، لم يفارق البصرة ،

ولا وفد إلى خليفة ولا شريف متجعاً ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،

وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الجاحظ

في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو

يكون نسبة في المحاسن والمساوي ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيء اعتراه ! ! فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غير غفلٍ من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلّا نسي ما هو أكثر منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحَدَّثَنِي موسى بْنُ يَحْيَى قَالَ : ما كان في خزانة كتّابٍ يحْيى ، وفي بيت مدرسه ^(١) كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُهُ ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ البدن ، إلّا اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إنَّ في دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سوءة ، وهم جلوسٌ على خُميرة لهم ^(٢) ، وعندهم طُنبُورٌ . فتسورنا عليهم ^(٣) في جماعةٍ من رجالِ الحَيِّ ، فإذا قُيِّ جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرّس كتّاب ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدرّس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خُميرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الخُميرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغاني ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فذمرنا عليهم » . صواب هذه « فذمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتي في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دقراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءةُ فى ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتُم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتى أصحابه شيوخ ، وفى يده دقَرُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكرياء !

وأشدد رجلٌ يونسَ النحرى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنائته بالعلم ، وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الرُّوح ، وضعُ مالك بمكان البدن ! !

وقبل لابن داحية - وأخرج كتاب أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كوفية ، ودفتين طائفيتين^(١) ، بخطٌ عجيب - فقبل له : لقد أُضيع من تجوّد بشعر^(٢) أبى الشمقمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيك على حساب ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودعه سويداء قلبي ، أو أجعله محفوظاً على ناظرى ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان فى إمرته ، فرأيتُ السَّماطين والرجالَ مثولاً كأنَّ على رعوسهم الطير ، ورأيتُ فرشتته وزرته ، ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو فى بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقماطُ والدفاترُ والمساطرُ والمخابرُ ، فما رأيته قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيَبَ

(١) فى ط : « طائفين » والصواب ما فى ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) فى ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحية : كان عبدُ الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ يرى إلا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمتع ^(١) من كتاب ، ولا أسلمَ من الوحدة . فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدَها للجاهل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوط بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعة الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عز وجل ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تكتب أعمالهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظ نسيانٌ ، ولكنته تعالى وعزٌّ ، علم أن كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كدُّ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ما هنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر ، وهو خط الحازي والعراف^(١) والزاجر . وكان فيهم
 حليس^(٢) الخطاط الأسدي ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :
 فأنتم عضاريط الحليس إذا غزوا غناؤكم تلك الأخطيط في الترب^(٣)
 وخطوط آخر ، تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر ، كما يعترى المفكر
 من قرع السن ، والغضبان من تصفيق اليد وتجحيط العين . وقال تائب شراً :
 لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق
 وفي خط الحزين في الأرض يقول ذو الرمة^(٤) :
 عشيّة مالى حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع^(٥)
 أخط وأخو الخط ثم أعيدته بكفى والغربان في الدار وقع
 وذكر النابغة صنيع النساء ، وفرعن إلى ذلك ، إذا سبين واغتربن
 وفكرن ، فقال :

- (١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة
 في العرب . والبراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :
 جعلت لعراف النيام حكمة وعراف حجر إن هما شفياني
- (٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع السامى ص ١٣٠ . وورد في ل برسم
 « حليس » وفي ط برسم « جلس » .
- (٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملايط ، وعضروط كعصفور ، قال في
 القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، والثلثم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه
 ١٥٩ يهجو به تيميا وأسدا .
- (٤) قال الثعالبي في الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
 في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرعا البيان ! ! ثم يجبر بما
 يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :
 عشيّة مالى حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع »
- وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .
- (٥) في الثمار كما كتبت « بلقط » بالالف بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وانظر
 تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَحْطِطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَانِ رُمَانَ الثُّدِيِّ النَّوَاهِدِ
وَقَدْ يَفْزَعُ إِلَى ذَلِكَ الْحَجَلِ وَالْمَتَعَلِّ ، كَمَا يَفْزَعُ إِلَيْهِ الْمَهْمُومُ وَهُوَ قَوْلُ الْقَاسِمِ
ابْنِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا يَنْقَرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَلْمَسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ^(١)
بَلْ يَبْسُطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الْكِنْدِيِّ ، وَذَكَرَ رَجُلًا سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَعْتَرَاهُ الْعَبْتُ
بِأَسْأَلِهِ ، فَقَالَ :

وَأَصَرَ بِكَفِّهِ يَحْتَبِكُ ضِرْسًا يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعٌ بِضُرْسِ
وَرَبَّمَا اعْتَرَى هَوْلًا عُدَّ الْحَصَى ، إِذَا كَانُوا فِي مَوْضِعِ حَصَى ، وَلَمْ يَكُونُوا
فِي مَوْضِعِ تَرَابٍ ، وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعُدُّ الْحَصَى مَا تَنْقَضِي حَسْرَاتِي
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

نَهْرًا جَارِيًا وَبَيْتًا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْمَكَارِمِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَمَهُمْ بَلَقُطٍ حَصَاكَ^(٢)
وَقَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ يَصِفُ أَمْرًا قُتِلَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ مَحْزُونَةٌ تَلْقُطُ الْحَصَى :
وَبِضَاءٍ مَكْسَالٍ كَأَنَّ وَشَاحَهَا عَلَى أُمِّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَدُولٍ^(٣)

(١) في ط : « يَنْكُون » ، وهو تصحيف ، وفي س « يَنْكُون » ، وفي ل وكذلك عيون
الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزباني ٣٣٢ « لَا يَنْقَرُونَ » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب
١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تَرَاخٍ » لعلها « بَرَاخ » كسحاب ، وأصل معناه الفسح من الأرض . و « تَعْلَمَهُمْ »
هي في ط : « تَعْلَقُهُمْ » وليس بشئ . وفي ل « تَعْلَلَهُمْ » وهو خطأ كتابي .

(٣) في ط : « الْمُقْلَتَيْنِ » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقتلتين يعني به الظبي .
والخدول من وصف أمه ، وهي التي غدلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ،
فهى فزعة ولعة على خشفها ، وهي تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى

مع الصُّبْح ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ

يقول : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلاً عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورِثْهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاطِ الْحَصَى . يَخْبِرُ أَنَّه لَمَنْعَتْهُ ، لَا يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْد .

(أَقْوَالُ الشُّعْرَاءِ فِي الْخَطِّ)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ

قال : قَالَ الْمُتَنَقِّعُ الْكِنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :

كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغَلَامِ أَجَادَهُ ^(١) بِمَدَادِهِ ، وَأَسَدَّ مِنْ أَقْلَامِهِ ^(٢)

قَلَمٌ كَخُرْطُومِ الْحَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ

يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاهَا لِيَبَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أُرْسَامِهِ

مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادُ سُخَامِهِ حَتَّى تَغْيِرَ لَوْنُهَا بِسُخَامِهِ

يَحْنَى فَيُقْصِمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ ^(٣) كَقَلَامِهِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ

وَبِأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاعَمَ فَاسْتَوَى سَقَى الْمَدَادَ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ

مُسْتَعْجِمٌ ، وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا ^(٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) فِي ط : « كَتَبْتُ » وَقِي ل « كَفَّ » وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ س .

(٢) فِي ط : « بِمَرَادِهِ » وَهُوَ تَصْغِيفُ ظَاهِرِ .

(٣) فِي ط : « يَحْنَى » وَإِنَّمَا هُوَ « يَحْنَى » بِالْهَاءِ كَمَا فِي ل ، أَيْ يَرْقِ سَنَهُ ، فَيَتَغَيَّرُ فِي الْكِتَابَةِ . وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ حِفَا الْقَدَمِ وَالْخَفِّ وَالْخَافِرِ .

(٤) فِي ط : « مُتَعَجِّمٌ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل ؛ لِأَنَّهُ الْوَجْهَ وَاسْتَعْجِمَ : سَكَتَ ، وَمَنْعَهُ قَوْلُ النَّافِثَةِ :

فَاسْتَعْجِمْتَ دَارَ نَعَمٍ مَا تَسْكَلُنَا وَالِدَارَ لَوْ كَلِمَتُنَا ذَاتَ أَغْيَارٍ

وَاهُ تَرَايَجَةٌ بِالسَّنَةِ هُمْ تِيَانٌ مَا يَتْلُونَ مِنْ تَرْجَامِهِ
 مَا خَطٌّ مِنْ شَيْءٍ بِهِ كِتَابُهُ مَا إِنْ يَبُوحُ بِهِ عَلَى اسْتِكْتَامِهِ
 وَهَجَاؤُهُ قَافٍ وَلَا مِ بَعْدَهَا مِمَّ مَعْلَقَةٌ بِأَسْفَلٍ لَامِهِ
 ثُمَّ قَالَ :

قَالَتْ لَجَارَتَهَا الْغَزِيلُ إِذْ رَأَتْ قَدَ كَانَ أَيْضًا فَاغْتَرَاهُ أَذْمَةٌ
 كَمْ مِنْ بُيُوزِلٍ عَامِهَا مَهْرِيَّةٌ وَهَبَ الْوَلِيدُ بَرَحْلَهَا وَزَمَامَهَا (١)
 وَفَوْرِحَ عَتَدَ أَعْدَ لِنِيَّةٍ وَكَذَلِكَ ذَاكَ بَرَحْلِهِ ، وَزَمَامِهِ
 وَهَبَ الْوَلِيدُ بَسْرَجَهَا وَلِجَامَهَا لَبْنُ الْقُحُوحِ فَعَادَ مِلَّءَ حِزَامِهِ (٢)
 أَهْدَى الْمُقَنَّنَ لِلْوَلِيدِ قَصِيدَةً وَكَذَلِكَ ذَاكَ بَسْرَجَهُ ، وَلِجَامَهُ
 وَلَهُ الْمَأَثَرُ فِي قَرِيشٍ كُلِّهَا كَالسِّيفِ أَرْهَفَ حُدَّهُ بِحُشَامِهِ
 وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ جَمَاعَةَ الْجَدَائِي (٣) فِي الْخَطِّ :

- (١) فِي ط : « وَزَمَامَهَا » وَالصَّوَابُ مَا كَتَبْتُ مِنْ ل .
 (٢) أَنَّى بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . الْقَوْرِحُ : مَصْرَفُ قَارِحَ ، وَهُوَ مِنْ ذِي الْخَافِرِ ، بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ
 مِنَ الْإِبِلِ . الْعَتَدَ مَحْرُكَةً وَكَكْتَفَ : الْمَعْدَ لِلْجَرَى ، أَوْ الشَّدِيدَ التَّامَ الْخَلْقَ . الْقُحُوحُ :
 النَّاقَةُ قَدْ لَقِحت . . وَكَانَ الْعَرَبُ يَسْقُونَ كِرَامَهُمُ الْخَيْلَ أَلْبَانَ الْإِبِلِ . قَالَ الْأَعْرَجُ
 الْمَعْنَى (الْحِمَاسَةُ ١ : ١٣٠) :
 أَرَى أَمْ سَهْلٌ مَا تَزَالُ تَفْجِعُ تَلُومُ وَمَا أَدْرَى عِلَامَ تَوْجِعِ
 تَلُومُ عَلَى أَنْ أَمْنَحَ الْوَرْدَ لِقَعَةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدُ سَاعَةٌ تَفْزَعُ
 إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مَشْمَعَةً نَخِيبُ الْفُؤَادِ رَأْسَهَا مَا يَتَنَعِ
 وَقَمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مِيرَا هُنَاكَ يَجْزِي بِي مَا كُنْتُ أَصْنَعُ
 وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ الْبَصْرِ الْجَرِي (الْحِمَاسَةُ ١ : ٢٤٦) :
 هَاجَرْتُ يَا بَنْتَ آلِ سَدِّ أَنَّ حَلَبَ لِقَعَةً لِلْوَرْدِ
 جَهَلْتُ مِنْ عَنَانِهِ الْمَشْدَ وَنَظَرْتُ فِي عَطْفِهِ الْأَسَدَ
 (٣) كَذَا فِي ل وَ س . . وَقَدْ وَرَدَ « جَمَاعَةُ » بِإِثْنَاءِ فِي ط .

إِلَيْكَ بِسِرِّي بَاتَ يُرْقِلُ عَالِمٌ

أَصْمُ الصَّدَى مُخَوِّرُ السَّنِّ طَائِعٌ^(١)

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالَهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ

كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسَرِّهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حَنَنْتَهُ الْأَصَابِعُ

لَهُ رَيْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرْتٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعِ صَهَقَتِهَا الْأَصَابِعُ^(٢)

وَقَالَ الطَّائِيُّ ، يَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ :

وَمَا بَرِحْتَ صُوراً إِلَيْكَ نَوَازِعاً أَعْتَنَهَا مُذْ رَاسَلْتِكَ الرِّسَالُ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَاتِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَقَاصِلُ^(٣)

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا لَمَّا اخْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلُ^(٤)

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشَارَتَهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

لَهُ رَيْقَةٌ طَلُّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا بِأَثَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ

إِذَا مَا مَتَطَى الْحَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لَنْجَوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ^(٥)

(١) في ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصلى : جسد الآدى بعد موته . فهو

بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصلى كذلك : رجع الصوت ،

فكان القلم ينطق في القِرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنتها » . وفي البيت تعريف كما ترى .

(٣) في ط : « بباته » موضع بباته ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا نجيتها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استغزر الذهن المجلى » وأثبت ما في ل .

وقد رفدته الخنصران وسدّت ثلاث نواحيه الثلاث الأنايل^(١)

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل^(٢)

أرى ابن أبي مروان أمّا لقاؤه فدان وأمّا الحكم فيه فعدال

٣٥ وقد ذكر البُحترى في كلمة له ، بعض كهول العسكر^(٣) ، ومن أنبل أبناء

كتابهم^(٤) الجلة فقال :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجاره ، وخِلقة

مُرَكَّبَةً في البُنيان ، فربما كان الكتاب هو النائي ، وربما كان

الكتاب هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمر جسيم ، أو عهداً لأمر عظيم ،

أو موعظة يُرتجى نفعها ، أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره ،

[أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قبة عُمدان^(٥) ، وعلى باب القبرِوان^(٦) ،

(١) في ط : « وقد رمزته الخنصران وشدت » وهو تعريف ما أثبتته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة

إلى الحسن بن وهب ، في مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرها منها عبيد الله

ابن حسان ، في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . ولبيت

المذكور من قصيدة في ديوان البُحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعذل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) في ط : « أنيل ابناكتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) عُمدان : قصر بين صنعاء وطبوة ، واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة

في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَنْد^(١) ، وعلى عمود مَأْرِب^(٢) ، وعلى ركن المَشْقَر^(٣) ، وعلى الأَبْلَقِ الْفَرْدِ^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يَعْمِدُونَ إلى الأماكن المشهورة ، والمواقع المذكورة ، فيضعون الخطَّ في أبعدِ المواضع من الدُّثُور ، وأمنعِها من الدُّروس ، وأجدرَ أَنْ يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل الملاحظات والمخالفات)

وأقول : لولا الخطوط لَبَطَلَتِ الْعُهُودُ وَالشُّرُوطُ وَالسَّجِلَاتُ وَالصُّكَّالُ ، وكلُّ إقطاع ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهدٍ وَعَقْدٍ ، وكلُّ جوارٍ وحلف . ولتُعْظِمَ ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يَدْعُونَ في الجاهلية مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ ذِكْرَ الْحِلْفِ وَالْهُدْنَةِ ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيدياً عن النسيان ، ولذلك قال الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ ، في شأنِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ^(٦) :

واذكروا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قَدْ سَدَّمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكِفْلَاءُ

-
- (١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالخيرية . انظر المعجم .
 - (٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .
 - (٣) المَشْقَر : حصن كان بالبحرين ، وفي ط : « الركن المَشْقَر » ، وأصلحته من ل والمخاسن ٣ .
 - (٤) قال ياقوت : هو حصن السموهول بن عادياء اليهودي ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبيية من لبن ، لاتدل على مايحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو غراب .
 - (٥) مدينة بالجزيرة .
 - (٦) البيتان من مملكة الحارث المشهورة ، التي مطلقها :

أَذْنَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءَ رَبِّ ثَاوِ يَمِلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الحون : الخيانة .

ويروي : الجور » .

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْبَغُ قَضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءِ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مهاريق حتى
تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، وميثاق ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقُومِ والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البرِّ
والغُزُول ، وأصحابُ السَّاجِ وعامةُ المتاجر ، وليس بين الوُسُومِ ^(١) التي تكون
على الخافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلْفِ كلِّه ، وبين الرقوم فرق ، ولا بين
العقودِ والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلُّها فرق ، وكلُّها خطوط ،
وكلُّها كتاب ، أو في معنى الخطِّ والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعة
والمصوِّرة من الصوت المقطَّع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوِّرة من
السواد في القرطاس فرق .

٣٦ وَاللِّسَانُ : يَصْنَعُ فِي جَوْبِهِ ^(٢) النَّهْمَ [وهوائه الذي في جوفِ النِّم]
وفي خارجه ، وفي لُحَاثِهِ ، وباطنِ أَسْنَانِهِ ، مثل ما يصنع القلم في المدادِ وَاللِّبْقَةِ
والهواءِ والقرطاسِ ، وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخلقٌ موائل ، ودلالات ،
فيعرف منها ما كانَ في تلك الصُّوَرِ لكثرةِ تَرَدُّدِهَا على الأَسْمَاعِ ^(٣) ،
ويعرف منها ما كان مصوراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار ،
كما استدلُّوا بِالضَّحْكِ عَلَى السُّرُورِ ، وبِالْبُكَاءِ عَلَى الأَلَمِ . وعلى مثل ذلك
عرفوا معاني الصُّوَرِ ، وضروبَ صُوَرِ الإِشَارَاتِ ، وصورِ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ ،

(١) في الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هي « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ما عدا ل : « جوية » .

(٣) كذا في ل . ووردت بحرفه في ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلب اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبي الزجر والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهديد^(١) ، ويمثل ذلك اشتدّ حُضر الدابة مع رفع الصوت ، حتّى إذا رأى سائسه حمم . وإذا رأى الحمام المقيم عليه انحطّ للقط الحبّ ، قبل أن يُلقَى له مايلقطه . ولولا الوسوم^(٢) ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموال الخلل الكثير ، وعلى خزائن الناس الضرر الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمة بها طريق^(٣) أو لها مُسكّة ، ولا جيل لهم قبض وبسط ، إلّا ولهم خطّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والجباية ، والدبّانة والعبادة ، فهناك الكتاب المتقن ، والحساب المحكم ، ولا يخرج الخطّ من الجرم والمسند المنعم والسمون^(٤) كيف كان ، قال [ذلك] الهيم [ابن عدى] ، وأبن الكلبى .

(تخليد الأمم لماثرها)

[قال] : فكلّ أمة تعتمد في استبقائها ماثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب ، وشكل من الأشكال .

-
- (١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهديد » وفي ط : « وودع المجنون الوعيد والتهديد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « وودع » . وكتبت « وعى » موضع « وودع » لتتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .
- (٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .
- (٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .
- (٤) بدلة في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ سمي .

(تخليد العرب لما آثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تختال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعر يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعر الراغبِ ، والمادح ، وفضيلةَ المأثرة ، على السيد المرغوبِ إليه ، والمدحور به . وذهبت العجمُ على أن تقيّد ما آثرها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد^(١) ، وبنى أَرْدشير بيضاءِ إصطخر ، وبيضاء المدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنَّ العربَ أحبَّت أن تشارك العجمَ في البناء ، وتنفرد بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبةَ نَجْران^(٢) ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب^(٣) والأبلى الفرد ؛ و [فيه وفي^(٤)] مارد ، قالوا : « تَمَرَدَ ماردٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريفَ الأسماء ، إلّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقِباب الخضر ، والشُرَف على حيطان الدار ، وكالعقد على الدهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بُنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاةً للكعبة . وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاسوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباحلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بلومة الجنادل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزبباء ، وقد غزتها ، فامتنتا عليها » تَمَرَدَ مارد وعزَّ الأبلق . فصارت مثلا لكل عزيز متنع .

حضر « كُتُبُ الحكماء وما دَوَّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق ^(١) » ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بَقِيَّةٌ ومن لا بَقِيَّةَ له ، أبى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثرُ ردّاً ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحذوثة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحجارة وحيطان المدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثارٍ مَن قبلَهُم ، وأن يُحْمِتُوا ذَكَرَ أعدائِهِم ، فقد هَدَمُوا بذلك السببَ [أَكْثَرَ] المدنِ وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أَيَّامَ العِجَمِ وأَيَّامَ الجاهليَّةِ ، وعلى ذلك هم في أَيَّامِ الإسلامِ ؛ كما هدم عُثْمَانُ ضومعةَ عُمدان ، وكما هدم الآطام ^(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادُ كُلَّ قصر ومصنَع كان لابن عامر ^(٣) ، وكما هدم أصحابنا بناءَ مدن الشامات ^(٤) لبني مروان .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمه ويفسمتين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عُثْمَان . وانتفع سجستان وبلخ ومدن كثيرة في الشرق . وكان شجاعاً شجاعاً ، وصولاً لقومه ، رحباً محباً للعمراء . وتوفى سنة ٥٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فرسها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والقفظة ومدينتها دمشق ، وحمص ، وقسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أولُ من نَهَجَ سبيله ،
وسهلُ الطريقِ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلِّهْل بن ربيعة . وكتبُ
أرسطاطاليسَ ، ومعلِّمُه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس^(١) ، وفلان
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور^(٢) ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .
ويدلُّ على حداثة الشعر ، قولُ امرئِ القيس بن حُجْر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضِيَعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا^(٣)

أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خَفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِغْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا^(٤)

لَا حِمِيرِيٌّ وَفَى وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتَعِيرَ بِحِكْمِهَا الثَّقَرُ^(٥)

لَسَكُنْ عَوْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ لَا قِصْرَ عَابَهُ وَلَا عَوْرٌ^(٦)

فانظرْ ، كم كان عمرُ زُرارة ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبي عليه الصلاة
والسلام ؟ فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام —
خمسَين ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فائتي عام^(٧) .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلم بلسان

(١) في ط : « فَي بقرط » ، وما أثبت في ل . . وانظر القفطي (حرف الدال المهملة ثم
حرف الذال للمجعة) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جهات (حسنًا) بالنون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافي الديوان ١٥٩ . والمراد به
المعروف والجميل . والدخل ، كما قال أبو بكر : الذي يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والهد ، وانهاه مثلثة .

(٥) حميرى وعلس : رجلان من بني حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عور قد أجار هذا بنت حجر أخت امرئ القيس ،
فوفى لها حتى أتى بها نجران ففدحه بوفاء الذمة ، ونزحه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل
تقطّع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا]
كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من
المنثور . [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاش وبوّب لهم أبواب النطن ،
وعرّفهم وجوه المرافق ؛ حديثهم كقديمهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم
كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وُترجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطلَ ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوّلوا لم يجدوا فى
معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفطنهم
وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها
ونظر فيها . فقد صحَّ أن الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البُيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجَمَانَ
لا يؤدّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفیات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهها حقوقها ،
ويؤدّي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري^(١) ،
وكيف يقدر على أداها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريح ألفاظها ، وتأويلات
مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فتي كان رحمه الله تعالى
أبن البطريق ، وأبن ناعمة ، وابن قرّة ، وأبن فهرز ، وثيفيل^(٢) ،
وأبن وهيل ، وأبن المقفع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالد^(٣)
مثل أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواة غاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنه قد أدخل الضمّ عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإنما له قوة واحدة ، فإن تكلم

(١) في الأصل « المجري » وإنما هو « الجري » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس.

(٢) ابن فهرز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهرز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
وأما ثيفيل : فهو ثيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولي الخلافة ثلاثة أشهر . وقد قام بأول
نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية
خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم
كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفي خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغته واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوةُ عليهما ، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلما كان الباب من العلم أعمسَ وأصدق ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتةَ مترجماً يقبى بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله - عزَّ وجلَّ - بما يجوز عليه ممَّا لا يجوز عليه ، حتَّى يريد أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لا يجوز ، وبما يجوز على الناس ممَّا لا يجوز ، وحتَّى يعلم مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلات التي تَلْقَى الأخبارَ العاميةَ المخرَّجَ فيجعلها خاصيةً ؛ وحتَّى يعرف من الخبر ما يخصُّه الخبر الذي هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصُّه العقل ممَّا تخصُّه العادة أو الحال الرائدة له عن العموم ؛ وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرف اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المُحالِ من الصحيح ، وأى شئ تأويلُ المُحال ؛ وهل يسمَّى المُحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأى القولين أفحشُ : المُحال أم الكذب ، وفي أى موضع يكون المُحالُ أقطع^(١) ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثلَّ والبديع ، والوحي

(١) في الأصل « أقطع » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهدر ، والمقصود والمبسوط والاختصار ؛ وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهيمهم ، والذي ذكرناه قليل من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ في تأويل كلام الدين . والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والكيمياء ، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرقة لبعض المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لابد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن تكون مرتبة ، وكالخط الممدود^(١) . وأبن الطريق وابن قرة^(٢) لا يفهمان هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلم رفيق ، ومن حاذق طب ؛ فكيف بكتاب قد تداولته اللغات واختلاف الأقلام ، وأجناس خطوط الملل والأم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ، ثم كان العربي مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل للتقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية بدءاً من الاعتقار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ؛ وذلك أن نسخته لا يعدلها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالخط المنثور » وقد كتبت بدله ما في ل .

(٢) في الأصل : « وأبو قرة » .

مَنْ يَزِيدُهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي يَجِدُهُ فِي النِّسْخَةِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، ثُمَّ يِعَارِضُ
بِذَلِكَ مَنْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْخَطَا عَلَى حَالِهِ ، إِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ طَاقَتِهِ
إِصْلَاحُ السَّقَطِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ فِي نَسْخَتِهِ .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً ، أو كلمة ساقطة ،
فيكون إنشاء عشر ورقات^(١) من حرّ اللفظ وشريف المعاني ؛ أيسر عليه
من إتمام ذلك النقص ، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام ؛
فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا
الباب ! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح
صلاًحاً . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخر ، فيسير فيه
للورائق الثاني سيرة الورائق الأول ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدي
الجانية ، والأغراض المفسدة^(٢) ، حتى يصير غلطاً صرفاً ، وكذباً مصمّماً ،
فما ظنكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطاط بشرٍّ من
ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقادِم الميلاد ، دُهرى الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتب أنفعَ لأهلها من الشعر المقفى ؟
قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما زلتم ، أليس

(١) في ط : « أنشاء عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) في ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيته وفضله وسوره وصباته ، وهذا مظهر حاله على
شدة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفساد وتداول النقص ، حرى
بالتعظيم ، وحقيق بالتفضيل على البنيان^(١) ، والتقديم على شعر إن هو
حول تهاقت ، ونفعه مقصور على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ،
وليس بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحية وليست بحقيقة يئنة^(٢) ؛ وكلُّ
شيء في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات^(٣) في هذه
الكتب دون الأشعار ، وهاتنا كتبٌ هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب
أقليدس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسطي^(٤) ، مما تولاه الحجاج^(٥) ،
وكتبٌ كثيرة لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة
مظلومة ومغيَّرة^(٦) ، فالباقي كافٍ شاف ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلط
الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى
بنا القول^(٧) .

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بينة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المجسطي » بالشين ، وإنما هو « المجسطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته
كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيراً من حسابيه وأقيسته لحيط الأرض
والدرجة الأرضية ، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام ، وسما مجموع
أرسادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومفسرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب، والطب، والمنطق،
والهندسة، ومعرفة اللحن، والفلاحة، والتجارة، وأبواب الأصباغ،
والعطر، والأطعمة، والآلات. وهم أتوكم بالحكمة، وبالمنفعة التي في
الحمامات وفي الأصرطلابات، والقرسطونات^(١) وآلات معرفة الساعات،
وصنعة الزجاج والفُسيفساء^(٢)، والأسرنج^(٣) والزنجفور^(٤) واللازورد^(٥)
والأشربة، والأنبجآت^(٦)، والأيارجات^(٧) ولكم المينا، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
السكامل ١: ٢٦٢) قال: «وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات...» الخ
ووجدته في كتاب التزيين والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع السامي قال: «وغيرني
عن القرسطون كيف أخرج أحد راسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص» ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية، أنه ضرب من الموازين، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القبناني). وانظر النزهة المهجبة لداود ١: ١٥.

(٢) الفسيفساء: ألوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل.

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩: الأسرنج: أسرب يحرق، ويشب عليه النار
حتى يحمر.

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم «الزنجفر» جاء في الأول:
صنع معروف... وجاء في الثاني: أنه يتخذ من الزئبق والكبريت، يجعلان في
قوارير، ويوقد عليها، فيصير زنجفرا... قال الخوارزمي: والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق، وواحدا من كبريت.

(٥) الخوارزمي ١٤٨: هو حجر فيه عيون براقه يتخذ منها خرز.

(٦) الأنبيجات: جمع أنبيج، قال الخليل: حمل شجرة بالهند، يربط بالعسل على خلفة الخوخ،
محرف الرأس، في جوفه نواة كثرة الخوخ. وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤: فن
حنأ تسمى الأنبيجات، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج، ونحو ذلك... ١٠٤
وهي في ط «الأنبيجات» بالثاء وهو تصحيف.

(٧) في الأصل «الافشارجات» وإنما هي «الأيارجات» قال في القاموس: والأيارجة
بالكسر وفتح الراء، معجون مسهل معروف، جمعه أيارج معرب إياديه، وتفسيره البواء
الإلهي. وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ ص ٤.

والشَّيْبَةُ^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولحم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَا سَتَج^(٢) ، وتعليق الخيش ، واتِّخَاذ الجَمَازَات^(٣) ، وعمل الحَرَاقَات^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدَّبَابَات^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحَجَّاجُ أَوَّلَ مَنْ أَجْرَى فِي الْبَحْرِ السَّفْنَ الْمَقِيرَةَ الْمُسَمَّوَةَ غَيْرَ الْخَزْرَةَ ، والمدهونة والمسطحة ، وغير ذواتِ الْجَوْجُو ؛ وكان أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ الْحَامِلَ ، ولذا قال بعضُ رُجَّازِ الْأَكْرِيَاءِ^(٧) :

أَوَّلَ خَلَقِي عَمِلَ الْحَامِلَا أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَأَجَلًا
وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهِنَّ بَيْضُ مَحَامِلُ لِقَدْهَا نَقِيفُ^(٨)
وقال آخر^(٩) :

-
- (١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .
(٢) في ط : « النشاستج » وهو تحريف ما في ل . قال في التماموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .
(٣) سيفسرها الجاحظ قريباً .
(٤) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرى بها العدو .
(٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفسق .
(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أوماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينتقبونه وهم في جوفها .
(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .
(٨) الرجز وسابقة في البيان ٢ : ٣٠٤ .
(٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان (فرض) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِيْ فَهَنْ يَبْضُ مُحَامِلٌ فِيْهَا رِجَالٌ قَبْضُ

لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات^(١) لم تعرفوا صنعة الشبه ،
ولولا غضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أنَّ الذي
عَمِلْتُمْ^(٢) ظاهرٌ فيه التوليد ، منقوصُ المنفعة عن تمام الصَّيْنِيَّ . وعلى أنَّ
الشَّبهَ لم تستخرجوه ، وإِنَّمَا ذلك من الأمور التي وقعت اتفاقاً ، لسقوط
الناطف^(٣) من يد الأجير في الصُّفَرِ الذائب ، فحَقِمْتْ لإفساده ، فلمَّا رأيتم
ما أعطاه من اللون عَمِلْتُمْ^(٤) في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ
ما تهيأ لكم ، ولستم تخرُجون في ذلك من أحدٍ أمرين : إمَّا أن تكونوا
استعلمتم الاشتقاق من علم ما أورثوكم ، وإمَّا أن يكون ذلك تهيأً لكم من
طريق الاتفاق !!

(الجمازات)

وقد علمتم أنَّ أَوَّلَ شَأْنِ الْجَمَازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ أَمَرَتِ الرَّحَّالِينَ
أَنْ يَزِيدُوا فِي سِيرِ النَجِيَّةِ^(٥) التي كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢
فلما حُرِّكَتْ مَشَتْ ضَرْوباً مِنَ الْمَشْيِ ، وصنوفاً من السير^(٦) ، فجَمَزَتْ فِي

(١) في القاموس : الحملان في اصطلاح الصاغة : ما يحمل على الدراهم من الفس .

(٢) في ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشي ٣ : ٣٧٦ .

(٤) في ط : « علمتم » .

(٥) في ل : « البختية » .

(٦) في ل : « وضروباً من المرفوع » .

تحلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذّةً ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السّيرة ، فما زالوا يقرّبون ويبيّعون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى في كلّ ذلك تصوّبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدّوا من معرفة ذلك ما شدّوا ، ثمّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمركم ، من أن يكون اتّفاقاً ، أو اتّباع أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثمّ رجع بنا القول إلى التّربيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج على مَنْ زَرَى^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُختمَل ثِقَلُ مشورتهم في تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما يُسَدَّى إليهم ؛ فلن يُصان العلمُ بمثل بذله ، ولن تُستبقي النعمة فيه بمثل نشره . على أنّ قراءة الكتبِ أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التّلاقى يشتدُّ التصنّع ، ويكثرُ التّظالم ، وتُفرط العصبية ، وتقوى الحميّة ؛ وعند المواجهة والمقابلة ، يشتدُّ حبُّ الغلبة ، وشهوة المباهاة والرياسة ، مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ، ويظهر التّباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصّفة وعلى هذه

(١) أثبت ما في ل ، وهى في ط : « ذرى » مصحفة . . وزرى عليه كآزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعييت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من ذلك البُغية ، وإصابة الحجة ؛ لأنَّ المتوحد يدرسها^(١) ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عديم من له يباهى ومن أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتاب قد يفضل صاحبه ، ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمور : منها أنَّ الكتاب يُقرأ بكلِّ مكان ، ويظهر ما فيه على كلِّ لسان ، ويوجد مع كلِّ زمان ، على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع^(٢) في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان^(٣) مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وطلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدركتنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد خسر^(٤) حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرتنا ، ومنتهى تجاربنا

(١) في ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أنفلسهما مأثبه من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلّت المعرفة ، وسقطت الإهمة ،
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عقيماً ، والباطل فاسداً ، ولسكلّ الحد
وتبلّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسنُ موقعا ، كتبُ
الله تعالى ، فيها الهدى والرحمة ، والإخبارُ عن كلّ حكمة ، وتعريفُ كلّ سيئةٍ
وحسنة . وما زالت كتبُ الله تعالى في الألواحِ والصُّحف ، والمهارق^(١)
والمصاحف . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ الْم ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .
وقال ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . ويقال لأهل التَّوراة والإنجيل :
أهلُ الكتاب .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكونَ سبيلُنا لِمَنْ بعدنا ، كسبيلِ مَنْ كان قبلنا فينا . على
أنا وقد وجدنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا ، كما أن مَنْ بعدنا يجدُ من العبرة
أكثرَ ممَّا وجدنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصرَ للحقَّ
من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القولُ وصلح الدهرُ وخوى نجم التَّقِيَّةِ^(٢) ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التَّقِيَّة » وفي ط « حوى نجم التَّقيد » وقد أصلحت البارتين بما ترى .

وخوى النجم : اخفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهمت . والتَّقِيَّة : الحذر
والخوف .

وَهَبَتْ رِيحُ الْعُلَمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعِيُّ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ؟ !
وليس يجدُّ الإنسانُ في كلِّ حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقومًا يتقَّفه .
والصبرُ على إفهام الرِّيضِ شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالمِ أشدُّ
منه ، والمتعلِّمُ يجدُّ في كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائماً
وما أكثرَ مَنْ فرَّطَ في التعليمِ أيَّامَ حُجُولِ ذكره ، وأَيَّامِ حَدَاثَةِ سنِّه ! !
ولولا جِياذُ الكتبِ وحسُنُها ، ومُبَيَّنُها ومختَصَرُها ، لَمَا تحرَّكتْ هُمُ هُؤُلاءِ
لطلب العلمِ ، ونزعتْ إلى حبِّ الأدبِ ، وأنفَتْ من حالِ الجهلِ ، وأن
تكونَ في غمارِ الحشو ، ولَدخلَ على هُؤُلاءِ من الخللِ والمضرة ، ومن الجهلِ
وسوء الحالِ ، ما عسى ألاَّ يمكنَ الإخبارُ عن مقداره ، إلَّا بالكلامِ الكثيرِ ،
ولذلك قال عمرُ رضي الله تعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبي حنيفة)

وقد تجدُّ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآنِ ، ويجالسُ الفقهاءَ خَمسينَ
عاماً ، وهو لا يُعَدُّ فقيهاً ، ولا يُجْعَلُ قاضياً ، فما هو إلَّا أن ينظرَ في كتبِ
أبي حنيفة ، وأشباهِ أبي حنيفة ، ويحفظَ كتبَ الشروطِ في مقدارِ سنةٍ
أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنَّ أنَّه من بعضِ العُمالِ ^(١) ، وبالحرِّ ^(٢) ٤٤
ألا يمرَّ عليه من الأيامِ إلَّا اليسيرُ ، حتى يصيرَ حاكماً على مصرٍ من الأمصارِ ،
أو بلدٍ من البلدانِ .

(١) في ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمتان .

(٢) وسميت هذه الكلمة بالياء المشددة في المطبوعة وهو خطأ . . وإنما هي « الحرا »

بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخلق . ومنه بالحرا أن يكون ذلك ، وإنه جرى

بكذا وحري كمنى وحري ، والأولى لاثنين ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أنَّ الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغٌ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى القطير ؛ فإنَّ لابتداء الكتابِ فتنةً وعُجباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمعه^(١) في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفه من العيب ، ويتفهمُ معنى قولِ الشاعر^(٢) :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمِ خَلُوتُهُ حَتَّى يَلِجَ بِهِمْ عَيٌّْ وَلِكُنْثَرُ
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ^(٣) » فيخاف أن يعتريه ما اعتري مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهل المنزلِ من أهلِ صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدَّبُ عند ضربه وعقابه ،

(١) فى الأصل : « طمعه » .

(٢) هو ابن هزيمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذا فى البيان ١ :

٢٠٣ وأدب الكتاب للصول ١٥٧ . وقد رواء الصول برواية أخرى فانظره .

(٣) نجاه فى البيان ١ : ٢٠٣ . وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء يسر ، ولم يقولوا

مسرور . وكل صواب . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدان ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فأكثر من يعزِم على خمسة أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنَّه ابتداء الضرب وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكون أنَّ الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه ، فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه ، فأراه الغضب أنَّ الرأي في الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فأكثر من يبتدئ الكتاب وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقل إنَّ لم يكن بالمتنبِّع ، فكثيراً مايعتريه مايعتريه من ولده ، أنَّ يحسن في عينه منه المقيح في عين غيره ، فليعلم أنَّ لفظه أقرب نسباً منه من ابنه ، وحركته أفس به رِجماً من ولده ؛ لأنَّ حركته شيء أحدثه من نفسه وبداته ، ومن عين جوهره فصلت ^(١) ، ومن نفسه كانت ؛ وإلَّما الولد كالمخطئة يتمخَّطها ، والنخامة يقذفها ، ولا سواء إخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك ، وإظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك . ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره ، وفتنة بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجمع نعمته .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى إفهام معانيه ، حتى لا يحتاج

(١) في ط : « وبداته من عين جوهره فصلت » . وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الروية ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنِ
 ٤٥ ألفاظِ السَّفَلَةِ والحَشْوِ^(١) ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيَّ الكلام ،
 وليس له أَنْ يَهْذَبَهُ جَدًّا ، وَيَنْقَحَهُ وَيَصْفِيَهُ وَيَرْوِّقَهُ ، حتى لا ينطقَ
 إِلَّا بِلَبِّ اللَّبِّ ، وباللفظ الذي قد حذف فُضُولُهُ ، وأسَقَطَ زَوَائِدَهُ^(٢) ،
 حتَّى عاد خالصاً لاشَوِّبَ فيه ؛ فَإِنَّهُ إِنْ فعل ذلك ، لَمْ يُفْهِمَهُ عَنْهُ إِلَّا بَأَن
 يَجِدُّ لَهُمْ إِفْهَاماً مِرَّاراً وَتَسْكَرَاراً ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قد تَعَوَّدُوا الْمَبْسُوطَ مِنْ
 الكلام ، وصارت أفهامهم لاتزيد على عاداتهم إِلَّا بَأَن يعكس عليها
 ويؤخذ بها . أَلَا تَرَى أَنَّ كِتَابَ المنطق الذي قد وُسم بهذا الاسم ،
 لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أَكْثَرَهُ ،
 وفي كتاب أَقْلِيدِسَ كَلَامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صَنِّي ، ولو سمعته بعضُ
 الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لَأَنَّهُ يحتاج إلى
 أن يكون قد عَرَفَ جِهَةَ الأَمْرِ ، وتعوَّدَ اللفظ المنطقي^(٣) الذي اسْتُخْرِجَ
 من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، وتقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَّارِ العبدى^(٤) :

(١) فى ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تعريف .

(٤) هو صحار بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منتذ العبدى من بنى عبد القيس .

خطيب مغموه كان من شيعة عثمان ، له حجة وأخبار حسنة ، وكان نسابة ، توفى

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز؟ قال : أَنْ تَجِيبَ فَلَا تَبْطِئَ ، وتَقُولَ فَلَا تَخْطِئَ . تَمَالِ معاوية :
أو كذلك تقول !! قال صحرار : أَقْلِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَا تَخْطِئَ وَلَا تَبْطِئَ .
فلو أَنَّ سائلاً سَأَلَكَ عَنِ الْإِيجَازِ ، فَقُلْتَ : لَا تَخْطِئَ وَلَا تَبْطِئَ ،
وَبَحْضَرْتَكَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ^(١) ، لَمَّا عَرَفَ بِالْبَدِيَّةِ وَعِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ،
أَنَّ قَوْلَكَ « لَا تَخْطِئَ » مُتَضَمِّنٌ بِالْقَوْلِ ، وَقَوْلَكَ « لَا تَبْطِئَ » مُتَضَمِّنٌ
بِالْجَوَابِ . وَهَذَا حَدِيثٌ كَمَا تَرَى آثَرَهُ وَرَضُوهُ ، وَلَوْ أَنَّ قَائِلاً قَالَ لِبَعْضِنَا :
مَا الْإِيجَازُ ؟ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَقُولُ : الْإِخْتِصَارُ .

(حَقِيقَةُ الْإِيجَازِ)

والإيجاز ليس يُعْنَى بِهِ قَلَّةُ عَدَدِ الْحُرُوفِ وَاللَّفْظِ ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَابُ مِنْ
الْكَلَامِ مَنْ أُنِيَ عَلَيْهِ فِيمَا يَسَعُ بَطْنَ طُومَارٍ^(٢) فَقَدْ أَوْجَزَ ، وَكَذَلِكَ الْإِطَالَةُ ،
وإنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْذَفَ بِقَدْرِ مَا لَا يَكُونُ سَبَباً لِإِغْلَاقِهِ ، وَلَا يَرُدُّدٌ وَهُوَ
يَسْكُنُ فِي الْإِفْهَامِ بِشَطْرِهِ^(٣) ، فَمَا فَضَّلَ عَنِ الْمَقْدَارِ فَهُوَ الْخَطْلُ .

(اسْتِغْلَاقُ كُتُبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ)

وَقُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ : أَنْتَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنَّحْوِ ، فَلِمَ لَا تَجْعَلُ

(١) هُوَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَهَمِّ التَّمِيمِيُّ الْمُنْقَرِي ، كَانَ يَجَالِسُ
عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا مَالاً ،
وَلَمْ يَتَزَوَّجْ ، تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١١٥ هـ .

(٢) الطُّومَارُ وَالطَّامُورُ : الصَّعِيفَةُ ، جَمْعُهُ طُومَائِرُ .

(٣) فِي ط : « وَلَا لَتَرْدَادِهِ وَهُوَ يَكْتَفِي مِنَ الْإِفْهَامِ بِشَطْرِهِ » وَعَدَلْتُ الْقَوْلَ مِنْ ل .

كثيكَ مفهومة كلها ، وما بالنّا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالكَ
تقدّم بعض العويص وتؤخّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضعْ كُتُبِي
هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) ألذّي
تدعوني إليه ، قلّت حاجاتهم إلّٰيَّ فيها ، وإنّما كانت غايي المَنالَة ،
فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع ^(١) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنّما قد كسبتُ في هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى
النكسب ذهبت ، ولكن ما بالُ إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلي في موافقته ^(٢) ، وحُسنِ
نظره ، وشدّة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

وأقول : لو أنّ يوسف السّمتيّ ، كتب هذه الشروط ، أيّامَ جلسَ سلّان
أبن ربيعة ^(٣) شهرين للقضاء ، فلم يتقدّم إليه رجلان ، والقلوب سليمة
والحقوق على أهلها موفّرة ، لكان ذلك خطأً ولغوًا ، ولو كتب في دهره
شروط سلّان ، لكان ذلك غرارةً ونقصًا ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ
في كلّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

(١) بدلًا في ط : « الموضع » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) في ط : « موافقته » والوجه ما في ل . والموافقة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي الصحابي ، من القادة القضاة ، استقضاها عمر على
السكوفة ، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّماطين في مديح الملوك أطالوا . وللاطالة موضعٌ وليس ذلك
يُخطئ ، وللاقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجَز .

ولولا أننى أتسكل على أنك لا تملُّ بابَ القولِ في البعيرِ حتَّى تخرجَ إلى
الفيل ، وفي الذرَّة^(١) حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتَّى تخرجَ
إلى الحية ، وفي الرجلِ حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبانِ والنحلِ^(٢) حتَّى
تخرجَ إلى الغُرَبانِ والعقبانِ ، وفي الكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفي
الذئبِ حتَّى تخرجَ إلى السبع ، وفي الظلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفي الخافرِ
حتَّى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخفِّ حتَّى تخرجَ إلى البرُّثنِ ، وفي البرُّثنِ حتَّى
تخرجَ إلى المخلبِ ، وكذلك القول في الطيرِ وعامةِ الأصنافِ ، لرأيتُ أن
جملة الكتاب^(٣) ، وإن كثُرَ عددُ ورقه ، أن ذلك ليس مما يُميلُّ ، ويُعتدُّ
عليَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبُ كثيرة ، وكلُّ
مُصحفٍ منها فهو أمٌّ على حدة ، فإن أرادَ قراءةَ الجميعِ لم يَطل عليه الباب
الأوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو
أبدأً مستفيدٌ ومستطرف ، وبعضه يكون جَمَماً لبعض ، ولا يزالُ نشاطه
زائداً . ومتى خرجَ من آى القرآن صارَ إلى الأثر ، ومتى خرجَ من أثر
صارَ إلى خبر ، ثم يخرجُ من الخبرِ إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن
النوادرِ إلى حكمٍ عقليةٍ ، ومقاييسِ سِدَاد^(٤) ، ثم لا يترك هذا الباب ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الذرة » بالذال وإنما هي « الذرة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من
التمل صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيت أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقاييس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقل ، والملا لُ إليه أسرع ، حتَّى يفضيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفاً ، إذ كنتُ إنما استعملتُ
سيرة الحكماء ، وآداب العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
السكلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحي والحذف ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ
أوحىَ عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في السكلامَ . فأصوبُ العمل اتِّباعُ
٤٧ آثار العلماء ، والاحتذاء على مثالِ القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء في السكتب)

قال ابن سير^(١) في ضفة السكتب ، في كلمة له :

أقبلتُ أهرُبُ لا آلو مُباعدةً في الأرض منهم فلم يُخصني الهربُ
بقصر أوسٍ فما والت خنادقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخربُ^(٢)
فأئماً موئلي منها اعتصمتُ به فمن ورأى حثيثاً منهم الطلبُ
لما رأيتُ بأنى لستُ معجزهم فوتاً ولا هرباً ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيت مسروراً بهم جدلاً
فرداً يحدثنى الموتى وتنطقُ لى
هم مؤنسون وألأف غنيتُ بهم
لله من جلساء لا جليسهم
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها
فأيتما آدب منهم مددتُ يدي
إن شئتُ من مُحكم الآثارِ يرفعها
أو شئتُ من عربٍ علماً بأولهم
أو شئتُ من سيرِ الأملاكِ من عجم
حتى كأننى قد شاهدتُ عصرهم
يا قاتلاً قصرتُ في العلم نُهيتهُ^(١)
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم
جَارَ البراءة لا شكوى ولا شغب^(٢)
عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ
فليس لى في أنيسٍ غيرهم أربُ
ولا عشيرهم للسوء مرتقبُ
ولا يلاقيه منهم منطِقُ ذربُ^(٣)
أخرى ألبالي على الأيام وانشعوا^(٤)
إليه فهو قريبٌ من يدي كُتِبُ^(٥)
إلى النبي ثقاتٌ خيرةٌ نُجِبُ
في الجاهلية أنبتنى به العرب^(٦)
تُذبي وتُخبرُ كيف الرأى والأدبُ
وقد مضتْ دونهم من دهرهم حقبُ
أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسبُ
خلاف قولك قد بانوا وقد ذهبوا^(٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن سير هنا قد جعل للكتب ضمير
بجاعة القلاء كما في الآيات الأولى . وأما « جَار البراءة » فهي ماصح لى من مقارنة
ماني الأصول فهي في ط : « جَار البوأة » وفي س « جَار البوأة » وفي ل
« حاز البراءة » .

(٢) منطِق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشعب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف ماني ل . وكُتِب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهى : العقل . وقد تستعمل النهى جمعاً للنهية .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

ما مات منا امرؤ أبقي لنا أدياً نكونُ منه إذا ما مات نَكْتَسِبُ^(١)
وقال أبو وجزة^(٢) وهو يصف صحيفةً كُتِبَ له فيها بَسْتَيْنَ وَسَقاً :

راحَتِ بَسْتَيْنَ وَسَقاً في حَقِيقَتِهَا ما حُمِلَتْ حِمْلُهَا الْأَدْنَى ولا السُّدَدَا
ما إِنْ رَأَيْتُ قُلُوباً قَبْلَهَا حَمَلَتْ سَتَيْنَ وَسَقاً وما جَابَتْ به بلدًا^(٣)
وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ الدَّوَاةَ والقَلَمَ تَبَقَى وَيُفْنِي حَادِثُ الدَّهْرِ الْغَنَمِ^(٤)
يقول : كتابُكَ الَّذِي تَكْتُبُهُ عَلَيَّ يَبْقَى فَتَأْخُذْنِي بِهِ ، وتذهب غَنَمِي
فَمَا يَذْهَبُ .

(نشر الأخبار في العراق)

ومما يدلُّ على نفع الكتاب ، أَنَّهُ لَوْلا الكتابُ لَمْ يُجْزَ أَنْ يَعْلَمْ أَهْلُ
الرَّقَّةِ والمَوْصِلِ وبَغْدَادَ ووَاسَطَ ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

(١) في ط : « ما مات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط : « أبو وجزة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أظَّارَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ،
وهو أول من شُيِّبَ بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبيك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد مايو جب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتلح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستان
وسقا من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط : « تعلمي أن » وصوابه في ل .

في بياض يوم ، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة ، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

[وذلك مشهور في الحام الهدى ، إذا جعلت برُداً^(١) ، قال الله جل وعز
- وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤت أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ
فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَا ذُبْحَنُ أَوْ لِيَأْتِنِي
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلم يلبث أن قال الْهُدُودُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ،
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾
قال سليمان ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من
يبلغ الرسالة على تمامها ، من عِفْرِيْت ، ومن بعض من عنده علم من
الكتاب ، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ وأكرم وأخف من الرسالة
عن ظهر لسان ، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ
﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا مما يدل على قدر
اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعض الجِلَّةِ الكبارِ ، وبعضُ الأدباء والحكماء ، أن يدعو
بعض من يجرى مجراه في سلطان أو أدب ، إلى مأذبة أو ندام^(٢) ،
أو خروج إلى منزله ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ،
وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الصراب . والندام أيضا ، جمع للنديم . ولكنه
ليس مرادها هنا .

إرادته ومعناه ، لأصاب مَنْ يُحسِن الأداء ، ويصدق في الإبلاغ ، فيرى أن الكتاب في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ .

ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا يكتب الكتاب إلى كسرى ، وقيصَرَ ، والنَجَاشِيَّ ، والمقوقِس ، وإلى ابني الجُلندى ^(١) ، وإلى العباهلة من حمير ، وإلى هودَ بن علي ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ، ولوجد المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ، علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم ماخواه الكتاب .

ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزَّ ، علم أن ذلك أتمُّ ، وأكمل ، وأجمع ، وأنبل .

وقد يكتب بعضُ من له مرتبة في سلطان أو ديانة ، إلى بعض من يشاكله ، أو يجري مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه ، وربما لم يرض بذلك حتى يُعَنِّونه ويعظمه . قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ وَفَّى ﴾ فذكر صحف موسى الموجودة ، وصحف إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدار النفع ، والمصلحة في الكتب .

(نظام التورث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العين ، وتورث البنين الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجندى : اسم ملك عمان . وفي الأصل « بنى الجندى » والصواب ما أثبتته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وابن الجندى هما جيفر — بوزن جعفر — وعياذ (أوعباد) .

لاتورثوا الابن من المال ، إلا ما يكون عوناً له على طلب المال ، واغذوه بحلاوة العلم ، واطعموه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال ، وليرى أنه العدة والعتاد ، وأنه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لاتورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة ، ويكون له عوناً على درك الفضول ، إن كان لأبد من الفضول ؛ فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساده ، وإن كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم وبقية له من الكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأن المال لم يترك تابعاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول يمرض فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحنكة ، واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع غرارة^(١) الخدائة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة ، وعجل لك حلاوة الحجة ، وبقي لك الأحداث الحسنه ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة ، المشتغلة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الإرفاق ، وحجج الدين الذي بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتلج الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والعز راسخاً ، والأصل فسيحاً^(٢) .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشجذه ، وتداويه وتصلحه ، وتهذبه ، وتنفي الخبيث عنه ، وتقيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجة ، وتعودك الأخذ بالثقة ، وتجلب الحال ، وتكسب المال .

(١) الغرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفي الأصل الغرارة وهو تحريف .

(٢) كذا :

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة، منبهة للمورث، وكنز عند الوارث، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة، ولا حق السلطان. وإذا كانت الكنوز جامدة، ينقصها ما أخذ منها، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكوراً في الحكماء ومنوها باسمه في الأسماء، وإماماً متبوعاً وعلماً منصوباً، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوباً ممنوعاً، ولا تزال تلك المحبة نامية، ما كانت تلك الفوائد قائمة، ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر، ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: من ^(١) ورثته كتاباً، وأودعته علماً، فقد ورثته ما يُغفل ولا يَسْتَعْلَلُ، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة ^(٢)، ولا إلى سقى، ولا إلى إسجال بإيغار ^(٣)، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكار ^(٤)، ولا إلى أن تُثار ^(٥)، وليس عليها عشر، ولا للسلطان عليها خراج. وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم، وسواء دفعك إليه الكفاية، أو ما يجلب الكفاية. وإنما تجري الأمور وتنصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب، لم يجب عليه إحضار السبب. فكُتِبَ الآباء، تحييب للأحياء، ومحى لذكر الموتى.

(١) في الأصل: «مق» والوجه ما أثبت.

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث.

(٣) أسجل له الأمر: أطلقه. وأوغر الملك الرجل الأرض: جعلها له من غير خراج.

(٤) الأكار هنا بمعنى الخير من الخابرة (والخابرة أن يزرع الرجل أرض غيره، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض).

(٥) قد سبق قوله «لا تحتاج إلى إثارة» فهو تكرار، أو في الكلام تعريف.

وقالوا : ومتى كان الأديب ^(١) جامعاً بارعا ، وكانت موارثه كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلم خطأ ، وأجدر أن يسرع التعليم إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نجله ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب ^(٢) ، للنظر في الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيام مقدار الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنما تُفسد الكفاية من [له] ^(٣) تمت آلاته ^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدّث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ ورث كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرق ، ويصّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذى ليس للسلطان فيه حق ، والركاز ^(٥) الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصّور فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجة ، ولا على الجار فيه مئونة .

(قول ديمقراط في تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لابد من أن يكون لكلِّ كتاب علمٍ وضعه أحد من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) في الأصل : « الأديب » .

(٢) في الأصل : « الكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإنما هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيها وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .
فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانته نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأثم كلها على استسقاطه ، واستسفالته ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حاله التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن^(١) تمنعها وتشرّفها ، وتوحّشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمسكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلق المركّب والطباع المفلّقة ، والأخلاق المجتلبة ، كالبعل المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولّدة عن مزاجه .

وشرّ الطباع ما تجاذبه الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة^(٢) ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسن صوته ، وشحو^(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقوع البنادق وجرح الخالب . وفي الراعي أنه مُسرّول
مُنقل ، وحدث له عِظْمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيماً ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيدَ
في قوتها ، وأتمَّ لشدةهما ؛ فمع البغل من الشبق والتعظ ما ليس مع أبيه ،
ومع البغلة من السّوس^(٢) ، وطلب السّفاد ، ما ليس مع أمّها . وذلك كلّهُ قدح
في القوّة ، ونقص في البنية^(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه
وأخواله ، فترك شبيههما ، وزرع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبيه ، وأصبر على الأثقال من أبيه .

أو كابن المذكّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث
نتاجاً من البغل ، وأفسد أعراقاً من السّمع ، وأكثر عيوباً من العسبار ،
ومن كلّ خلقٍ خلق إذا تركب من ضلّة ، ومن كلّ شجرة مُطعمّة بخلاف .
وليس يعترى مثل ذلك الخِلَاسيّ من الدجاج ، ولا الورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحو : الاتساع . وفي الأصل « وشجي » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوساً ، بمعنى اغتظمت ، كما في كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « السّوس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في البنية » .

(٤) الدميري : طائر متولد بين الوردشان والحمام ، وله غرابية لون .

وكلُّ ضعف دخل على الحلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب .
وزعم الأصمعي ، أنه لم يسبق الحلقة فرسٌ أهضم قط .
وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلقة أبلق قط ولا بقاء^(١) .
والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية^(٢) ، إنما هي للمصممة من الخضر^(٣) .

(الشيات في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشَّيَاتِ كُلَّهَا ضعف ونقص - والشَّيَّة : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم^(٤) أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي ، وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يطمع في علاجه طبيب ، وأنه رأى في دور ثقيف ، فتى اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يومٌ ، إلَّا وهم يتحدثون عنه بشيء ، يصغر في جنبه أكبر ذنب .
كان يُنسب إليه !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : الملى الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصممة : التي لا يخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧) .

وَزَعَمْتَ أَنَّ الكلب في ذلك كالخثي ، الذي هو لا ذكر ولا أنثى ،
أو كالخصي الذي لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَرُ فحلاً ، خرج من حدِّ كمالِ
الذَّكَرِ بفقدان الذَّكَرِ ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ،
وبقيّة الجوهريّة .

وَزَعَمْتَ أَنَّهُ بصير كالنبيذ الذي يفسده إفراطُ الحرِّ ، فيخرجه من حدِّ
الخل ، ولا يدخله في حدِّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام (١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوِيَّةِ (٢) شَرِبَةً فالت بلْبُ السكاهِلُ عِقَالِ
فَقُلْتُ اصْطَبِئْهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا هِيَ الْخَمْرُ خَيْلُنَا لَهَا بِخِيَالِ
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ
فجعل الخمرُ أمَّ الخَلِّ قد يتولد عنها . وقد يتولد عن الخل - إذ كان خمرًا
مرة - الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب (٣) :

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءِ وَجْهِكَ تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْعَارِضِ !
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لِحْيَةٌ ذَهَبَتْ بِمَلْحِكِ مِثْلِ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خمرُ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ خمرُ حَامِضِ
ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفائرة ، التي لم

(١) في الأغاني (١٠ : ٨٧) جذام . وفي ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظر قصة الشعر
في المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزبان ٣٧٠ .

(٢) الثوية : موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت في معجم البلدان .

(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره
في الغزل والتشبيب بالذكر ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدماً عندهم ، قالوا :
وكان ذا فجور وحيون ، ثم تاب وأقنع ، وكانت وفاته في أيام المأمون . انظر الأغاني
٢١ : ٦٩ - ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السن ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السن ^(١)] .

باب

ذكر ما يعتري الإنسان بعد الخلاء

وكيف ما كان قبل الخلاء

قالوا : كلُّ ذى ربح مُنْتَنٍ ، وكلُّ ذى ذفرٍ وصنَّانٍ كَرِيهٍ المشْمَةِ ^(٢) ،
كالذَّسْرِ وما أشبهه ، فإنَّه متى خُصِيَ نقصَ تنُّه وذهبَ صنَّانه ، غيرَ
الإنسان ، فإنَّ الخصىَّ يكونُ أنْتَنَ ، وصنَّانه أحدٌ ، ويعمُّ أيضاً خُبْثُ العرقِ
سائرَ جسده ، حتى لَتُوجَدَ لأجسادهم رائحةٌ لا تكونُ لغيرهم . فهذا هذا .
وكلُّ شيءٍ من الحيوان يُخْصَى فإنَّ عظمه يدقُّ ، فإذا دقَّ عظمه
استرخى لحمه ، وتبرأ من عظمه ، وعادَ رَحْصاً رطباً ، بعد أن كان عَصِلاً ^(٣)
صُلْباً ، والإنسان إذا خُصِيَ طالَ عظمه وعُرِضَ ، فخالفَ أيضاً جميعَ
الحيوان من هذا الوجه .

وتعرض للخصيان أيضاً طول أقدامهم ، واعوجاج في أصابع اليد ،
والتواء في أصابع الرِّجْلِ ، وذلك من أوَّلِ طعنهم في السن . وتعرض لهم
سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة ^(٤) والبضاضة وملاسة
الجلد ، وصفاء اللون ورقته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التسكرش والسكرود ،

(١) هذه نهاية السقط الذي ابتداء من ص ٩٧ .

(٢) في ط : « وقيل ذى ذفر وصنَّان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) في ل : « عَصلاً » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل : « والانقلاب من حدِّ الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد^(١) ، وإلى الهزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل ، لأنك ترى الخصى وكأن السيوف تلمع فى لونه^(٣) ، وكأنه مرآة
صينية ، وكأنه وذيلة مجلوة ، وكأنه جُمارة رطبة ، وكأنه قضيب فضة قد
مسّه ذهب ، وكأن فى وجناته الورد ، ثم لا يلبث كذلك إلا نُسِثات^(٤)
يسيرة ، حتى يذهب ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصب ، وفى عيش
رغد ، وفى فراغ بال ، وقلة نصب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ ، قوله فى الخصى ،
وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقير مرة
فى قصصه فقال : الفقير مرته سُلقة ، ورداؤه عُلقة ، وجردقته فُلقة ،
وسمكته شُلقة^(٥) ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثم ذكر الخصى فقال : إذا قُطعت خُصيته ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ
وسُخِنَتْ مَعِدَتُهُ ، ولانَتْ جِلْدَتُهُ ، وانْجَرَدَتْ شَعْرَتُهُ ، واتَّسَعَتْ فَتْحَتُهُ ، ٤٩
وَكَثُرَتْ دَمْعَتُهُ ! !

(١) فى الأصل : « التحد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) فى ط : « ويعرض أيضاً لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) فى مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع فى وجهه » .

(٤) النساء بالضم والنسبة بمعنى النظرة - بكسر الطاء - وتصغر النساء وتجمع ، فتكون نسيثات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسمى العامة اليوم « تصيرة » . . وأما (السلقة) فهو قميص بلا كين ، أو ثوب يحجب ولا يغط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى الحجة . . وأما (الفلقة) فبمعنى النصف . والجرذقة : الرغيف ، معرب كرده .
وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب من صغار السمك .

وقالوا ، الخصى لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذي كان به فحلاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معاني الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك السكمال ، صيره كالبلغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومةً على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، واسكنه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولده التركيب ، عن مقدار معاني الأبوين ، كما يجوز عمر البغل عمر أبويه ، وكذلك ما عددنا في صدر هذا الكلام^(١) .

(طلب النسل)

وقالوا^(٢) : وللإنسان قوى معروفة المقدار ، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس ، مقسومة عليها ، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ، ما كانت النفوس قائمة بطباعها ومزاجاتها وحاجاتها . وباب المنكح من أكبرها ، وأقواها ، وأعظمها :

ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد ، وهو باب من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العرب الرجال ، وأغضت^(٣) على نسب المولود

(١) في ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) في ط : « قال » والوجه ما في ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفي ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبه من ل .

على فراش [أبيه] ^(١) ، وقد أحاط علمه بأذه من الزوج الأول . قال الأشهب
ابن رُميلة ^(٢) :

قال الأقاربُ لا تغرُّكَ كثرتنا وأغن نفسك عنا أيها الرجلُ
علَّ بَنِيَّ يشُدُّ اللهُ كثرَهم والتَّبِعُ يُنَبِّتُ قُضْبَاناً فيكتهل ^(٣)
وقال الآخر ^(٤) :

إِنَّ بَنِيَّ صِيبِيَّةٌ صَيْفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِيعِيُونُ
يشكو كما ترى صِغَرُ البَنِينِ ، وضعف الأسر ^(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسةً بماله على بني عمه ، ولإشفاقه من
أن تليه القضاة وترتع فيه الأمناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضي
الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجل بطلب الولد لبقاء الذكْر ، وللرغبة في العقب ،
أو على جهة طلب الثواب ^(٦) في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبِّ الدُّرِّيَّةِ وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير في كلمة (علمه) الآتية مرجع .

وعلى الأصل أيضاً لا نجد للضمير (فراشه) مرجعاً مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لتهل بن حري كما في البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) في البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفي ط « التبغ » بالعين ، والصواب ما أثبت

من ل والبيان . والتبغ : شجر تحمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صيق ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل

إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده صيفيون . . .

والرعيون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هي في ط « عني »

وتصححه من ل : والنوادر .

(٥) في ط : « السن » .

(٦) في ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه ، وفي جبنه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَدُ مَجْنُونٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل في الولد المؤمن المعروفة ، والموموم الموجودة لغير شيء . قصده له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، ونزوع النفس إلى ذلك . وذكر أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِي غير العانة^(١) بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لَا مُبْتَغَى الذَّرءَ وَلَا بِالْعَازِلِ^(٢)

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المَزَاجِجِ ، إِذَا كَرِهَ الْوَلَدَ عَزَلَ ، والمزاج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلبُ الذَّرءِ^(٣) والولد . لذلك سُخِّرَتْ ، وله هُبْنَتْ ، لِمَا أَرَادَ اللهُ تعالى من إتمام حوائج الإنسان . والحمار لا يطلبُ الولدَ ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزَلَ كما يعزل الإنسان ، غير أنَّ غايته قضاء الشهوة فقط . ليس يَحْطُرُ^(٤) على باله أنَّ ذلك الماءُ يُخَلَّقُ منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التَّمَنُّصُ^(٥) والتطيب والتطوُّسُ^(٦) [والتعرُّسُ^(٧)] والتخضُّبُ ،

(١) في ط : « وذكر أبو الأَخْزَرِ الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مَبْتَغَى الذر ولا بالعاذل . وفي ل : « الذر ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذر » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التَّمَنُّصُ : تنف الشعر . والتَّمَنُّصُ : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوُّسُ : التزين . . وبدل « التطوُّس » في ط : « التطرُّز » وليس بشيء .

(٧) التعرُّسُ : التحجب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبْغ ، وَالْحَلِي ، والكِسَاء ، والقُرْش ، والآنية ، لكان فى ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها ، لكان فى ذلك المؤنة العظيمة ، والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضو الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذة والألم ، فباضطرارٍ أن تعلمَ أن تلك القوى لم تبطل من التركيب ، ولم تعدّ معها الحلقة ، وإلّما سُدَّ دونها بسدٍّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعَدَمُ إلاّ بعدَمَ ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضتْ^(١) من وجه ، ولا سيما إذا جُمْتُ ونازعتْ ، ولا بدَّ إذا زخرت وغزرت ، وطمغت^(٢) وطمّت ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنسكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التى كانت للمنسكح وما يشتمل عليه باب المنسكح ، إلى القوة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوتان فى باب واحد كان أبلغ فى حكمه ، وأبعد غايةً فى سبيله ، ولذلك صار الخصى آكلٌ من أخيه لأُمِّه . وأبوه ، وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه ، وعلى قدر حاجة طبعه [وحرارة نفسه و]^(٣) الحرارة المتولدة عن الحركة يكون ٥١

(١) كذا على الصواب فى ط . . وفى ل : « غاضت » .

(٢) فى ط : « طمغت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمرار ، لأن الشهوة من أمن^(١) أبواب الاستمرار ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ، وكذلك الحِجرُ دون الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة^(٢) دون الكبش ، وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشك أن الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتُرْفى عليه مقطوعاً غير منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصل طعامها أكثر . وهن ينامين الصبيان في هذا الوجه ، لأن طبع الصبي سريع الهضم ، سريع الكلب ، قصير مدّة الأكل ، قليل مقدار الطعم ، فللمرأة كثرة معاودتها ، ثم تبين بكثرة مقدار المأكول . فيصير للخصي نصيبان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ، أعنى شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أي شيء آكل ؟ قال : برذونة رغو^(٣) .

ولشدّة نهم الإناث ، صارت اللبوة أشدّ عراًماً وأزرق ، إذا طلبت الإنسان لتأكله ، وكذلك^(٤) صارت إناث الأجناس الصائدة [أصيد] ،

(١) في الأصل : « أمن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغو : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناث من الكلاب [والبُرَّة] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون
عند ارتضاع جرائها [من أطباها] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم
في ذلك .

(صوت المخصي)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت ، حتى لا يخفى على من
سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصي ، وإن كان الذي يخاطبه ويناقله
الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى
يعرض لخصيان الصقالبة أكثر مما يعرض للخرسانية ، وللسودان من
السند والخبشان . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة
أو عرق ، فليس يحتاج في صحة تمييز ذلك ، ولا في دقة ^(١) الحس فيه ، إلى
حذق ببقافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السفلة والعتراء ^(٢) ، وفي أجناس
الصبيان والنساء .

(شعر المخصي)

ومتى خصي قبل الإنبات لم يُنبِت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات
الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه
ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفثرة محركة ، والفتراء
والفتر بالضم ، والفثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة لا تصلحُ ، فناسبا [الحصى] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ وإنما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَعِ والجَلَحِ ، [والجَلَه] والصَّلَعُ^(١) وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصِ شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنَزَعٍ ولا جَلَحٍ ، إذا لم يكن ذلك حادثاً يُحدثه الطعنُ في السنِّ . وتكون مقاطعُ شعرِ رأسه ومنتهى حدود قُصَّاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع الملاسَّة والانبجاء يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلُّ ، واسكنه يَبُتُّ في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتكون لها شعراتٌ رقيقة زَغِيَّةٌ كالعذار موصولا بأصداعها ، ولا يعرض ذلك للحصى إلا من علة في الخشاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطَع من صُدْغِيه شيء من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النَّزَعُ : انخسار الشعر من جانبي الجمجمة . والجَلَحُ : انخساره عن جانبي الرأس . والجَلَه والصَّلَعُ : انخسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثر ما رأيته في عجائر الدهاقين ، وكذلك الغيب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بَحْنِي ، بل [تَحْدِها] أنثى تامة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المكان . [ولا تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعرض ذلك للخصى . وقد ذكر أهل بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخنّاق ، لحية وافرة ، وأنها دخلت مع نساء متقبات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة فصاحت : رجل والله ! وأحال^(١) الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها ، فزعن عنها^(٢) وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصى المرأة في الانجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبّاء الذراعين والساقين ، وتجد ركب^(٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبل غصروف عرقه ولحيته .

والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص^(٤) مبرم القوى ، ويرخي معاقد العصب ، ويقرب من الحرم والبلى .

(١) في ل : « فأقبل » .

(٢) في ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتد وقع رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [الذى هو أعل^(١) منه] لوجدت لوقعه ووطئه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكأن العضو الذى كان يشد ٥٣ توتر النساء^(٢) ، ومعاقدة الوركين^(٣) ومعاليق العصب ، لكما بطل وذهب الذى كان يمسكه ويرفعه ، فيخف لذلك وقع رجله ، صار كالذى لا يتاسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صقليين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأم أخيه ، أنه متى خصى أحدهما خرج الخصى منهما أجود خدمة ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لها أتقن وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلاً عند المخاطبة ، فيخص بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلية ، وعلى سوء فهم العجمية .
ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقاء ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعل منه : أنضم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشد يشد توتر النساء » وفى ل : « وكان العضو الذى كان يشد توتر عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشئ .

(٤) فى ط : « غشاوة » وفى ل : « غثارة » بالعين ولعل صوابها ما أثبت . الأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل : ليم تساوق الكلام .

المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، منقلّة له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علّة له في الأماكن العميقة ، ومصرفة له في المواضع المختلفة .

فأولُ ماصنع الخصاص بالصّلة لمي زكية عقله ، وإرهافُ حده ، وشحذُ طبعه ، وتحريكُ نفسه . فلما عرّف كانت حركته تابعة لمعرفته ، وقوته على قدر ما هيّجه ^(١) .

فأمّا نساء الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخُرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخلق . وهذا جملة القول في نسائهم ، وعلى أنّهم لا حظوظ لهم عند الخلو ، ولا نفاذ لهم في صناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تُنسب إلى بعض المشقة ، وتضاف إلى شيء من الحكمة ، ممّا يُعرف ببعد الرويّة ، والغوص بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكروا من نفاذ نقف ^(٢) في التحريك للأوتار ، فإنّه كان في ذلك مقدماً ، وبه مذكورا .

(١) في ط : « ماعجه » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « نقف » .

إِلَّا أَنَّ الْخَصِيَّ مِنْ صِبَاه ، يُحَسِّنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ ^(١) ، وَ يُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطَّوْرِيِّ ^(٢) ، وَ مَا شَتَّتَ مِنْ صَغَارِ الصَّنَاعَاتِ .

وَ قَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيثًا ^(٣) الْخَصِيَّ ، خَادِمَ مُثْنَى بْنِ زُهَيْرٍ ، كَانَ يُجَارَى ^(٤) مُثْنَى فِي الْبَصَرِ بِالْحَمَامِ ، وَ فِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ ، وَ إِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ ، وَ جُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَ سَنَدُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا قَوْلُهُمْ فِيمَنْ خُصِيَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَ مَلُوكُنَا لَعُقُولِ خِصْيَانِ خُرَّاسَانَ أَحْمَدَ ، وَ هُمُ قَلِيلٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ، وَ أَمْرٌ مَذْكُورٌ .

٥٤

(خِصْيَانُ السَّنَدِ)

وَ أَمَّا السَّنَدُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخِصْيَانِ إِلَّا النَّفَرُ الَّذِينَ كَانَ خِصْمَاهُمُ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ ، وَ زَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيَ أَرْبَعَةً هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَ رَأَيْتُ الْخِصْمَاءَ ، قَدْ جَذَبَهُ إِلَى حَبِّ الْحَمَامِ ، وَ عَمِلَ التَّكْكَ ^(٥) ، وَ الْهَرَّاشَ بِالْدَبُوقِ ، وَ هَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجَرِّ مِنْهُ عَلَى عِرْقٍ ، وَ إِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ ذَلِكَ الْعَضْوِ .

-
- (١) الدَّبُوقُ ، هُنَا : جَمْعُ دَبِقٍ بِالْكَسْرِ ، وَ هُوَ الدَّبُوقُ وَ الدَّابُوقُ : غَرَاءُ يَصَادُ بِهِ الطَّيْرُ . وَ الدَّبُوقُ كَتَنُورٍ قَالَ فِي الْقَامُوسِ : لَعِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ . وَ لَيْسَتْ مُرَادَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ .
- (٢) فِي ط : « الْفُؤَارَى » وَ قِيْلَ : « الصَّوَار » وَ صَوَّاهُمَا « الطَّوْرَى » وَ هُوَ الْوَحْشَى .
- (٣) فِي ط : « خَدِيحًا » بِالْهَاءِ . وَ قَدْ كَتَبْتُ مَا قِيْلَ وَ س .
- (٤) فِي ط : « يَجْرَى » .
- (٥) التَّكْكَةُ : رِبَاطُ السَّرَاوِيلِ وَ الْجَمْعُ تَكْكَ ، وَ يَدْعَوْنَ أَنَّهَا مَعْرَبَةٌ ، كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ الْخَلْفَاجِيُّ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ ، وَ لَمْ يَتَعَرَّضْ الْقَامُوسُ لِنَدِّكَ .

(خَصِيَّانِ الْحَبْشَةِ وَالنُّوبَةِ وَالسُّودَانِ)

فَأَمَّا الْخَصِيَّانِ مِنَ الْحَبْشَانِ وَالنُّوبَةِ وَأَصْنَافِ السُّودَانِ ، فَإِنَّ الْخَصَاءَ يَأْخُذُ مِنْهُمْ وَلَا يُعْطِيهِمْ ، وَيَنْقُصُهُمْ وَلَا يَزِيدُهُمْ ، وَيَحْطُطُهُمْ عَنْ مَقَادِيرِ إِخْوَانِهِمْ ، كَمَا يَزِيدُ الصَّقَالِبَةَ عَنْ مَقَادِيرِ إِخْوَتِهِمْ ، لِأَنَّ الْحَبْشِيَّ مَتَى خُصِيَ سَقَطَتْ نَفْسُهُ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُهُ ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعْرَضَ لَهُ فُسَادٌ ، لِأَنَّهُ مَتَى اسْتَقْصَى جِيبَهُ لَمْ يَتَاسَكَ بِوَلِهِ ^(١) ، وَسُلَّسَ مَخْرَجُهُ ، وَاسْتَرْخَى الْمَسَكُ لَهُ ، فَإِنْ هُمْ لَمْ يَسْتَقْصُوا جِيبَهُ ، فَإِنَّمَا يُدْخِلُ الرَّجُلُ مَنْزِلَهُ مِنْ لَهُ نَصْفُ ذَلِكَ الْعَضْوِ ^(٢) . وَعَلَى أَنْكَ لَا تَجِدُ مِنْهُمْ خَصِيًّا أَبَدًا ، إِلَّا وَيُسْرَتُهُ بُجْرَةٌ ، وَنَفْخَةٌ ^(٣) شَنِيعَةٌ ، وَذَلِكَ عَيْبٌ شَدِيدٌ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْفَتَقِ ، مَعَ قُبْحِهِ فِي الْعَيْنِ ، وَشُنْعَتِهِ فِي الذِّكْرِ . وَكُلُّ مَا قَبَّحَ فِي الْعَيْنِ فَهُوَ مُؤْلَمٌ ، وَكُلُّ مَا شُنِعَ فِي النَّفْسِ فَهُوَ مُؤْذٍ . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجِدُ فِيهِمُ الْأَلْطَعَ ^(٤) ، وَذَلِكَ فَاشٍ فِي بَاطِنِ شَفَاهِهِمْ . وَمَتَى كَانَتْ الشَّفَاهُ هَذَلًا ، وَكَانَتْ الْمَشَاغِرُ مُنْقَلِبَةً ، كَانَتْ أَظْهَرَ لِلطَّعْنِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَصِ . وَالْبَيَاضُ الَّذِي يُعْرَضُ لِعَرَامِيلِ الْخَيْلِ وَخُصَايَاهَا ^(٥) ، ضَرْبٌ أَيْضًا مِنَ الْبَرَصِ ، وَرَبْمَا عَرَّضَ مِثْلَ ذَلِكَ لِحَشْفَةِ قَضِيبِ الْمُخْتُونِ ، إِمَّا لَطَبَعَ الْحَدِيدَ ، وَإِمَّا لِقَرَبٍ ^(٦) عَهْدَهُ بِالْإِحْدَادِ وَسَقَى الْمَاءَ ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَعْدُو مَكَانَهُ .

(١) ق ط : « وَلَمْ يَتَاسَكَ بِوَلِهِ » وَالْوَجْهَ حَذَفَ الْوَاوُكَافِ ل .

(٢) فِي السِّكْلَامِ نَقَصَ وَتَحْرِيفَ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ : « فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْتَقْصِ جِيبَهُ فَقَلِمَا يَدْخُلُ الرَّجُلُ مَنْزِلَهُ مِنْهُمْ ... الْخ » .

(٣) ق ط : « وَبُجْةٌ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَدْ أَبْدَلْتُهَا بِمَا فِي ل . وَالْبُجْرَةُ : الْعَقْدَةُ فِي الْبَطْنِ وَالْوَجْهَ وَالْعَقَ .

(٤) الْأَطْع : بَيَاضٌ فِي بَاطِنِ الشَّفَةِ . وَأَكْثَرُ مَا يُعْرَى ذَلِكَ السُّودَانِ .

(٥) ق ط : « وَخُصَايَاهَا » وَلَيْسَتْ مُرَادَةً . وَمَا هُنَا جَمْعُ خَصِيَّةٍ .

(٦) ق ط و س : « لَقَدْ » وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ ق ل . وَيُؤَيِّدُهُ مَا كَتَبَهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ ٧ : ٢٦ . « وَمَنْ أَنْ تَكُونَ الْمَوْسَى حَدِيثَةَ الْمَهْدِ بِالْإِحْدَادِ » . وَطَبَعَ الْحَدِيدَ :

وكالما عظمّت الحشفة انبسطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ،
 وإنما ذلك كالبياض الذى يعرض من حرق النار وتشريطها^(١) ، وكالذى
 يعرض للصقالية من التعالج بالكى . وربما اشتدّ بياضه حتى يفحش
 ويُرديه^(٢) . إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر ، إلا بقدر ما ينبط مكانه ، ويتحوّل
 صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبياً^(٣) . وليس كالذى يعرض من البلغم ومن
 المرأة . وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضه لا يذهب
 ولا يقف ، بل لا يزال يتفشّى ويتسع حتى ربّما سلخه ، ولا يذهب إلا بأن
 يذهب به نبى^(٤) ، فيكون ذلك علامة له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق
 بالبرص^(٥) ، ولكن الذى هوّن أمره الذى ترون من كثرة بُرء الناس منه .
 ثم الخضاء يكون على ضربين ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك
 ما يعرض بعد الكثير للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض
 للعجم ، كما خصّى بعض عباهلة اليمن^(٦) علقمة بن سهل الخصى .

٥٥

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) فى ط : « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « رده » أى يجعله رديئاً ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلاً » بكسر الجيم من الرجل بضم الراء : بياض فى
 إحدى رجلى الدابة . أما « صبياً » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط
 لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شىء » وقد أبدلته بما فى ل . . وكان عيسى عليه السلام يرى الأكمة
 والأبرص بإذن الله .

(٥) فى ط : « ما يكون ملحقاً بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقباطهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَّبَ الجَدِيلَ^(١) وداعراً ، الفحلين .
الكرمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة
ابن مَطْعُونٍ في شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شهادةَ الحصى ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ .

وهو علقمةُ بن سهلٍ بن عارة ، فلماً سمّوه الحصى ، قالوا لعلقمة بن
عبدة : الفحل . وعلقمةُ الحصى الذى يقول :

فلن يَعدَمَ الباقيون قَبراً لَجَنَّتِي^(٢) ولن يَعدَمَ الميراثَ مَنى المواليا-
حِراسُ على ما كنتُ أَجمَعُ قَبْلَهُم هَنِيئاً لَهُم جَمْعِي وما كنتُ واليا
وَدُلَّيتُ في زُوراءَ تُنَمَّتَ أَعْنَقُوا لَشَانِهِمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وَشَانِيا
فأَصْبَحَ مالى من طَريفٍ وتالِدٍ لغيري ، وكانَ المالُ بالأَمسِ ماليا
وكما عَرَضَ لِلدَّلَالِ وَنَوْمَةِ الضُّحَى ، من خصاءِ عُثْمَانَ بن حِيَّانَ [المَرْمَى]
والى المدينة لهما ، بكتابِ هشام بن عبد الملك^(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَن يَدْعَى أَنَّ عَامِلَ المَدِينَةِ صَحْفٌ ، لأنه رأى في
الكتاب : « أَحْصِرْ مَنْ قِبَالِكَ مِنَ الْمُحَنَّنِينَ » فقرأها : « اخْصِرْ مَنْ قِبَالِكَ مِنْ

(١) في ط : « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما في ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فعل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافاً كثيراً في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمانى القتال ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهشيارى ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

المُخَنَّثِينَ . وذكر المهيمن عن الكاتب الذي تولى قراءة ذلك الكتاب ، أنه قال : وكيف يقولون ذلك ؟! ولقد كانت الخلاء معجمةً بنقطةٍ ، كأنها سهيل [أو تمرّةٌ صيحانيّةٌ ^(١)] فقال اليعقوبى ^(٢) : ما وجهُ كتاب هشامٍ في إحصاء عدد المُخَنَّثِينَ ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتابُ إلّا بالخلاء المعجمة دون الخلاء المهملة . وذكر عن مشايخ من أهل المدينة أنهم حكوا عنهما أنهما قالوا : الآن صرنا نساءً بالحق !! كأن الأمر لو كان إليهما لاختارا أن يكونا امرأتين ! قال : وذكر أنهما خرجا بالخصلتين من الخلاء والتخنيث ، من فتور الكلام ولين المفاصل والعظام ، ومن التفكك والتثني ، إلى مقدار لم يروا أحداً بلغه ، لامن مخنثات النساء ، ولا من مؤنّتي الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرض لأبي همام السنوط ^(٣) من امتلاخ الأخمّ مذاكيره وخصيّه ^(٤) ، أصابه ذلك في البحر في بعض المغازي ^(٥) ، فسقطت لحيته ، ولقّب بالسنوط ، وخرج لذلك نهماً وشراً .

(١) الصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المضغ . وسمى صيحانياً لأن صيحان اسم كبش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثرت تمرًا فنسب إلى صيحان .

(٢) في ط ، ل ، س « البقري » بالباء وإنما هو بالياء كما في مواضع متعددة من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ في البلاء ١٧٦ وجاء محرفاً بالسنوط ، والسنوط بالفتح والتخفيف : من اللحية له أصلاً ، أو الحفيف العارضين .

(٤) في ط « من امتلاخ لحم مذاكيره وخصيّه » وهو تحريف صوابه في ل وجاء في القاموس : اللخم بالضم : سمك بحري . وقد ضبط في معجم العلوّف ص ٢٢٥ بالفتح سهواً ، قال : وهو يعرف بالفرش في سواحل البحر الأحمر .

(٥) في ل « أصابه ذلك في البحر سمكة في بعض المغازي » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُهُ لا يحملُ إلَّا الرُّطْبَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلَّا التمرَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلَّا الحَزَّعَ^(١) ، وبعضُهُ لا يحملُ إلَّا البُسْرَ ، وبعضُهُ لا يحملُ إلَّا الخَلَالَ ، وكُنَّا متى تناولنا من الشِّمْرَاخِ بُسْرَةً ، خلقَ ٥٦ اللهُ مكانها بُسْرَتَيْنِ ، لَمَّا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ ! ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللهَ ! لو كُنْتُ تَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ بَدَلُ نَوَاقِ التمرِ زُبْدَةٌ كَانَ أَصَوَّبٌ !!
ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التي تعرض للمذاكير والخصيتين ، حتى ربما امتلحهما طيبٌ ، وربما قطعَ إحداها ، وربما سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُ يزعمون أنَّ الولدَ إِمَّا يَكُونُ من البيضة اليسرى^(٢) ، وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أنَّ ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعزليَّ ، إِمَّا وُلِدَ له بعد أن نُزِعَتْ بيضتُهُ اليسرى ، لأمرٍ كان عرض له .

والخصيَّ الطَّيَّانُ ، الذي كان في مسجدِ ابنِ رَغَبانٍ^(٣) ، وُلِدَ له غلامٌ ، وكان ليس له إلَّا البيضةُ اليمْنَى ، فجاء أشبهَ به من الذُّبابِ بالذُّبابِ ، والغرابِ بالغرابِ ، ولو أَبْصَرَهُ أَجْهَلُ خَلْقِ اللهِ تعالى بفِرَاسَةٍ ، وأبْغَضُهُمْ من قِيَافَةٍ ، ومن مَخَالَطَةِ النِّخَاسِينَ ، أو من مَجَالَسَةِ الْأَعْرَابِ ، لَعَلِمَ أَنَّهُ سَلَالَتُهُ

(١) في ط ، س « الحَزَّع » و ل « النصف » وصواب الأول « الحَزَّع » وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٢٧٥ .

(٣) في ط « ابن رَغَبان » بالزاي وأبدلته بما في ل وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٦ « ابن رَغَبان الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب بن مسleme . وكان حبيب عظيم القدر ، على الولايات زمن عُثْمَانَ ومعاوية » .

وخلاصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المدلّجى^(١) ، ولا إلى ابن كرز^(٢) الخزاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَحْصِي ابنه ويقفّه على بيت العبادة ، ويجمعه سادناً ،
كصنيع الرُّوم ، إلا أنهم لا يُحدّثون فى القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون
إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحيالَ نسائهم ورواهبهم^(٣)
فقط ! ! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك
مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه ،
لفرط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاء فى الدنيا فإنما أصله من قِبَل الروم ، ومن العجب
أنهم نصارى ، وهم يدّعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكَيْد ،
ما لا يدّعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلاً ! وحسبك
بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جرّم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من
طَلَب الطوائل وتذكّر الأحقاد ، ما لم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قِبَلِهِمْ ،

(١) فى ط : « محرز » وإنما هو « مجرز » كما فى ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحافى
له ذكر فى الصحيحين . . وكان الرجل قائفاً .

(٢) فى ل : « كرز » .

(٣) فى ط : « ودواهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزعون ، ولا الخصبان ينسكلون ، لأن الرماية فيهم فاشية ، وإن كان الخصى أسواراً بلغ منهم ^(١) ، وإن كان جمع مع الرماية الثروة ، واتخذ بطرسوس ، وأذنة ، الضياع واصطنع الرجال ، واتخذ العقد المغلة ^(٢) فخره كل واحد منهم عليهم ، تفى بمصرة قائد ضخم . ولم تر عداوة قط تجوز مقدار عداوتهم لهم ، وهذا يدل على مقدار فرط الرغبة في النساء ، وعلى شهوة شديدة للمباضعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلة كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحدثنة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإن العابد منهم ربما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي ، فيما أظهر من حسن النية ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام ^(٣) ، وإدخاله النقص على النسل ، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمر عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطرف الأخبار ، ونوادير الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قط بأغزل منه ، وإن كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزفى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتخذ العقد والمبيد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بمحصول الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجرى ذكرُ النساءِ ومحَلَّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليْنَ أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه ، إذ كان قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجْعَلْ امرأةً - قال ابنُ عباد ، فقال لنا : أستمُ تعلمون أنَّي قد أربَّيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهنُ الكِبَرِ ، ونفاذُ الذِّكْرِ ^(١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبوعِ النطفة ، قد أَمَاتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيرَه في الغزلِ ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَنْ عوَّدَ نفسه تركهنَّ مُدداً ، وتخلَّى عنهنَّ سنينَ ودَهرًا ^(٢) ، أن تكونَ العادة وتَمَرُّنُ الطَّبيعة ، وتوطِّنُ النفسَ ، قد حطَّ من ثقلِ منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتم أنَّ العادة [التي] هي الطَّبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعضِ عَمَلٍ هَجَرٍ لِلْإِسْمَةِ النساءِ ^(٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَنْ لم يذُقْ طعمَ الخلوةِ بهنٍّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمَعْ حديثهنَّ وخِلاَتهنَّ للقلوب ، واستماتهنَّ للأهواء ، ولم يَرَهُنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدَّم له ذلك مع طولِ التَّركِ ، ألا يكونَ بقيَ معه من دواعيهنَّ شيءٌ ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ لِمَنْ قد عَلِمَ أنه محبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسومٌ ، أن يكونَ اليأسُ من أمتنِّ أسبابه إلى الزَّهدِ

(١) الذكر هنا في معنى التذكُّار .

(٢) ق ل : « زهداً » بدل « مدداً » وق ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) ق ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاهُ الزُّهْدُ في الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جهلنَّ وفتنةِ الأنسكِ بهنَّ ، واتخاذِ الأنبياءِ هنَّ ، إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكرِّمه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سباه سَابٌ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذي يُحِبُّمُ الذُّكْرَ هنَّ ، ويُسرِّي عنه ألمَ فقدِ وجودِهِنَّ^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئَ العزمَ^(٢) ويختارَ الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العضو الجامع لسكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والتقصير الداخِل على الخلقة ، أن تكون الوسواس في هذا الباب لا تعرُّوه ، والدواعي لا تقرُّوه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السَّكَنِ وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنني سَمَلْتُ عيني يومَ خَصَيْتُ نفسي ، فقد نسيتُ كيفيةَ الصُّورِ وكيف تَرُوع ، وجهاتِ المراد منها ، وكيف تُرَاد ، أفما كان^(٥) [مَنْ كان كذلك] حَرِيّاً أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالبابِ الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أولو لم أكنْ هَرِماً^(٦) ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قاعمةً أليس في^(٧) أيُّ لم أذُقْ حيواناً منذُ ثمانينَ

(١) في ل : « ويستوى عندهن فقدن وجودهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينشئ العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقرؤه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فإكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لولم أكن هَرِماً » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروق^(١) من الشراب مخافة الزيادة في الشهوة ، والتقصان من العزم - أليس^(٢) في ذلك ما يقطع الدواعي ، ويُسكن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فلأني بعد جميع ما وصفت لكم ، لأسمع نعمة المرأة فأظنُّ مرَّةً أن كبدي قد ذابت ، وأظنُّ مرَّةً أنها قد انصدعت ، وأظنُّ مرَّةً أن عقلي قد اختلس ، وربما اضطرب فؤادي عند ضحك إحداهنَّ ، حتَّى أظنُّ أنه قد خرج من في ، فكيف ألوم عليهنَّ غيرة ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدق على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنك به قبل الخضاء بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعة ولا في صفة الإمكان : أن يحتجز عن إرادة النساء ، ومعه من الحاجة إليهنَّ والشهوة لهنَّ هذا المقدار ! الله تعالى أرحمُ بخلقه ، وأعدلُ على عباده ، من أن يكلفهم هجران شيء ، قد وصله بتلوهم هذا الوصل ، أو كده هذا التأكيد .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجال ، قد عرفناهم بأسمائهم وأسابيهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخضاء)

وقد ذكر أن عثمان بن مظعون ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في السباحة فقال : « سباحة أمي الجماعة » . واستأذنه في الخضاء فقال :

(١) في ط : « تشمل » وما أثبت من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمِّي الصَّوْمِ ، وَالصَّوْمُ وَجَاءَ » . فِهَذَا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

٥٩

(خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

فَأَمَّا مَنْ خَصَى الْجَلْبَ ^(١) عَلَى جِهَةِ التِّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ الْقَضِيبَ ،
وَيَمْتَلِخُ الْأَنْثَيْنِ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرْطِ الْفَرْعِ ^(٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلَمٌ لَا يَبْقَى بِهِ
ظَلَمٌ ، وَظَلَمٌ يُرْبِي عَلَى كُلِّ ظَلَمٍ ^(٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفِلُ بِفَوْتِ الْمُتَقَلَّصِ ^(٤) ،
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرَى مُجِيبَ الْقَضِيبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَه
لَا امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خَصِيًّا ، وَهُوَ حَيْثُ نَذِرُ مَنْ تَخْرُجُ لِحَيْتُهُ ، وَمَنْ لَا يَدْعُهُ
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بَيُوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخَصِيَّانِ
مَقْرَبًا وَمَكْرَمًا ، وَخَصِيبَ الْعَيْشِ مَنَعْمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفُحُولِ ،
كَانَ لَهُ مَا لِلْفُحُولِ مِنْ لَذَّةِ غَشِيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النِّسْلِ وَالتَّمَتُّعِ بِشَمِّ
الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفُحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخَصِيَّانِ مَجْرَحًا
مَطْرَحًا ^(٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السِّدَمِ الْمَعْنَى ^(٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الْجَلْبُ : مَا جَلِبَ مِنْ خَيْلٍ وَغَيْرِهَا .

(٢) ط : « الْقَرْع » وَالصَّوَابُ مَا فِي ل .

(٣) ل : « وَظَلَمَ يُرْبِي عَلَى الظُّلْمِ الْأَوَّلِ وَعَلَى كُلِّ ظَلَمٍ » .

(٤) ط : « بِمَوْتِ الْمُتَقَلَّصِ » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٥) ل : « مَحْرُجًا مَطْرَدًا » .

(٦) اللِّسَانُ : السِّدَمُ : الَّذِي يَرْغَبُ عَنْ فَحْلَتِهِ ، فَيَحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلَاغِهِ ، وَيَقِيدُ إِذَا هَاجَ ،
فَيَرْعَى حَوَالَى الدَّارِ ، وَإِنْ صَالَ جَعَلَ لَهُ حِجَامٌ يَنْعَمُ عَنْ فَتْحِهِ . قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ :
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسِّدَمِ الْمَعْنَى تَهَدَّرَ فِي دِمَشْقٍ وَمَا تَرِمَ

القتلُ قِتْلَةٌ صريحة^(١) مُريحة - إِلَّا أَصْغَرَ عند الله تعالى ، وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمرصاد .

(خصاء البهائم)

وأما خصاء البهائم ، فنه الوجاء ، وهو أن يشدَّ عَصْبُ مجامع الخصية من أصل القضيب ، حتَّى إذا نَدَرَت البيضة ، وَجَحَظَت الخصية ، وَجَأَهَا حتَّى يَرْضَهَا ، فهي عند ذلك تَذْبُلُ وتنخسف ، وتَلْوِي وتَسْدِقُ ، حتَّى تذهب قُوَاهَا ، وتَسُدَّ المجارى إليها ، ويسرى ذلك الفسادُ إلى موضع تربية النطفة ، فيمنعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخُثُر .

ومنها ما يكون بالشدِّ والعصب ، وشدَّة التحزيق ، والعَقْدُ بالخيط الشديد الوتير الشديد القتل ، فإذا تركه على ذلك عَمِلَ فيه وَحَزَّ ، أو أَكَلَ ومنعه من أن يجرى إليه الغذاء ، فلا يلبث أن ينقطع ويسقط .
ومنه الامتلاخ ، وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأما خصاء الناس ، فإنَّ للخاصي حديدةً مرهقةً مُحمّاة ، وهي الحاسمة ، وهي القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خَصَّيْتُ الدابة أَخَصَّيْتُهَا خِصَاءً ، ووجأتها أَجَوَّهَا وَجَاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخِصاء أو الوجاء ، ولا يقال ذلك إِلَّا لما كان قريبَ الجهد لم يبرأ منه ، فإذا برى لم يُقَلَّ له^(٢) .

(١) ل : « سريحة » .

(٢) في الأصل : « لم يقله » وهو خطأ في الرسم أوجه تكرار اللام ، والوجه ما كتبت .

وأما الخِصاءُ فهو أن يسلَّ الخَصِيَتَيْنِ ، والوجاء أن توجأ العروقُ والخَصِيَتَانِ على حالهما . والمعصوب من الثيوس الذي تُعَصَّبُ خُصِيَتَاهُ حَتَّى تَسْقُطَا .
والواحد من الخَصِيَانِ خَصِيٌّ وَخَصِيٌّ . ويقال ملست الخَصِيَتَيْنِ أَمْلُسُهُمَا
مَلْسًا ، وَمَتَنَّتُهُمَا أَمْتَنَهُمَا مَتْنًا ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّفَنُ فَتَسْلَهُمَا ٦٠
بعروقهما . والصَّفَنُ : جلدة الخَصِيَتَيْنِ .

(خِصَاءُ الْبَهَائِمِ وَالذِّكَاةِ)

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَةً ، يَدْعُ اللَّحْمَ رَخِصًا
وَنَدِيًّا عَدْبًا ، فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، لَمْ يَقْوِ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ -
عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ
ثُرْبَنْتِ (١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خَصِيٌّ رَطْبًا . وَالْخَصِيُّ مِنْ فُحُولِهَا أَحْمَلُ
لِلشَّحْمِ ، لَعَدَمِ الْمُهْجِجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفَحْلَةِ (٢) . وَكَثْرَةُ
السَّقَادِ تَوَرَّثَ الضَّعْفَ وَالْهُزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذُكِرَ مُعَاوِيَةُ
كَثْرَةَ الْجَوَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى (٣)
وَالذِّكَاةِ يُخَصِّي لِيرْطَبَ لَحْمُهُ وَيَطْيِبَ وَيَحْمِلَ الشَّحْمَ .

(خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفُحُولَةِ الْإِبِلِ)

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَخَصِّي فُحُولَةَ الْإِبِلِ لثَلَا يَأْكُلَ بَعْضُهَا بَعْضًا ،
وَتَسْتَبْقِي مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكُلَّ مَا كَانَ مِثْنَانًا (٤)

(١) ط : « ثُرْبَنْتِ » .

(٢) ط : « عَمَّا يَجَامِعُ الْفَحْلَةَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) ط : « مِنْتَهُ » . وَالْمُنْتَهُ : الْقُوَّةُ . وَالْخَبَرُ فِي الْبَيَانِ ٢ : ٨١ وَكِتَابُ الْبَيْتَالِ ٣٠٤ .

(٤) ط : « مَا سَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَاهِبُهُ فِي ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكّاراً ، وهم يسمّون الإذكار المحقّ الخفي^(١) ، وما كان منها عيابة طباقاً ، فنها ما يجعل السدّم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدّوا ثيلَه شدّاً شديداً ، وتركوه يهدر ويُقبَّب في الهجمة ، ولا يصل إليهنّ وإن أردنه ، فإذا طلبنَ الفحلَ جيءَ لهنّ بفحلٍ قعسرى^(٢) ويقولون : « لَقَوَّةٌ لَأَقَتَ قَبِيساً ! » . والقبيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن جهله بآتيان النساء ، وعيّه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهنّ وقوع صدور الرجال على صدورهنّ - فقالت : زوّجني عيابة طباقاً ، وكلُّ داءٍ له داءٌ !! وقال الشاعر :

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُوماً وَلَمْ يَقْدُرْ رِكَاباً إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَعَكَّفُ^(٣)

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخصّون الخيل لشبيهه بذلك^(٤) ، ولعلّة^(٥) صهيلها ليلة البيّات ، وإذا أكنوا الكُمناء أو كانوا هُرّاباً .

(١) ط : « وهم يسمون المذكر المحقّ الخفي » وهو تحريف ما في ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأميروزيانا : « نعى وجيء لهن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلّف » وفي ل والأميروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولعلّة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أنَّ الخنذيد^(١) في الخليل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفاف بن نَدْبَة :
وخنذاذ خصىةً وفُحولاً^(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

وخنذيد تَرى الغُرمولَ منه كَطىِّ البرْدِ يطويه التَّجارُ^(٣)

وليس هذا أرادَ بشر ، وإنما أرادَ زمانَ الغزو ، والحال التي يعترى الخليل فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر^(٤) :

لا لا أعقُّ ولا أخو ب ولا أُغِيرُ على مُضَرِّ

٦١

لكنَّما غزوى إذا ضجَّ المطيُّ من الدَّبرِ

وإنَّما فخر بالغزو في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم الثَّامُ ، وربما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيد الضُّحى متمطرٌ وخيفانةٍ قد هذبَ الجرى آلهَا^(٥)

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والانتصاب ٣٦٢ وصحاح الجوهري .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بني الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذن كابييات وأتانا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العبدي . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهي في الأصل « متمطرا » وليس بشيء . وآلها : شخصها .

[على] كلَّ خنذيد السَّراة مُقْلَصِي تَحَنَّتْ مِنْهُ لَحْمُهُ الْمُتَكَوِسُ^(١)
ومن الدليل على أنهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قول
بعض القيسيين^(٢) ، من قيس بن ثعلبة :
دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى فَشْمَرْتُ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَادِ
(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبد الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان ،
حين فارق مُصْعَبًا :
بَأَيِّ بَلَاءٍ أُمَ بَأَيَّةٍ عَلَيَّ يُقَدِّمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهْلَبُ
وَيُدْعَى ابْنٌ مِنْجُوفٌ أُمَامِي كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لِمَاءٍ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ^(٣)
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواء أحسنُّ من هذا ! قال : فلمَّا
أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرمونه بالنبل ويقولون : أذات مغازل^(٤) ترى ؟ !
[يريدون بيت ابن الحر^(٥)] :

ألم تر قيساً قيسَ عيلانَ برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل
فلما أتى مُصعبُ رأسه ، قال لسويد : يَا أَبَا الْمِنْهَالِ ! كيف ترى ؟ قال :
أَيُّهَا الأمير ! هو والله الذي أتى الماء من غير مشرب .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبي ،
فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار
في البيان والأغاني .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد
مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما
خاف من الأمر ، ألقى بنفسه في الفرات ، فأت غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بُرَيْدَةَ الذى حَدَّثَهُ فِينَا أَذْلٌ مِنَ الْخَصِىِّ الدَّيْرِجِ ^(١)
وتعرض للخصي سرعة الدِّمعة ، وذلك من عادة طبائع الصبيان
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دَمعةً من النساء ، وكفاك
بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

وعرض للخصي العبثُ والأعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .
وعرض له الشرّة عند الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ في كلِّ
شئ ، وذلك من أخلاق الصِّبيان [ثم النساء ^(٢)] .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ أَبَا رُومَانَ قَيْسًا إِذَا غَدَا خَصِيٌّ بِرَازِينَ يُقَادَ رَهِيصُ
لَهُ مَعْدَةٌ لَا يَشْتَكِي الدَّهْرَ ضَعْفَهَا وَحَنْجَرَةٌ بِالدُّورِقِينَ قَوْصُ

٦٢ ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا ، وذلك من أخلاق الصِّبيان
والنساء . ويعرض له حبُّ النيمة ، وضيقُ الصدر بما أودع من السرِّ ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمَّه وأبيه ،
ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رَهْطِهِ ، البصرُ بالرفق والوضع ، والكُنسُ
والرش ، والطَّرحُ والبسط ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الرينج » والصواب ما أثبت من ل . والديرج : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب

١٠٥ : « الأخضر هو في كلام المعجم الديرج » . وقال الإسكافي في مبادئ اللغة ١٢٣ :

« والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديرج » .

(٢) الكلمة من نسخة الأميروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرة الرُّكض حتَّى يجاوز
في ذلك رجالَ الأتراك وفرسانَ الخوارج . ومتى دَفَعَ إليه مَولاه دابَّتَه ودخل
إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرىَ
تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنَّشَابِ ، الَّذِي يدور في نفسه من حبِّ غزو الرُّوم .
ويعرض له حبُّ أن تَمْلِكَه الملوكة ، على ألا تقيمَ له إلَّا القوتَ ، ويكونُ
ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه السُّوقَةُ ، وإن ألحقته بعيشِ الملوكة !!

ومن العجب أنهم مع خروجهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع
النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ
مُخَنَّثاً متفكِّكاً ، ومؤنثاً يَسِيلُ سَيْلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مُخَنَّثين ،
ورأيتُ ذلك في الزَّنجِ الأقحاح . وقد خبرني من رأى كُردِيّاً مُخَنَّثاً ، ولم
أَرِ خَصِيّاً قط مُخَنَّثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف
المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَدْ كان ينبغي لهم أن
يكونَ ذلك فيهم عامّاً^(٢) !

ومما يَزِيدُنِي في التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرض لهم من
الْخِلَاقِ^(٣) ، مع قلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشَطْرِ معاني
الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ؛ وأهلِ التجربة المميَّزين ، أنهم
اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ^(٤) الأعمارِ في الحصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الخلاق ، كذراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسي .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعدادهم^(١) من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبني أعمامهم الذين لم يُخصَّصوا، فوجدوا طول العمر في الحصيان أعمّ؛ ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلان وفلان من الفحول. وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاّ عدم النكاح، وقلة استفراغ التطف لقوى أصلاهم.

قالوا: وكذلك لم نجد فيما يعيشُ الناسُ في دُورهم، من الخيل والإبل، والحمير، والبقرة، والغنم، والكلاب، والدجاج، والحمام، والديسكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال.

٦٣

وكذلك قالوا: وجدنا أقلها أعماراً العصافير. وليس ذلك إلاّ لكثرة سفاد العصافير وقلة سفاد البغال.

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغل على عمر أبيه دليلاً على أن قول الناس: لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبيه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناسَ دون جميع الحيوان.

(النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غُرمول الحمار والفرس والبرذون؛ وهؤلاء أعمامه وأخواله؛ فقد وجدنا بعض النتاج المركب، وبعض الفروع المستخرجة، أعظمَ من الأصل؛ ووجدنا الحمام الراعي^(٢) أعظمَ من الورشان الذي هو أبوه، ومن الحمامة التي هي أمه؛ ولم نجد من عمر الورشان شيئاً؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما؛ كما خرج شحيج البغل من نهيق الحمار وصهيل الفرس. وخرج الراعي مُسرولاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى البد وزنته، فالأعداد: الأنداد.

(٢) ط: «الراعي»، والصواب ما في ل. قال في المحجل: الحمامة الراعية: ترعب في صوتها ترعياً، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك في أبيه ؛ وخرج مُثْقَلًا سَيِّئَ الهداية . وللوَرَّشَانِ هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاءَ أعظمُ جُثَّةٍ من أبيه ؛ ومقدارُ النَّفْسِ من ابتداءِ هَدْيِهِ إلى منقطعِهِ ؛ أضعافُ مقدارِ هَدْيِ أبيه .

وقالِجُ البُخْتِ إذا ضَرَبْتَ في إناثِ البُخْتِ ؛ لم يُخْرِجِ الحَوَارُ إِلَّا أَدَنَ^(١) قصيرَ العُنُقِ ؛ لا ينالُ كلاً ولا ماءً إِلَّا بَأَنٍ يُرْفَعُ إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقصانِ خلقه — جَزُورَ لحم ؛ ولا يكونُ منِ العِمَلاتِ ولا منِ السابقة ؛ ولو عَالُوهُ وكَفَّوهُ مُؤَنَّةٌ تَكْلِفُ^(٢) المأكولَ والمشروبَ ، ثم بَلَغَ إلى أَنْ يَصِيرَ جَمَلًا يَمَكُنُهُ الضَّرَابُ . وكذلك [الأُنثى التي هي] الحائِلُ إلى أَنْ تَصِيرَ ناقةً ؛ فلو أَلْقَحَهَا الفحلُ لَجاءَ وَلَدُهَا أَقْصَرَ عُنُقًا من الفيلِ ، الذي لو لم يجعلِ اللهُ تعالى له خُرطومًا يَتَنَاوَلُ به طَعَامَهُ وشَرَابَهُ ، لَمَاتَ جُوعًا وهَزَالًا ؛ وليس كذلك العَرَابُ . وإذا ضَرَبْتَ الفَوَالِجَ في العَرَابِ جاءت هذه الجوامِزُ^(٣) والبُخْتُ السَّكْرِيمةُ التي تَجْمَعُ عامَّةُ خِصالِ العَرَابِ وخِصالِ البُخْتِ ؛ فيكونُ ما يُخْرِجُ التَّركيبُ من هذينِ الجَنَسَيْنِ أَكْرَمَ وَأَفْخَمَ وَأَنْفَسَ وَأَثَمَنَ . ومتى ضَرَبْتَ فحولَ العَرَابِ في إناثِ البُخْتِ جاءت هذه الإبلُ البَهْوَتِيَّةُ^(٤) [والصَّرَصْرَانِيَّةُ^(٥)] فتخرجُ أَقْبَحَ مَنْظَرًا من أبيها ، وأَشَدَّ أَسْرًا من أبيها . [وقالِ الرَّاجِزُ : ولا يَهْوِي مِنَ الْأَبَاعِرِ]

(١) ط : « أَتَانَا » وهو تصحيفٌ عجيب ، أبدلته بما في ل . والدنن ، بحركة : انحناه في الظهر ، ودنو وتطامن في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهي دناء .

(٢) ط : « تَكْلِفُ » . (٣) ط : « الجوامِزُ » .

(٤) ط : « البهوتية » . ل : « البهوتية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس « والبهوتية من الإبل ما بين الكرمانية والعربية » . وجاء في المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهوى — بتقديم النون — من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل في العربية » .

(٥) في القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخافي والعَرَابِ ؛ أو الفوالج » وفي الأصل : « هي الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإن هذه الشهيرة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدان فوق أبدان أمهاتها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عتق الخيل ، ومن وثاجة^(١) البراذين ؛ وليس نتاجها كتناج البرذون خالصاً والفرس خالصاً .
وما أشبه قرابة الحمار بالرمكة والحجر ؛ من قرابة الجمل الفالج ٦٤
البُخْتِيَّ بقرابة القلوص الأعرابية .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمر الوحشية ؛ وبخاصة الأخدرية ؛ أطول الحمير أعماراً وإنما هي من نتاج الأخدر ؛ فرس كان لأزدشير بن بابك صار وحشياً^(٢) فحمى عدة عانات فضرب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن ، وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل وسائر الحمر - أعنى حمر الوحش - فإن أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاش أكثر وعمر أطول من عير أبي سيارة عميلة بن أعزل^(٣) ؛ فإنهم لا يشكون أنه دفع عليه بأهل الموسم أربعين عاماً !! قال الأصمعي : لم يكن عيراً وإنما كان أتاناً .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غيلة . بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧

وفيه قال عيسى بن حاصر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا - وكذلك هو في كتبهم - أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك في العوام .
وهم يزعمون أنَّ فيروز بن قباد^(١) الملك الفارسيَّ ؛ ألحَّ في طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكر له ووُصف ؛ فطاوله عند طلبه والتمسه ؛ وجدَّ في ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطارده إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه^(٢) ؛ فحطَّه في خَبَّار^(٣) فجمع جَرامِيزه وهو على فرسه ووثبَ ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ؛ فضم فخذيه فحطَّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذَ غيراً أخدرياً وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتياً^(٤) وسمَّه باسمه^(٥) وأرَّخَ في وسمِّه يومَ صيده وختَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذي يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وختَّى سبيله ؛ فعرفَ آخرُهم صنيعَ أولَهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

= على فرس عربي أو جل مهزي لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .
(٢) ط : « إلا فرداً » اقتداراً لخيار الأرض الرخوة (فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبَّار بأنه الأرض الرخوة ، وصحَّفها آخر فجعلها « لخيار » .

(٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .

(٤) ط : « متينا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل ، وخصائص من كلِّ أمة ، يلهجون
ويُكلِّفون بتعرُّف معاني آخريْن لدرست ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على
أولئك ، ويعجَّب الناس من تفرُّغهم لما لا يجدى ، وتركهم التشاغل بما يُجدي ،
فالذى حبَّب لهذا أن يرصدَ عمر حمار أو ورَّشان أو حية أو ضب ، هو الذى
حبَّب إلى الآخر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيات ، يتبعُها ويطلبُها فى كلِّ
واد وموضع وجبلٍ للترياقات . وسخرَ هذا ليكون سائسَ الأسد والفهود
والثُمور والبيور ^(١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعى غنم !!

والذى فرَّق هذه الأقسام ، وسخرَ هذه النفوس ، وصرف هذه العقول
لاستخراج هذه العلوم من مدافنها ، وهذه المعانى من مخايبها ، هو الذى سخرَ
٦٥ بطليموس مع مُلكه ^(٢) ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغ للأمور السهاوية ، ولرعاية
النجوم واختلاف مسير الكواكب . وكلُّ ميسرٍ لما خلق له ، لتتمَّ النعمة ^(٣)
ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبى التيسير للمعاصى ^(٤) .

فإنما الصناعاتُ فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكاً ،
وتقصُر بعضهم على أن يكون صيرَفيّاً ، فهى وإن قصرتْه على الحياكة ، فلم
تقصُرْه على خُلف المواعيد وعلى إبدال الغُزول ؛ وعلى تشقيق العملِ دون الإحكام
والصدق وأداء الأمانة ؛ ولم تقصُر الصيرْف على التطفيف ^(٥) فى الوزن والتغليط

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « البيور » جمع ببر ، وللفريق المألوف كلام جيد
فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة
اليونانيين ، وللفظلى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتم النعمة » .

(٤) ل : « وإنما تأبى التيسير للمعاصى » . . والمعتزلة يربطون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

في الحساب ؛ وعلى دس المموه ؛ تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع التناج المركب للطبيعة)

ولو كان أمر التناج وما يحدث بالتركيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأي وما هو أقرب إلى الظن ؛ لسكانت الأظلاف^(١) تجري مجرى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أن قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخت من العراب ؛ والخيول من الحمير !!

وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس - على شدة غلمته - لا يعرض للنعجة [إلا بالقليل الذي لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إما ألا يتم خلقه ، وإما ألا يعيش^(٢)] ؛ وكذلك الكبش والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج^(٣) لأنه قد يضرب الجنس في الجنس الذي لا يُلقحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيس للنعجة قليل^(٤) وأقل من القليل ؛ وكذلك الكبش للعنز ؛ وأقل من ذلك أن تتلاقح^(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبتة^(٦) .
وتد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل ؛ فادعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان !!

(زعم في الزرافة)

زعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط : « الأخفاف » .

(٢) التكلة من الأمبروزيانا .

(٣) ط : « فيها نتائج » .

(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلاً » .

(٥) في معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .

(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ماعدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريفه

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أنَّ اسمها ^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك ^(٢)) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك » ^(٣) الضبع ؛ لأن الضباع عُرج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما مُخَمَّع ؛ كما عرض للذئب القزل - وكلُّ ذئبٍ أقزل - وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفور لا يمشی ؛ ومشيُّه أن يجمع رجله أبداً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك ^(٢) اسم فارسيٌّ ؛ والفُرس تسمي الأشياء بالاشتقاق ؛ كما تقول للنعامة : أشتر مرغ ؛ وكأنَّهم في التقدير قالوا : هو طائر وجل ؛ فلم نجد هذا الاسم أوجبَ أن تكون النعامة نتاج ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمَّوها بذئب الشينين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلُّ حامض . فجسَّروا القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً ^(٤) ؛ وجعلوا الخليفة ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يحىء خلقه ما بين خلق الناقة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض ^(٥) لها الثور الوحشي فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولد الناقة ذكراً عرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فنهى من حجر البتة أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافة في الأرض ، فإنما ^(٦) هي

(١) ط : « أسماها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .

(٣) ط : « يلنك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من النّساج الذي ركّبوا ؛ وزعموا أنّ ذلك مشهورٌ في بلاد الحبشة ؛ وأقاصى
الين . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركّبٍ لا ينسل ولا يبقى نجله ولا
يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والرّاعي^(١) . وهؤلاء
وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويثّهمون الكتب ، وتغرّهم كثرةُ أتباعهم ممّن
تجدّه مستهتراً بسماع الغريب ، ومُغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع
هذا الاستهتار^(٢) نصيباً من الثبّت ، وحظاً من التوق ؛ لسَلِمَت الكتبُ
من كثيرٍ من الفساد .

(النساج المركب في الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لي صاحب الطيور : إنّهُ
من نِتاج ما بين القُمرى^(٣) والفاخنة^(٤) .

وقُناص الطير ، ومَن يأتي كلّ أوقه^(٥) وغيضةٍ في التماس الصيد ؛
يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقي على المياه فتتسافد ؛
وأَنَّهُم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدّرون أنّها من تلاقح
تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الورداني والزراغبي » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما في ص ١٣٧ من
هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمري : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الديمري : « الفاختة : واحدة القواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من
الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه في ل . والأوقه بالضم : مخضن الطير على
ردوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب في الحرباء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عن لقي من الأعراب أنهم زعموا
أن ذكر أم حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأم
حُبَيْن حُبَيْنَة ، والحُبَيْنَة هو اسمها . قال : وقيس تسمى ذكر العظاءة العَضْرَفُوط .
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإن
كان ضَبّاً مَكُوناً . قال : فإذا سام أبرص ، والورل ، والوحر ، والضَّبُّ
والحلّاء ، كلّها عنده عظاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن نعيم^(١) أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنت أبْنُه فبئس البني وبئس الأب ٦٦
وأملك سوداءَ نوبيّة كأن أناملها العنظ^(٢)
بيت أبوك بها مُعْدَقاً^(٣) كما ساورَ الهرةَ الثعلبُ

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظ : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظ » كما في الديمري ٢ : ٣٩٦
والديوان ٦٦ . والحنظ : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق
المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديمري والديوان .

(٣) ل : « مُعْدَقاً » وفي الديمري : « سافداً » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون
بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرساً » كما في الديوان ، أي سافداً .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغةً عن الرجل اليماني

أن تغضب أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زَانِي

فأشهد أن رحمتك من قريش كرحم الفيل من ولد الأتان^(١)

قال كيسان : ولأى شئ قال

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغي أن يقول : كرحم الفيل من الخنزير . قال أبو عبيدة :

أراد هو التباعد بعينه ، وأنت تريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أن أهل سفينة نوح كانوا

تأذوا بالفأر ، فعطس الأسد عطسة فرمى من منخره زوج سنائر ؛

فلذلك السَّوَرُ أشبه شئ بالأسد . وسلح الفيل زوج خنازير ؛ فلذلك

الخنزيرُ أشبه شئ بالفيل . قال كيسان : فينبغي أن يكون ذلك السَّوَرُ

آدم السنائر ، وتلك السَّوَرَة حواءها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلم

أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وصحك [فضحك] القوم .

(١) ق ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد »

وأثبت ما في ل ... والأبيات في الحيوان ٧ : ٧٣ والخزاة ٢ : ١٨ . بولاق منسوبة

كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى في الشعراء لابن قتيبة

٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس

ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شراء سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكل عند الثعمان مسلوخاً
بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلب منيته وفي الذئب له ظئر وأخوال^(١)
يقول : إن سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ،
فيطحن الجمر ويبيع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نجر^(٤)] الكلب الذي
يرض كل عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلا هو واثق بفتنه ، ولا يسيغه
إلا وهو على ثقة من استمائه^(٥) . فأما الذئب فإنه لا يروم بفكه شيئاً
إلا ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف .
ولذلك قال الراجز^(٦) :

أطلس يخفي شخصه غبارُهُ في فيه شَفَرَتُهُ ونارُهُ
فأبو قردودة لم يرد أن الذئب والكلب خالاه ، وأن النعام نجمله ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالاً من
الذئب . وشبهه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نُظْفَ ٦٨

(١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يبيع » وإنما هي « يبيع » بمعنى يسيل كما في .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهاهما وهي : « ما كان
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان في البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الخبيث عينه فراذه هم بني محارب مزداره

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأمامي (٣ : ١٢٩) والكاظمي ٢٠٨

والعمدة (١ : ١٦٨) ودويوان المعاني (٢ : ١٣٤) .

(٧) في الأصل : « وليس ذلك علي » وهو تحريف .

الخمّارين^(١) ، وزرائع الطُّورَة ، وأشباه الخُوْلَة .

وعلى شبيه بذلك قال سلم بن قتيبة^(٢) لبعض من ذكره ، وهو عند سليمان بن عليّ : أيّها الأمير ، إنّ آل فلان أعلاج خلق الله وأوباشه ، لناّم غدّر ، شرّ أبون بأنّقع^(٣) ، ثمّ هذا بعد في نفسه ، نطفة خمّار في رحم صنّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس - وأبو العباس هذا كان ختن إبراهيم على أخته ، وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرّ بشيء من الحوادث إلّا بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرّة : أتعرف موضع الحُطّوة من خلوة النساء ؟ . قلتُ : لا والله لأعرفه . قال : بل أعلم أنّ لا يكون الحُطّ إلا في نتاج شيكّين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدّي إلى الخلاص : وهو أن تزواج بين هندية وخراسانيّ ، فإنها لا تلد إلّا الذهب الإبريز . ولكن احرّس ولدها ؛ إن كان الولد أنثى فاحذر عليها من شدّة لواط رجال خراسان وزناء نساء الهند ، واعلم أنّ شهورها للرجال على قدر حُطّوتها عندهم ، واعلم أنّها ستسحق النساء على أعراق الخراسانيّة ، وتزني بالرجال على أعراق الهند ، واعلم أنّه ممّا يزيد في زناها ومساحتها معرفتها بالحُطّوة عند الزّناة ، وبالحُطّ عند السحاقيات^(٤) .

(١) في الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإمّا هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرابون ما أنقع لهم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمه أنقع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنّقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للدهم المنكر ، لأنّ الدليل إذا عرف القلوات حذق سلوك الطرق إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضروباً^(١) من الحق والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أن الشبوط ولد الزجر^(٢) من البئى ، وأن الشبوط لا يخلق من الشبوط ، وأنه كالبلغل في^(٣) تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبى وإيلة إياس بن معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٤) في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبئى ، وأنها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حيناً ، ثم إنها^(٥) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حريث أنه كان بأينج^(٦) ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء^(٧) تكاد تمس الأرض ، وتكاد تمس قمم رؤوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات الخنازير^(٨) ، وكهدير الفحول في الأشوال ، ثم إنها دفعت بأشد مطر روى أو سمع به ، حتى استسلموا للغرق ، ثم آندفعت بالضفادع العظام^(٩) ، ثم

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالخاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبدي : سلك عظام .

(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حصرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خثام إنما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أينج كاحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بمرقند » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « الخنازير » وهي جمع جحش أو جحشة ، وهي الرحى .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبابيط السَّيَّانَ الخِدَال^(١) فطبخوا واشتَووا ، وملَّحوا وادَّخروا .

(غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد)

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبُوط كالِبِغْل ،
 ٦٩ أن الناس لم يجدوا في طول ما أكلوا الشبابيط في جوفها بيضاً قط . فإن كان
 هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب الفِراسة
 ودقة الفطنة صحيحاً ، فما أعظم المصيبة علينا فيه ، وما أخلق الخبر أن
 يكون صحيحاً ، وذلك أي سمعت له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان
 وأقسام الأجناس ، يدل على أن الرجل حين أحسن في أشياء وهمه العُجبُ
 بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنع عليه ، وغرّه من نفسه الذي غرَّ الخليل
 ابن أحمد ، حين أحسن في النحو والعروض ، فظن أنه يحسن الكلام
 وتأليف اللُحون ، فكتب فيهما كتابين لا يُشير بهما ولا يُدلُّ عليهما إلا
 المِرَّةَ المحترقة ، ولا يؤدِّي إلى مثل ذلك إلا خِدْلان من الله تعالى ، فإن
 الله عز وجل لا يُعجزه شيء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُوط — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا
 يكون إناثه أيضاً يجمعن البيض ، وإذا جمعن فلو جمعت بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخِدال » كما في ل . والخِدال : جمع خِدلة ، وهي
 الممتلئة الأعضاء لها في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشَطَرُ بَيْضِ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذُقْتُهُ
لِلتَّعْرِفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجِبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسْأَلُهُ فَهُوَ يُنَبِّئُكَ
أَنْ لَهُ بَيْضًا ، وَاسْكَنَّهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَيْلًا قَلِيلًا ، لِأَنَّ الشَّبَائِطَ فِي أَصْلِ
الْعَدَدِ مِنْ أَقَلِّ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ
رَامَهْرَمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّى فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ، وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْذَبَ فَلَا أَعْذَبَ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارَى ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذَكُرُ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَضْبِ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَّبُوا عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُ لَهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَّبَ عَلَى الْمَوْتِ
وَأَسْتَشْهَدُ الْغَيْبِ أَحَدُكُمْ ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْخَيْلَةِ ،
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقَدْ » وَالْوَجْهُ مَا نَبَّيْتُ . مَا عَدَلَ « بَعْضُ » .

(٢) ل : « وَإِذَا » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنى بقرى ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكباش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذى يلد حيواناً مثله مما يمشى على ٧٠ أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميس عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم في الإبل)

والناس يقولون في الإبل أقاويل عجيبة : فمنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سِفَادِ الجَنِّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين^(١) فجعلوا المثلَّ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحَارِبٌ تغنَّتْ شياطين وجُنَّ جنونها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لا تقبل إلا مولى ولا تدبر إلا مولى » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواصي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواصي الشيطان في أخلاقها وطوائمها . وفي حديث آخر : « لاتصلوا في أعنان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي: المأثور من السيوف الذي يقال: إنَّ الجنَّ علمته .
 وهم يسمُّون الكبيرَ والخِنْزُوانَةَ والنَّعْرَةَ التي تضاف إلى أنف المتكبرِ
 شيطاناً ، قال عمر: حتى أنزعَ شيطانَه ، كما قال: حتى أنزع النَّعْرَةَ التي في
 أنفه ^(١) . ويسمُّون الحَيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطاناً ، وهو قولهم: شيطان.
 الحَمَاطَة ^(٢) . قال الشاعر:

تعالج مثنى حَضْرَى كأنه تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بَدَى خِرُوعٍ قَفَرٍ ^(٣)
 شَبَّه الزَّمَامَ بِالْحَيَّةِ . وعلى مثل ذلك قال الشاعر:
 شَنَاحِيَةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّوْمِ مِنْ أَسْطَعِ حَشَرٍ ^(٤)
 والحَبَابُ: الحية الذكور ، وكذلك الأيم ^(٥) . وقد نُهِى عن الصلاة عند
 غيبوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتام ذلك . وفي الحديث:
 « إِنَّمَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » .

(ضرورة حذف اللغة للعالم والمتكلم)

فلعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ ، وموضعُ كلامٍ يدلُّ عندهم على

-
- (١) ابن الأثير: النعرة بالتحريك: ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير. وينسل.
 أنفه فيركب رأسه. سميت بذلك لتعيرها. ثم استعيرت للثخوة والكبر. وصاحب.
 القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبير كهزمة وبالتحريك، وإذا كانت.
 بمعنى الذباب كهزمة فقط.
- (٢) الحماطة: شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات، أو التين الجبلي أو الأسود الصغير
 أو الجيز. عن القاموس.
- (٣) ط: «تعامج متنا» والصواب ما أثبت من ل ومن المختصن ولبان العرب (شطن) ..
 ونسبه الجاحظ في ٤: ١٣٣ إلى طرفة.
- (٤) الشناحية: الطويلة. وفي ل: «أسطح جسر» ولعل في البيت تحريفاً.
- (٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر: الحية الأبيض اللطيف، أو عام، جمه أيوم. وانظر.
 معجم المحطوف ٢٦٩.

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخر ، ولها حينئذ دلالات أخر ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناس أن من الإبل وحشياً وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك ^(١) ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض وبّار ، لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلأ أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فالمهريّة من ذلك النتاج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشية هي الحوش ، وهي التي من بقايا إبل وبّار ، فلما أهلّكهم الله تعالى كما أهلّك الأمم مثل عاد وثمود والعمالقة وطّسم وجديس وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي ^(٢) ، فإن سقط إلى تلك الجزيرة بعض الخلعاء ^(٣) ، أو بعض من أضل الطريق حشّت ^(٤)

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطائر المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط : « لا يطورها أحد » . قال في القاموس : « وطردتهم : أتيهم وجزّتهم » . فالبارتان سليمان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجزيرة » و « الخلقاء » موضع « الخلقاء » . وما في ط : تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حاء » .

الجن في وجهه ؛ فَإِنَّ أَلْحَ خَبَلْتَهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشُ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهْبِيَّةُ .

وَأُنْشَدَنِي سَعْدَانُ الْمَكْفُوفُ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِلَّا بِي عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَرَاوَيْسِ الذَّهَبِ
وَقَالَ الْآخَرُ (٤) :

إِذَا اضْطَكَّتْ بِضَيْقِ حَجَرَتَاهَا تَلَاقَى الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا مُنِمَّتْ صَاحِبَةُ يَزِيدَ بْنِ الطَّائِرِيَّةِ حُوشِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥) .

وَقَالَ رُوَيْبَةُ :

جَرَتْ رَحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الْحَوْشُ » .

(٢) ط : « وَأُنْشَدَ ابْنُ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفُ » وَكُتِبَتْ مَا فِي ل وَ س . . . وَسَعْدَانُ
هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عُمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُومَةٌ فِي الْبَيْغَةِ لِلْسَّيْطِيِّ ٤ : ٢
وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ ، وَزُجَّةُ الْأَبْيَاءِ ٢٠٦ ، وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عَيْبَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْقُرَّاءِ وَلَهُ كِتَابُ مُصَنَّفٍ فِي النَّحْوِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٣١ ، وَلَهُ تَرْجُومَةٌ فِي الْبَيْغَةِ ٤٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ ، وَالزُّجَّةُ ٢١٢ .
وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مَنَّهُمَا مُحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْتَعِهِ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجُوهُ لِهَذَا الْوَصْفِ
أَنْظَرَ فَهَرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْبَسَكَ وَ ٧٢ مِصْرَ وَابْنُ خُلِكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمُ
الزَّرَكَلِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٤٠ .

(٤) هُوَ عَاهَانُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ كَا فِي الْلسَانِ (لَطِمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ إِبِلٌ
مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْعَسْجِدُ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّ : الْمَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ .
وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْغَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسَكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س وَ ل وَ هُوَ الصُّوَابُ . وَالرَّحَى : بَخَاطَةُ الْإِبِلِ . وَفِي ط وَالْمَعْنَى
٢ : ٢٠٥ « رَجُلًا » . وَرِوَايَةُ الْلسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مُطِرُوا الشَّبُوطَ ، فإنه لما ظنَّ أنَّ الضفادعَ التى تُصَابُ بِعَقَبِ المطرِ ؛ بحيثُ لا ماء ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة - فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهْناء والصَّمان^(١) - ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحابِ وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنايع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنَّ السمك ؛ ثم جسرَ فجعلَ السمكَ شَبُوطاً . وتلك الضفادعُ إنما هى شَيْءٌ يُخْلَقُ تلك الساعة ، من طباعِ الماء والهواء والزمانِ وتلك التُّرْبَةُ ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلافيح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابة التى تكون فى رأى العين بين الشكليين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلافُحٌ ؛ كالضأن والمعز ، وكالفأر والجُرَذان ، فليس بالعجَب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيكة ؛ وهو الذى تَخْلَقُ من بين المولِّدات والمُهَنْدِيَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعُودَ ؛ دجاجة ووُزَنَ فيها سبعة عشر رطلاً بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

(١) ط : « الدور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب

ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضاً . والصمان : كل أرض صليبة

ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الإخلاص من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .
ورأينا البيسرى^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجيء أحسن
وأملح . وهم يسمون^(٢) الماء إذا خالطته الملوحة بيسراً^(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديات . ورأينا الإخلاص من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلق بين السلوقى وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزنى
والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الدُّور والحراس . وسنقول فى السَّمْع^(٥) والعِيسار ؛
وفى غيرهما من الخلق المركب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أوها
سروجر ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإن فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أن
لم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُرى^(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول
علماء العرب .

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لخاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسرياً » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :
القصير جداً .

(٥) ط : « السمع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « ترى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماشٍ ويزال وجدعاناً^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعينَ فتًى من قتيانِ قریش وثقیف أعمارَ عامٍ واحدٍ فأحصوا عشرينَ من قریش ، وعشرينَ من ثقیف ، وتوخَّوا المتجاورينَ في الحلةِ والمتقاربينَ في الدُّورِ من الموقرينَ على النبيذِ ، والمقصورينَ على التناؤمِ ، وأتَمَّ أحصوا مثلَ ذلكَ العددِ وأشباهَ أولئك في السنِّ مَن لا يذوقُ النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاءَ ، فذكروا أَنَّهُمْ وجدوا بعدَ مَزورِ دهرٍ عاتيةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامَّتُهُمْ ، وكانوا قد بلغوا في السنِّ . أما عثمانُ ويزال^(٢) فكانا من المعمرينَ ، وقد رأيتُهما جميعاً ولم أسمعَ هذا منهما ، وسنأتُ على هذا البابِ في موضعه من ذكرِ المعمرينَ ، ونمِيزُ الصدقَ فيه من الكذبِ ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يمرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدُهم ممثلاً من النبيذِ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشرابِ والإفراط في شهوته وشدة النهم .

ويعرض لهم أيضاً إثارُ المخفس^(٣) وحبُّ الصرْفِ ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذل وجدعان » .

(٢) ل : « وبذل » .

(٣) ط : « الخبث » وليس بشيء . وفي ل : « الخفش » وها تعريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإسكار .

بما يعرض للنساء ، والإفراط في شهوتهنَّ وشدة الهمة لهنَّ والغيرة عليهنَّ .
ويحتلمون ، ويحسبون ويغتسلون ، ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ ، الذي
له زيج طلع الضجَّال^(١) .

ويعرض للخصى شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم
أو مال كثير أو جاه عريض ، حتى ربما كان عند مولاه بعض من عسى
أن يتقدم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصى كلفاً بهم ويتعظيمهم ،
ومغرمًا بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعد الهمة وكرم الشئمة ،

٧٣ فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمال إلى مسكياً
هذا الأديب الكريم ، والحبيب الشريف ، فيزعه من تحت مرفقه ،
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع
المرافق بعيداً ، أو^(٢) كان ذلك مما يفوت بعض القوت ، ويفعل ذلك
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك
الموسر وصاحب الجاه أبداً^(٣) .

(أقوال في منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خصاء الخيل خاصَّة ، وبعضهم زاد على ذلك حتى
حرَّم خصاء البهائم . وقال بعضهم : إذا كان الحصاء إنما اجتلبه فاعله
أو تكلفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » . وحذبت القول
من ل .

فذلك جائز ، وسبيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وأله يجوز كل ألم .
وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم
في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القصواء ناقة النبي
جلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

(أقوال في رسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الخصاء من شدة
الألم ، ومن المثلة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،
والنقص لمواد القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الآلية أشبه ،
والسمة إنما هي لذعة ، والخصاء مجاوز لكل شديدة ^(١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الآلية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة
من اللحاق بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطعُ الآلية في جواز
القول ^(٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ
فيه لرب المال ، وقطعُ الآلية من شكل الختان ، ومن شكل البط ^(٣)
والفصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود ^(٤) والحجامة ،
ومن جنس السكى عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شدة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبلة : المضعف .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شق الفم .

(وسم الابل)

قال الأولون : بل ^(١) لعمرى إنَّ للإبل في السَّماواتِ لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشرب بِسماواتِها ولا تُذادُ عن الحوضِ إِكراماً لأربابِها ؛ وقد تُضِلُّ فتُؤوَّى ؛ وتُصاب في الهواشاتِ ^(٢) فتُردُّ .

قالوا : فإنَّا لانسألكم إِلاَّ عن سماءِ الخيلِ والبغالِ والحُميرِ والغنمِ . وبعدُ فكيف نستجيزُ أنْ نَعَمَّها بالإحراقِ بالنارِ ؛ لأمرِ عسى ألاَّ يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحدٌ ؛ ثم عسى ألاَّ يحتاج [من جميع] ذلك في جميعِ عمره [إِلاَّ] إلى شربةٍ واحدةٍ .

وقال القوم : إِنَّمَا المياسمُ في النَّعمِ السائمةِ كالرُّقومِ في ثيابِ البَرَازِ ؛ ومتى ارتفعت الرُّقومُ ومُنِعَت المياسمُ ، اختلَطَت الأموالُ ، وإذا اختلَطت ٧٤ أُمكِنَ فيها الظلمُ ، والمظلومُ باذلٌ نفسَه دونَ المعيشةِ ^(٣) والمُضَيِّمةِ .

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالحجَّمةِ وكالشئِءِ المصبورِ ، وقد مُهِينا عن إحراقِ الهوامِّ ، وقيلَ لنا : لاتعدُّبوا بعذابِ الله تعالى ، والميسمُ نارٌ ، وقطعُ الأليةِ من شكلِ قطعِ العروقِ ، وصاحبُ الحجَّمةِ يَقْدِرُ أنْ يرميَ - إنْ كان به تعلُّمُ الرمايةِ - شيئاً لا يألم ولم يُنَّهَ عن تعذيبه ، فَكأَ ^(٤) يَرُدُّ الشئِءِ المصبورِ من العذابِ مَرَدّاً بوجهه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف ماق ل .

(٢) الهواشات بالفم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيئة » بمعنى النحلة الصمبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقصها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث في جميع الحيوان حدثاً من نقصٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لا تملك الذنابة ^(١) ، ولا يمكنك التعويض له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عز وجل ، حل لك من ذلك ما كان لا يحل . وليس لك في حجة العقل أن تصنع بها إلا ما كان به مصلحة ، كعلاج الدبر ^(٢) والبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنع كل ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، مما لم يكن مدفوعاً ^(٣) عند بعضهم ، إلا أن يكون نهي ذلك البعض من جماعتهم ^(٤) ، في طريق الخلاف والرد والمفارقة . ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإن ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكأف يعرف وجه الملام . والمذهب في ذلك معروف ^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحد ، فقد علمنا أنه أبيع من طريق التعبّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القمل والبراغيث والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدار الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالق الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مدفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والمقادير على تعويضه قتله ، كان قتله أسوغ في العقل مع الأذى ، من ذبح
البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذ ولا كل [ذى] أذى ^(١) حكم الله تعالى فيه
بإباحة القتل ، والله عز وجل ، بمقادير الأمور وبحكم المختلف والمتفق ،
والقليل من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالد وطاع الولد .

والجواب الماضي إنما هو ^(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول
الفظام . وأكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعض الملحدين من المعاندين ، أو بعض

الموحدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعن في ملك الخصى وبيعهم ٧٥
وابتياعه ، ويذكرون الخصى ^(٣) الذى كان المقوقس عظيم القبط أهدها إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خصياً بعد أن عرفه وأحاط علمه
بأنه خصى ، وأنتم تزعمون أن الخصاء حرام ، وأن من اشترى من الخاصى
خصياً ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الخصاء وحث عليه ،
ورغب فيه ، وأنه من أفحش الظلم وأشد القسوة ، وزعمتم أن من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقتلتم : وكذلك من شهد القيار^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقتال الديوك ، وأصحاب المزارحات^(٢) وحرب الفئتين الضالّتين . وقتلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النظّارة لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشّطر ، لغلبة الرياء والسُّمعة على قلوب الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخُلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة لهذه العلّة ، والبائع يزيد فى السّوم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قد قبل له من المقوقس ، كما قبل مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهم — فهّمك الله تعالى — ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفق ، وعلى الله قصدُ السبيل .

أقول : قبل كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أن يكون مرضىّ الإسناد ، صحيح المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسد المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنّه قبله منه بعد أن علم أنّه خصى ، وعلى أن قبول الهدية خلاف الابتىاع ؛ لأنّ بائع الخصى إنّما يحرم عليه التماس الزيادة ، وكذلك المبتاع إنّما يحرم عليه دفع الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجلّ منه وأشبّه وأخدم منه لم يزدّه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفحل سومه بالخصى . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيل البيع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المزارجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنما هديّة الخصى كهدية الثوب والعطر ، والدابة والفاكهة . ولأنّ الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه ، بل لا يحلُّ طرده ونفيه ، وعتقه جائز ، وجواز العتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلب الزيادة ، أو لو تاب من الخيلاء أو استحلّه مما أتى ٧٦ إليه ، لمّا حرم على الخاصى نفسه استخدامه . والخصى مالٌ وملك ، واستخدامه حسنٌ جميل ؛ ولأنّ خيلاء إياه لا يعتقه عليه ، ولا يُزِيل عنه ملكه إلا بمثل ما وجب به ملكه ^(١) .

وأخرى : أنّ في قبول هديّة ذلك الملك ، وتلقّي كرامته بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضاً : أنّ زنباعاً الجذامى ، خصى عبداً له ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشئ وليس القول فيه يقع في نسق القول في الخصى ، وفي الخلق المركّب ، ولكن إذ قد أجبتنا في مسألة كلاميّة من مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أنّ العرب لم يسموا حروب أيّام الفجار بالفجور ^(٢) وقريش خاصّة ، إلّا أنّ القتال في البلد الحرام ، في الشهر الحرام كان عندهم فجوراً ، وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالفجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ، وقال : « شَهِدْتُ الْفَجَارَ فَكُنْتُ أَنْبُلُ عَلَى عُمَمِي » .

وجوابنا في ذلك : أَنَّ نَبِيَّ عَامِرَ بْنِ صَعْصَعَةَ ، طَالِبُوا أَهْلَ الْحَرَمِ مِنْ قَرِيْشٍ وَكِنَانَةَ ، بِجَرِيرَةِ الْبَرَّاءِ بْنِ قَيْسٍ ، فِي قَتْلِهِ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ مَنْ لَمْ يَجْرَ وَمَنْ لَمْ يَعَاوُنْ ، وَأَنَّ الْبَرَّاءَ بْنَ قَيْسٍ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَلِيعاً مَطْرُوداً ، فَأَتَوْهُمْ إِلَى حَرَمِهِمْ يُلْزِمُوهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِمْ ، فَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَعَنْ ذُرَارِيهِمْ ، وَالْفَاجِرُ لَا يَكُونُ الْمُسْعِيَّ عَلَيْهِ ، وَلِلذَلِكَ أَشْهَدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ ، وَبِهِ نَصَرُوا كَمَا نَصَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى فَارَسَ يَوْمَ ذِي قَارٍ ، بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَخْرَجِهِ . وَهَذَانِ جَوَابَانِ وَاضِحَانِ قَرِيْبَانِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتَابُ .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الْخَصِيِّ وَمَسَاوِيهِ ^(١) .
الْخَصِيُّ يُنْكَحُ وَيَتَّخِذُ الْجَوَارِيَ وَيَشْتَدُّ شَغْفُهُ بِالنِّسَاءِ ، وَشَغْفُهُنَّ بِهِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَجْبُوبَ الْعَضْوِ فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَ . وَقَدْ يَحْتَمِلُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ عِنْدَ الْوُطْءِ مَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ، مُتَغَيِّرُ الرِّيحِ ، رَقِيقٌ ضَعِيفٌ . وَهُوَ يَبَاشِرُ بِمَشَقَّةٍ ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ الْمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ إِذْ كَانَ قَلِيلَ الْمَقْدَارِ ^(٢) لَا يَخْرُجُهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الضَّعْفِ ،

٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوي للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْمَقْدَارِ » .

مثل الذى يعترى من يخرج منه شئ يكون من إنسان، وهو أخثر، وأكثر،
وأحد ربحاً، وأصح جوهرًا.

والخصى يجتمع فيه أمنيّة المرأة، وذلك أنّها تبغض كلّ سريع الإراقة،
بطيء الإفاقة، كما تكره كلّ ثقیل الصدر، وخفيف العجز، والخصى هو
السريع الإفاقة، البطيء الإراقة، المأمون الإلقاح، فتقيم المرأة معه، وهى آمنة
العار الأكبر، فهذا أشدّ لتوفير لذّتها وشهوتها. وإذا ابتذلن الحَصيان،
وحقّرن العبيد، وذهدت الهيبة من قلوبهنّ، وتعظيم البعول، والتصنع لذوى
الأقدار باجتلاب الحياء وتكألف الخجل، ظهر كلّ شئ فى قوى طبائعهنّ
وشهواتهنّ، فأمكنها النّخير^(١) والصّياح، وأن تكون مرّة من فوق، ومرّة
من أسفل، وسمحت النفس بمكنونها، وأظهرت أقصى ما عندها.

وقد تجدد فى النساء من تؤثر النساء، وتجدّ فيهنّ من تؤثر الرجال،
وتجدّ فيهنّ من تؤثر الحَصيان، وتجدّ فيهنّ من تجمع ولا تفرّق، وتعمّ
ولا تخصّ، وكذلك شأن الرجال فى الرجال، وفى النساء والحَصيان. فالمرأة
تنازع إلى الخصى لأنّ أمره أسترّ وعاقبته أسلم، وتحرص عليه لأنّه ممنوع
منها، ولأنّ ذلك حرام عليها، فلها جاذبان: جاذب حرص كما يُحرص على
الممنوع، وجاذب أمن كما يُرغب فى السلامة. وقال الأصمعيّ: قال يونس
ابن عُبيد^(٢): لو أخذنا بالجنّز لصبرنا^(٣). قال الشاعر:

(١) ط: «النّخير».

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين، وكان بينهما مداعبة. روى فى عيون
الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال: أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية
فسمعتة يقول: قولوا له إني نائم - يريد سأنام - فقلت: معى خبيص. فقال:
مكانك حتى أخرج إليك!

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢.

وزادها كَلَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمِنًا^(١)

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لا يَقْدِرُ على الاحتِجَازِ منه ، والاحتراسُ من خُدَعِهِ ، إِلَّا كُلُّ مَبْرُزٍ فِي الْفُتْنَةِ وَمَتْمَهْلٌ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلُ التَّجَارِبِ ، فَاضِلُ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ . وَبُئْسَ الشَّيْءُ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا : صَاحِبُ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَيَكُمُ أَعْظَمُ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبَرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِبْماً إِذَا صَادَفَ مِنَ السَّامِعِ قَلَّةً تَجَرُّبَةً ، فَإِنْ قَرَنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجَرُّبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفُظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ الْخَبَرُ السَّابِقُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ دُخُولاً سَهْلاً ، وَصَادَفَ مَوْضِعاً وَطِئاً ، وَطَبِيعَةً قَابِلَةً ، وَنَفْساً سَاكِنَةً ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسوخاً لَاحِظَةً فِي لِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفَتَيَاتِ ، فِي وَقْتِ الْغَرَارَةِ ، وَعِنْدَ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَهَنَكَ سُكْرُ الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُمْ بِالْغِلَامِ الْغَرِيرِ فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغِلَامُ فِتًى أَبَداً حَتَّى يَصَادِقَ فِتًى [وَإِلَّا فَهُوَ تِكْشُ] ، وَالتَّكْشُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُؤَدِّبْهُ فِتًى وَلَمْ يُخَرِّجْهُ [، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ، بِأَسْرَعَ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغِلَامِ أَدْنَى هَوًى فِي

(١) ط : « أَحَب » . ومشهور الرواية وما في ل هو مأثبات . وفي عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كَمْ مِنْ دَنَى لَهَا قَدْ صَرَتْ أَتْبَعَهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَمَا
(٢) ط : « يَضَع » .

الفتوة^(١) ، وأدنى داعية إلى المائلة^(٢) : وكذلك إذا خلت العجوز
المدربة^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تخالها . وأنشدنا :

فأتتها طيبة عالمة تخط الجدد بأصناف اللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها وتناهى عند سورات الغضب]
وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحيب الأول
كم منزل في الأرض يالفه الفتى وحينئذ أبدا لأول منزل
وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(أثر التكرار في خالق الإنسان)

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طول وقوع البصر على
الإنسان الذى فى طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله . وطول التذانى ،
وكثرة الرؤية هما أصل البلاء ، كما قيل لابنة الحس : لم زنى بعبدك ولم
ترنى بحر^(٥) ، وما أغراك به ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد .
ولو أن أقبح الناس وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدرية » .

(٤) هو أبو تمام كما فى الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان فى ديوانه ٤٥٧ .

(٥) فى الأصل « ولم ترنى بحر » والوجه ما كتبه . . وابنة الحس هى هند . ولما أخبار
كثيرة فى البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها ، ومكنته من سَمْعِها :
 وَاللَّهِ يَا مَوْلَاتِي وَسَيِّدَتِي ، لَقَدْ أَسْهَرْتُ لَيْلِي ، وَأَرْقَتِ عَيْنِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ
 مُهِمِّ أَمْرِي ، فَمَا أَعْقِلُ أَهْلًا ، وَلَا مَالًا ، وَلَا وَلَدًا ؛ لِنَقْصِ طِبَاعِهَا ، وَلِفَسْخِ
 عَقْدِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ أْبْرَعَ الْخَلْقِ جِالًا ، وَأَكْلَمَهُمْ كَمَالًا ، وَأَمْلَحَهُمْ مِلْحًا .
 فَإِنْ تَبَيَّنَ مَعْ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْمُتَعَشِّقِ ، أَنَّ تَدَمَّعَ عَيْنُهُ ، احتاجت هذه المرأةُ
 أَنْ يَكُونَ مَعَهَا وَرَعٌ أَوْ أَلْدَرْدَاءُ ، وَمُعَاذَةُ الْعُدْوِيَّةِ ، وَرَابِعَةُ الْقَيْسِيَّةِ ،
 وَالشَّجَاءُ ^(١) الْخَارِجِيَّةُ .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وَلَمَّا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « اضْرِبُوهُنَّ
 بِالْمَرْئِي » لِأَنَّ الْإِيَابَ هِيَ الْمُدْعَاةُ إِلَى الْخُرُوجِ فِي الْأَعْرَاسِ ، وَالْقِيَامِ فِي
 الْمُنَاحَاتِ ، وَالظُّهُورِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَمَتَى كَثُرَ خُرُوجُهَا لَمْ يَعْدَمْهَا أَنْ تَرَى مِنْ
 هُوَ مِنْ شَكْلِ طَبْعِهَا . وَلَوْ كَانَ بَعْلُهَا أْتَمَّ حَسَنًا ، وَالَّذِي رَأَتْ أَنْقَصَ حَسَنًا ،
 لَكَانَ مَالًا تَمَاسِكُهُ ، أَطْرَفَ مِمَّا تَمْلِكُهُ ، وَلَكَانَ مَا لَمْ تَنْلُهُ ، وَلَمْ تَسْتَبْكُرْ
 مِنْهُ ، أَشَدَّ لَهَا اشْتِغَالًا وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَابًا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

٧٩ وَلِلْعَيْنِ مَلْهُىٌّ بِالتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ ^(٢)
 وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ : لِأَنَّ ^(٣) يَرَى حَرَمَتِي أَلْفُ رَجُلٍ عَلَى حَالٍ تَكْشِفُ

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأمان

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كاقتياد » موضع « كاقتياد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى حُرْمَتِي رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّكَ حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّكَ إذا أتبتها بصرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّكَ لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان أَلْذَى رأيت منها كالعلم ، وكما يتصور للمتمنى ، فإذا انقضى ما هو فيه مِنَ الْمَنَى ^(١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن عليه من [فقدها إلّا مثلُ] فقد ما رآه في النوم ، أو مثله له الأمانى ^(٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة ^(٣) : لو زوّجْتَ بناتِكَ ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وِصَمٍ إذا لم يكنَّ غايات !! قال : كلا ، إني أُجِيعُهُنَّ فلا يَأْشُرْنَ ، وأُعْرِيهنَّ فلا يظهَرْنَ ^(٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبي صلى الله عليه وسلم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال] : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعينُوا عليهنَّ بِالْعُرَى . وقد جاء في الحديث : « وقُروا أشعارهنَّ فإنَّ [ترك الشعرَ مَجْفَرَةٌ ^(٥)] .

(١) ط : « . . . كالحلصة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المنى » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علفة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغاني ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يَأْشُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يظهَرْنَ » بدل « يظهَرْنَ » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للشكاح ونقعا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأول الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خصيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقا تل دون السخول ^(١) ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كان في قطيعة الربيعِ خصيٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيمُ المنزلة عنده ، وكان يثق به في ملكٍ يمينه ، وفي حُرْمه من بنتٍ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخلصُ شيئاً دونَ شيءٍ ، فأشرفَ ذاتَ يومٍ على مَرَبْدٍ له ، وفي المَرَبْدِ غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يَدَي شاةٍ وركبها من مؤخرها يَكُومُها ، فلَمَّا أبصره بَرِقَ وَبَعِلَ ^(٢) وسُقِطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوٍّ له ^(٣) لَمَّا فارَقَ ذلك الهولُ أبدأ قلبه ، فسكيف وإثما عينَ الذي عاينَ فيمن كان يخلُفُه في نسائه من حُرْمه وملكِ يمينه . فيينا الرجلُ وهو واجم [حزين ^(٤)] ، وهو ينظر ^(٥) إليه [وقد تحرقَ عليه غيظاً] إذ رَفَعَ الخصى رأسه ، فلَمَّا أثبتَ مولاهُ مَرَّسِرَعا نحوَ باب الدار ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذي رآه منه

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط «بعد» ولا وجه له . . وأما (بعِل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضعاً لا يُصعد [إليه] ، فحدث لشقائه أمر لم يجد مولاة [معه] ^(١) بُدأ من صُعوده ، فلبث الخصى ساعة ينتفض من حمى ، كَبِثَ ثم فَاظ ، ولم يُمس إلا وهو في القبر .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالحسرة التي نالتهم ، وبالأسف الذي دخلهم ، أبغضوا الفحول بأشد من تبغض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس بين الحاسد الباغى وبين أصحاب النعم المتظاهرة ، ولا بين الماشئ المعنى وبين ٨٠ راكب الهملاج الفاره ، ولا بين ملوك صاروا سُوقَةً ، وبين سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الحيران والمتشاكلين في الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الخصبان للفحول ^(٢) .

وبغض الخصى للفحل من شكل بغض الحاسد لذى النعمة ، وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجال كل فن وضرب من الناس ، ضرب من النسك ، إذ لا بد لأحدهم من النزوع ، ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الخصى غزو الروم ، لما أن كانوا هم الذين خصّوهم ، ولزوم أذنة والرباط بطرسوس وأشباهاها . فظن عند ذلك أهل القراصة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصّوهم ، كانوا مغناطين عليهم ^(٣) ، وكانت

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف »

و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « مغناطين عليهم » .

متطلباً إلى التشفى منهم ، فأخرج لهم حبّ التشفى شدة الاعزام على قتلهم ، وعلى الإنفاق في كلّ شيء يبلغ منهم . ونسك الخراساني أن يُحجّ : ونسك البنوي^(١) أن يدع الديوان . ونسك المغني : أن يُكثر التسبيح وهو يشرب النبيذ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في جماعة . ونسك الرافضي : إظهار ترك النبيذ . ونسك السوادي ترك شرب المطبوخ فقط . ونسك اليهودي : إقامة السبت . ونسك المتكلم : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي ، وأن يرى الناس بالجبر ، أو بالتعطيل ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أن ذلك ليس إلّا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نطفاً ، أو مرتاباً ، أو مجتئحاً على بليّة^(٢) ، لما رمى الناس ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلّا للعز الذي في قلبه ، ولو كان هناك من ذلّ الريبة شيء لقطعه ذلك [عن]^(٣) التعرض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إن حرّكهم له أن يتحرّكوا . ولم نجد في المتكلمين أنطف ولا أكثر عيوباً ، ممن يرمي خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجواز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمّاز ، وهو محمد بن عمرو^(٤) ، يتعشق جارية

(١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبنواي وبثوى محرّكة » وفي رسائل الجاحظ ١٥ سمي مايفيد أنهم من خراسان . . وهي في ط :

« الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « التطف » : الرجل المريب . . وفي ل : « محتجنا » بدل « مجتئح » .

(٣) زيادة يقتضها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُعْيَان ، وكان لم خصيٍّ يحفظها إذا أرادت بيوت المغنّين ،
وكان الخصىُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمّاز ، وكان قد حال بينه وبين كلامها ، ٨١
والدنوُّ منها ، فقال الجمّاز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيَّتِ سِنَانٍ ولِلطَّبَّاءِ المِلاح
لَيْسَ زَانٍ خَصِيٌّ غَازٍ بغيرِ سلاح^(١)

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداء لظبي يحبُّني وأُحِبُّهُ
من أجلِ ذاكِ سِنَانٌ إذا رَأَى يَسْبُهُ
هَبُّهُ أَجَابَ سِنَاناً يَنِيكُهُ أينَ زُبُّهُ

وقال أيضاً فيهما :

ظبيُّ سِنَانٌ شريكِي فيه فَبِئْسَ الشَّرِيكَ
فلا يَنِيكَ سِنَانٌ ولا يَدْعُنَا نِيكَ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال البَاخَرَزِيُّ^(٢) يذكرُ محاسنَ خِصَالِ الخِصَيَان :

ونساء لمطمئنٌ مُقيمٌ ورجال إن كانت الأسفار

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها
وانحدر فات فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصي بزّان » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب فيما كتبت .

وانظر المحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعداً والأميروزيانا : « الماخوري » .

١ وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهاء تخصى حمارها بغي من بغي خيراً إليها الجلامد^(١)]
وقال مزرد بن ضرار :

[فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة ولا جاجة منها تلوح على وشم^(٢)]
وقال عمرو الخاركي^(٣) :

إذا لام على المرد نصيح زادني حرصاً
ولا والله ما أفلح ما عثرت أو أخصى

وقال آخر^(٤) :

رمالك الله من أير بأفعى ولا عافاك من جهد البلاء
جزاك الله شراً من رفيقي إذا بلغت بي ركب النساء
أجنباً في الكريمة حين نلقى وما تنفك تنعظ في الخلاء
فلا والله ما أمسى رفيقي ولولا البول عوجل بالخصاء

(١) الجلبانة : الصغابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخروزة التي لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء مستحيياً وخائباً أيضاً . والعاجة : الوقف من العلاج تجمله المرأة في يدها » . والبيت في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الضحاح (جوج) ، ومن أمثال الميداني (١ : ١٥٠) مع نسبه إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في (خارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحْظُ آبْنُ واهِصَةَ الْخُصَى يرجو المناكحَ في بني الجارود^(١)
ومِن انتكاس الدهرِ أن زُوِّجَتْهَا ولكلِّ دهرٍ عَثْرَةٌ بِجُلُود^(٢)
لو كان منذرٌ إذ خطبت إليهم حيًّا لكان خَصَّاك بالمغمود ٨٢
وقال أبو عبيدة : حدَّثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدِبُ
فَسَقَطَ في بئرٍ فذهبت حَدَبَتُهُ وصار^(٣) آدَرُ فَقِيلَ لَهُ : كيف تَجِدُكَ^(٤) ؟
[فقال] : أَلَّذِي جَاءَ شَرٌّ مِنْ أَلَّذِي ذَهَبَ !

وأبو الحسن عن بعض رجاله^(٥) قال : خرج معاويةٌ ذاتَ يومٍ يمشي
ومعه خَصِيٌّ لَهُ ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنةِ بَحدَل^(٦) وهي أُمُّ يزيد ،
فاستترت منه فقال : أُنْستَينِ منه ، وإِنَّمَا هو مثلُ المرأةِ ؟ قالت :
أُتْرِي أَنَّ المثلَّةَ به تُحِلُّ ما حَرَّمَ اللَّهُ تعالى ؟ !

ذكر ما جاء في خصاء الدواب

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبي قال : قرأت كتابَ عمر رضي الله

(١) ط : « غلظ » وها تحريف مأثبات من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ، وهو الذق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ما أثبت . والجد : الخط .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بحدل » وإِنَّمَا هو « بحدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة (٣ : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أَذْنَابِ الْخَيْلِ وَأَعْرَافِهَا ، وعن خصائها ، ويأمره أن يُجْرَى من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسفيان الثوري عن عاصم بن عبد الله بن عمر ^(١) أن عمر رضي الله تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاءِ الْبَهَائِمِ ويقول : هل الإِنْمَاءُ إِلَّا فِي الذَّكَوَرِ .

وشريك بن عبد الله ، قال : أخبرني إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعِيِّ أن عمر رضي الله تعالى عنه نَهَى عن خِصَاءِ الْخَيْلِ .

وسفيان الثوري عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لبعض عماله : لَا تُجْرَيْنَ فَرَسًا إِلَّا مِنَ الْمَائَتَيْنِ ، وَلَا تُخَصَّيْنِ فَرَسًا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكره خِصَاءَ الذَّكَوَرِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يكره الخِصَاءَ ويقول : لَا تَقْطَعُوا نَامِيَةَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى .

وعبد الله وأبو بكر أبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تُخَصَّى ذَكَوَرُ الْخَيْلِ ، وَالْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، ويقول : فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إِلَّا بِالذَّكَوَرِ .

(١) في ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذي يروي عنه الثوري هو عاصم بن سليمان الأحول البصري المتوفى سنة اثنتين - أو ثلاث - وأربعين ومائة . كما في تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . في الإِسْنَادِ نَظَرٌ .

ومحمد بن أبي ذئب ^(١) قال : سألت الزُّهريَّ : هل يَخْصَاءُ البهائمُ بأَسْ؟
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قالَ
الزُّهريُّ : والخِصاءُ صَبْرٌ شديد .

وأبو جعفر الرَّاْزِيَّ قال : حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك
في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْمَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣
وأبو جرير عن قتادة عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس نحوه .

أبو بكر الهذليَّ قال : سألتُ الحسنَ عن خِصَاءِ الدوابِ فقال :
تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خَصَصَى الرجال .

أبو بكر الهذليُّ عن عِكْرِمَةَ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْمَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَّ
خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ الدوابِ . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ
[عكرمة] ، هو دين الله .

نصر بن ظريف قال : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عن عِكْرِمَةَ في قوله تعالى :
﴿ فَلْيَغْيِرْنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ البهائم . فبلغ مجاهدًا فقال : كَذَبَ
هو دين الله .

فإن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ
لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناس لا يضعون هذه الكلمة

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد بن
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مَن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول [.
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنما يعنى الخِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالة على
شيءٍ دون شيء ، وإذا كان اللفظ عاماً لم يكن لأحد أن يقصِد به إلى
شيءٍ بعينه ^(١) إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوة
الآية ، أو يكون جبريل عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضم ^(٢) ولا ينوي ، ولا يخص ولا يعم بالقصد ؛
وإنما الدلالة [في] بنية الكلام نفسه ، فصورة ^(٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عمل آخر كالذى يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علواً كبيراً .

أبو جرير ^(٤) عن عمار بن أبي عمار ^(٥) أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ في قوله
تعالى : ﴿ وَلَا مَرْمِسُ فَلَْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قالَ : هو الخِصاء .

وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النخعي ، عن محمد بن سعيد عن عبادة بن نسي ، عن
إبراهيم بن محرز قال : كان أحبَّ الخيل إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الحصيان ؛ فإنَّهما أخفى للكمين
والطلائع ، وأبقى على الجُهد .

(١) ط : « بعينه » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم ير بأساً
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بغيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء
البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

٨٤

(أقوال في النتائج للركب)

ولنصل هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق أركب [وفي
تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب ، وجمعه
عسبارو] . قال الكمي :
وتجمّع المتفرقون من الفراعيل والعساير^(١)
برميم بأثم أخلط ومعلّهجون .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أن السمع ولد الذئب من الضبع ، وزعمون أن السمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعنى العساير - جمع العسبر
(كتنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفراعيل : ولد الضبع
من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحَيَّةِ لَا تَعْرِفُ الْعِلَلَ ، وَلَا تَمُوتُ حَتَّى أَنْفِهَا ، وَلَا تَمُوتُ إِلَّا بِعَرَضٍ
يَعْرِضُ لَهَا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يَعْدُو شَيْءٌ كَعَدُو السَّمْعِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فَاعْصِرِ الْعَوَازِلَ وَأَرْمِ اللَّيْلَ فِي عَرْضِ

بَذَى شَيْبٍ يُقَامِي لَيْلَهُ خَبِيًّا

كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْقُبِ الْبَيْطَارُ سِرَّتَهُ وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَغْمِزْ لَهُ عَصَبًا^(١)

وَقَالَ ابْنُ كُنَاسَةَ^(٢) يَصِفُ فَرَسًا :

كَالْعُقَابِ الطَّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّ

لٌ وَقَدْ صَوَّبَتْ عَلَى عِسَابِ^(٣)

وَقَالَ سُورُ الذَّنْبِ^(٤) :

هُوَ سَمِعٌ إِذَا تَمَطَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْتُهَا عِسَابُ

يَقُولُ : إِذَا اشْتَدَّ هَرَبُ الْمَطْلُوبِ الْهَارِبِ مِنَ الطَّالِبِ الْجَادِّ ، فَهُوَ أَحْثُ

لِلطَّالِبِ ؛ وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ صَارَ الْمَطْلُوبُ حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى مَنْ يَحْتُ الطَّلِبَ ،

إِذَا صَارَ إِفْرَاطَ سُرْعَتِهِ سَبَبًا لِإِفْرَاطِ طَلِبِ الْعُقَابِ .

وَقَالَ تَابِطُ شَرًّا^(٥) ، [أَوْ أَبُو مُحَرَّرْ خَلْفَ بْنِ حَيَّانِ الْأَحْمَرِ] :

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدج » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .
وانظر معجم المرزبانى ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ،
١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تابط شرا » . . والقصيدة في حاشية أبي تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسِيلٌ بِالْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَيَسْمَعُ أَزْلٌ
وَلَمَّا قَالَ أَزْلٌ وَجَعَلَهُ عَادِيًا وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ ابْنُ الذَّنْبِ .

وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عسبارة^(١)

وقال في موضع آخر :

كَأَنَّ مِنْهَا طَرْفَهُ اسْتَعَارَهُ^(٢)

وقال آخر :

تَلَقَى^(٣) بِهَا السَّمْعَ الْأَزْلَ الْأَطْلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أَنَّ وَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ الدَّيْسِمُ ، وَرَوُوا لِبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ
فِي دَيْسِمٍ الْعَنْزِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

أَدَيْسِمُ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

أَتَرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ

وزارع : أسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

(زعم لأرسطو في التاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أَنَّ أَصْنَافًا أُخَرَ مِنَ السَّبَاعِ الْمُتَزَاوِجَاتِ

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابها « لظة » بمعنى ملحمة ، كما يظهر

أَن هُنَاكَ كَلَامًا سَاقِطًا بَعْدَ « قَالَ الْأَصْمَعِيُّ » ، تَقْدِيرُهُ « يَقَالُ عَسْبَارٌ وَعَسْبَارَةٌ » وَأَنْشَدَ «

وَأَنَّ عِبَارَةَ « وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ » مَقْحَمَةٌ عَلَى الْكِتَابِ .

(٢) ن : « شِيبَةٌ » موضع « مِنْهَا » .

(٣) ط : « يَلْقَى » .

٨٥ المتلاقيات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتولد أيضا كلاب سلقية من ثعالب و كلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس^(١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعوا]
أن نِتاجَ الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن^(٢) ولا يؤلف .

(تلاح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجل من أهل الكوفة من بني تميم] أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين ، وأنهم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البرارى ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان^(٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفي ط : « طاعويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجال أدري بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر =

أيا باكي الأطلال في رسم دمنة

ترود بها عين المها والجاذر

وعانات جوال وهيئ سقج وسنداوة فضفاضة وحضاجر^(١)

وسمع خفي الرز ثلب ودوبل

وثرملة تعادها وعسابر^(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما نظن بمثله أن يخلد على نفسه في السكتب شهادات لا يحقّقها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمع والعسابر ، فليس في ظاهر كلامهم دليل على ما ادّعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف ، فأدّينا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها برهاناً .

(أولاد السعلاة)

وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى ، وعلماء سوء يُظهرون تجويزها وتحقيقتها ، كالذي يدّعون من أولاد السّعالي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن ربوع ، وكما يروى أبو زيد النحوي عن السّعلاة :

« من أيام العبا » البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عله ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديمري . والفضفاضة : اللحمة الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للصبغ أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المعيب .

التي أقامت في بني تميم حتى وكّدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شقّ بلاد السعالي ، حنّت وطارَت إليهم ، فقال شاعرهم ^(١) :

رأى برقاً فأَوْضَعَ فوقَ بَكْرِ فَلَا بِكَ مَا أَسْأَلَ وما أَعَامَا ^(٢)

٨٦ وأنشدني أن الجنّ طرَقوا بعضهم فقال ^(٣) :

أتوا ناري فَقُلْتُ مَنْونَ أنتم فقالوا الجنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا
فَقُلْتُ إلى الطَّعام فقال منهم زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما
ولم أعِب الرواية ، ولأنما عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدُ لمعانيها . فما أَكْثَرَ
من يَروى ، هذا الضربُ على التعجُّبِ منه ، وعلى أن يجعلَ الروايةَ [له]
سبباً لتعريفِ النَّاسِ حقَّ ذلك من باطله ، وأبو زيدٍ وأشباهه مأمونون
على النَّاسِ ؛ إِلَّا أنْ كُلَّ من لم يكن متكليماً حاذقاً ، وكان عند العلماء
قدوةً وإماماً ، فما أَقْرَبَ إفساده لهم من إفسادِ المتعمّدِ لإفسادهم !

وأنشدوا في تثبيتِ أولادِ السَّعلاة :

تقول جمع من بُوانٍ ووَتِدَ وَحَسَنُ أَنْ كَلَفْتَنِي مَا أَجِدُ ^(٤)
وَلَمْ تَقُلْ جِيءَ بِأَبَانٍ أَوْ أُحْدِ ^(٥) أَوْ وَلِدِ السَّعلاةِ أَوْ جِرِوِ الْأَسَدِ
أَوْ مَلِكِ الْأَعْجَامِ مَأْسُوراً بِقِدِّ ^(٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشعير (أو سمير) بن الحارث الضبّي كما في النوادر ١٢٣ وخرانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتنى . . . » : وفي كليهما « ما لم أجِد » وهو تحريف .

(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم

إذا لزرناك ولو يسلم

وقال آخر^(١) :

يا قاتلَ اللهَ بَنِي السَّعْلَةِ عَمراً وقابوساً شرارَ النَّاتِ

(ما زعموا في جرم)

وذكروا أنَّ جُرْهُمًا كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه في السماء أهبَّطَه إلى الأرضِ في صورة رجل ، وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزُّهرة ، وهى أناهيد^(٢) ما كان ، فلمَّا عصى الله تعالى بعضُ الملائكة وأهبَّطَه إلى الأرضِ في صورة رجل ، تزوَّج أمَّ جُرْهم فولدت له جُرْهما ، ولذلك قال شاعرهم^(٣) :

لاهُمْ إِنْ جُرْهُمَا عِبَادُكَ النَّاسِ طِرْفُ وَهُمْ تِلَادُكَ^(٤)

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والتجل^(٥) كانت بلقيسُ ملكةُ

(١) هو علياء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى بسدله في الإمال : ٦٨ : ٢

عمرو بن يربوع شرار النَّاتِ

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء السكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مناض الجهمي ، كما في شرح الأنباري للقوائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ما عدل والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري^(١) من الملائكة . ولذلك^(٢) لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : يا ذا القرنين ، فقال : أفرعتم من أسماء الأنبياء فارتفعت إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختار^(٣) بن أبي عبيد أن علياً كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك الملك الأموط .

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناقح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنائيات إنما تعرض لصراع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد^(٤) ، وكذلك رجال الجن لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئْنُوا مِنْهُمْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجان لا يفتن

(١) فى ل : « قبرى » بدل « فىرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قبرى » .

و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عبرى » .

(٢) ط والأميروزيانا « وكذلك » .

(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه

تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .

الْأَدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قط ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى
هَذَا الْقَوْلُ .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أَنَّ النَّسْنَسَ تركيبُ ما بين الشَّقِّ والإنسان . وزعمون أَنَّ خَلْقاً
من وراء السِّدِّ تركيبٌ من النَّسْنَسِ ، والناس ، والشَّقِّ ، ويأجوج ومأجوج .
وذكروا عن الوَاقِ واق والدَّوَالِ بآي^(١) أَنَّهُمْ نِتَاجُ ما بينَ بَعْضِ النَّبَاتِ والحيوان .
وذكروا أَنَّ أُمَّةً كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ؛
وإِيَّاهُمْ عَنَّا بِقَوْلِهِمْ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء :
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالماً
وظالماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ — أو خلفٌ — في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طُولَ
عمر الْحَيَّةِ :

أَرْقَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَشَّى حَسِبْتَ وَرَسَا خَالَطَ الْيَرْنَآ^(٢)
خَالَطَهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاهُ الْخَوَاةُ أَسْتَنَّا^(٣)

قال : وكان يقال لتلك الأُمَّة مهنا^(٤) .

(١) ط : « الدَّوَالِ » ل : « الدَّوَالِ بِأَيِّ » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الوردس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصير به . وقيل : صنف من السكرم . كذا
في المصباح . واليرنأ : الخناء .

(٣) ط : « إِذَا أَقْبَلَ إِدِ الْحَدَاةُ اسْتَنَّا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « مهنا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « هيا » .

(قول المجوس في بدء الخلق)

وزعم المجوس أن الناس من ولد مهنة ومهينة ، وأنها تولدا فيما بين أرحام الأرضين ، ونظفتين ابتلدتا^(١) من عيني ابن هرمز حين قتله هرمز . وحقاقت أصحاب الاثنين كثيرة في هذا الباب . ولولا أنني أحييت أن تسمع نوعا من الكلام ، ومبلغ الرأي ، لتحدثت لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرت كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأنها كانوا لا يشكون أن إبليس جدّه من قبل أمهاته . وسنقول في ذلك بالذي يجب إن شاء الله تعالى . وصلّة هذا الكلام تحيى بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسان ، واستوحش من السبع ، وكره الغياض ، وألف الدّور ، واستوحش من البراري وجانب القفار ، وألف المجالس والديار . ولو تمّ له معنى البهيمة

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراعى له ويصادقه ويكاثره ويفلعه على أسرارته . ثمار القلوب ٥٧ .

فِي الطَّبْعِ وَالْخَلْقِ وَالْغِذَاءِ ، لَمَّا أَكَلَ الْحَيَوَانَ ، وَكَلَبَ عَلَى النَّاسِ . نَعَمْ
حَتَّى رُبَّمَا كَلَبَ وَوَتَّبَعَ عَلَى صَاحِبِهِ وَكَلَبَ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ
طَرَفُهُ فَقَالَ :

كُنْتُ لَنَا وَالذُّهْرَ آوِنَةٌ تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلَبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّهَ ^(١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلٌّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفَرِّقُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَذْتَهِسُ

وَقَالَ حَاجِبُ بْنُ دِينَارٍ ^(٢) الْمَازِنِيُّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَتُمْ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسُلْطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبَ رَابَهُ
بِإِحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ^(٣) :

فَإِنِّي وَقِيسًا كَالْمَسْمَنِ كَلَبَهُ مُخَدِّشُهُ أَنْيَابُهُ وَأُظَافِرُهُ

وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ لِبَعْضِهِمْ ^(٤) :

وَهُمْ سَمُّنُوا كَلْبًا لِيَا كُلَّ بَعْضِهِمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحِزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وَفِي الْمَثَلِ ^(٥) : « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كُلُّكَ » .

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست في ديوان طرفه : والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في جميع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو

قيس بن زهير . والرواية في جميع الأمثال : « وفي ثمار القلوب ٣١٥ » فخدشه

أنياه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء : كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من آخِطَب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته (١) :

أَتَهْدِي لِي الْقِرْطَاسَ وَالْحَبْرَ حَاجَتِي وَأَنْتَ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بَاطِنٌ
إِذَا غَبْتَ لَمْ تَذْكُرْ صَدِيقًا وَإِنْ تَقُمْ فَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ ضَنِينٌ
فَأَنْتَ كَكَلْبِ السَّوْءِ فِي جُوعِ أَهْلِهِ فَيُهْزَلُ أَهْلُ الْكَلْبِ وَهُوَ سَمِينٌ
وفي المثل : « سمن كلب في جوع أهله » ، وذلك أنه عند السَّوْاف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للثوق ، [يَأْكُلُ الْجَيْفَ فَيَسْمَنُ (٤)] .
وعلى أنه حَارِسٌ مُحْتَرَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإحاش من نفسه ، وأليفٌ
كثير الحيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن ينذرهم بموضع السارق ،
٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان الميئت . [وهو أسرق من كل سارق ،
وأدومُ جناية من ذلك الميئت] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،
قولُ الشاعر :

أَفِي أَنْ سَرَى كَلْبٌ فَبَيَّتْ جُلَّةٌ وَجَبَّجَةٌ لِلْوَطْبِ لَيْلَى تُطْلُقُ (٦)

- (١) الخبر والأبيات في أمال القائل ٢ : ١٣٦ مع اختلاف في الرواية .
(٢) ط : « السَّوْاف » وإنما هو « السَّوْاف » كما في ل . والسَّوْاف كغراب :
الموتان في الإبل .
(٣) أخذت الناقة : أتت بولد ناقص .
(٤) زدتها ليم الكلام ، اعتادا على ما في نوادر أبي زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميداني (٢ : ٢٦٣) .
(٥) في الأصل : « لينبهم » ولم يمهّد تعدي هذا الفعل بعلى . وأثبت ما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .
(٦) ط : « أغنى » بدل « أفي » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت
من ل واللسان (جيب) . وفيه « سلى » موضع « ليل » . والجلة ، بالضم :
وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكثر . والجيجية ، بفتح الجيمين أو ضمهما :
الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به في الأسفار . وقال ابن الأعرابي : هو جلد جنب
البعير يقود ويجعل فيه اللحم الذي يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ،
فهو أبق ما يكون .

فهو سَرَّاقٌ ، وصاحب بَيَات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلٌ لحومِ النَّاسِ . ألا إنه يجمعُ سِرْقَةَ الليل مع سرقة النَّهار ، ثم لا تجده أبداً يَمْشِي في خِزَانَتِهِ ، أو مطْبَخٍ ، أو عَرَصَةٍ دار ، أو في طريقٍ ، أو في بَرَارٍ ، أو في ظَهِرِ جَبَلٍ ، أو في بَطْنِ وادٍ ، إلّا وخطمُهُ في الأرض يتشَمُّ ويستروح ، وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَاءً^(١) ودَوِيَّةً ملساءً ، أو صخرةً خلقاء ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلّا اشتمَّ استه ، ولا يتشَمُّ غيرهما منه ، ولا تراه يرمي بحجر أيضاً أبداً إلّا رجّع إليه فعضاً عليه ؛ لأنّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلّا شَيْئاً رَمَوْا به [إليه] صار ينسى لِفِرْطِ شرِّهِ وغلبة الجشعِ على طبعه ، أنّ الراعى إنّما أراد عقره أو قتله ، فيظنّ لذلك أنّه إنّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يَحْتَلُّ إليه فِرْطُ النَّهْمِ وتوهُمُهُ غلبةُ الشرِّه ، ولكنّه رمى بنفسه على الناس عجزاً ولؤماً ، وفُسْؤَلةً ونقصاً ، وخافَ السَّبَاعَ واستوحش من الصَّحَارَى .

ولما سمِعُوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٢) إنّ المحروم هو الكلب ؛ وسمِعُوا في المثل : « اصنَعُوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتَّخَذُوهُ في الدُّور . وعلى أنّ ذلك لا يكون إلّا من سَفَلَتِهِم وأغبيائِهِمْ ، ومن قلَّ تَقَرُّزُهُ^(٣) وكثُرَ جهْلُهُ ، وردَّ الآثَارَ إمّا جهلاً وإمّا معاندةً .

وأما أَلَدِيكَ فَمِنْ بهائم الطير وبغاها ، ومن كَلَوْنِهَا والعيال على

(١) ط : « وحصياء » والوجه مأثبات من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقزده » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا ممّا ^(١) يطرب بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدّباسى والشّفانين ^(٢) والوراشين والبلابل والفواخت ، ولا ممّا يُونق بمنظره ويمتّع الأبصارَ حسنه ، كالطواويس والتّدارج ، ولا ممّا يعجّب بهدايته ويُعقّد الذّمام بإلفه ونزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتُرّيده بإرادته لك ، وتعطّف عليه لحبه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات ^(٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمه لا يصيد ، ولا هو أيضاً ممّا يكون صيداً فيمتنع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللّذة .

والخفّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والديك كاسٍ وهو لا يطير .
وأى شيء أعجب من ذى ريش أرضى ، ومن ذى جلدٍ هوائى .

وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزّواج إلّا فى الإنسان ٩٠
وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمّ كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنِع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكّة الغريبة ، وحُرِم هذا السّبب الكريم والشّبه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزّواج والإلف وثباتُ العهد ، وطلبُ الذرء وحبُّ النّسل ، والرجوعُ إلى السكّن والحنين إلى الوطن — إلّا له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزواج فإنّما دخله النقصُ وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص .

(١) ط : « من » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « ممّا » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتّه ، فى ل .

(٢) ط : « الشّفانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفين بالكسر ، وقد تحدّث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الديبرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للباعقلين ، والوجه ما أثبت .

من جهتين . ووصف أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِيُّ الحِمَارَ وَعَبْرَ العَانَةِ خَاصَّةً ^(١) ،
فإنَّه أمثلُ في باب المعرفة من الأَهْلِيّ ، فذكر كيف يضرب في الأُتُنْ ، ووصفَ
استنباهمه عن طلب الولد ، وجهله بموضع الذَّرءِ ، وأنَّ الولدَ لم يحى منه عن
طلب له ، ولكن التُّطْفَةِ البريئة من الأسقام ، إذا لاقَت الأرحام البريئة من
الأسقام حَدَثَ التَّنَاجَ على الحلقة ، وعلى ما سَوَّيْتُ عليه البِنية ^(٢) . وذكر أنَّ
نَزْوَهُ على الأَثَانِ ، من شكل نَزْوِهِ على العير ، وإِنَّمَا ذلك على قَدَرٍ ما يحضُرُه
من الشُّبْقِ ، ثمَّ لا يلتفت إلى دُبُرٍ من قُبُلٍ ، وإلى ما يُلْقَحُ [من مثله ممَّا
لا يُلْقَحُ] فقال :

• لا مُبْتَغَى الضَّنءِ ولا بالعازل ^(٣) •

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .
والأشياء التي تألفُ النَّاسَ ولا تريدُ سِوَاهُمْ ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ،
كالعصفور والخطاف والكلب والسنور . والدَّيْكَ لا يَأْلَفُ مَنْزِلَهُ ولا رَبْعَهُ
ولا يُنَازِعُ ^(٤) إلى دجاجته ولا طُرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدِرْ
قطُّ أنَّ له ولداً ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايَتِهِ دليل ، فإذا وجدناه
ليبيضه ^(٥) وفراريجِه الكائنة منه ، كما نجدُه لما لم يلدُه ولمَّا ليسَ من شكَلِه
ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف تُعرَفُ الأمور إلَّا بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضيء » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه ليبيض » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثْبِتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتَ جَنَاحِهِ .

وَالْكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسَّنَّورُ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَيَأْلَفَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طُرِدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أَجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهْنِئَا احْتَمَلَا .

وَالدِّيكُ يَكُونُ فِي الدَّارِ مِنْ لَدُنْ كَانَ قَرُوجاً صَغِيراً إِلَى أَنْ صَارَ دِيكاً كَبِيراً ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ الدَّارِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْجِيرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرُّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مِنْزَلُهُ قَرِيباً ، وَسَهْلٌ ^(١) الْمَطْلَبِ يَسِيرًا ، وَلَا يَذْكُرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ احتاجَ لَا تَمَسَّ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخُبْرُ فِي طَبَاعِهِ لَظَهَرَ ، وَلَكِنَّهَا طَبِيعَةٌ بِلَهَاءٍ مُسْتَبْهِمَةٍ ، طَامِعَةٍ ^(٢) وَذَاهِلَةٍ ، ثُمَّ يَسْفُدُ الدَّجَاجَةَ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَفْتَقُّ الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ الدِّيكُ ، فَإِنَّهُ مَعَ حَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْفُدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وَلَدِهِ ، وَلَا يَحْضُنُ بَيْضاً وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمٌ ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحَقُّ مِنَ الْخُبَارَى وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كُلُّ شَيْءٍ يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الْخُبَارَى » . فَضَرَبَ ^(٣) بِهَا الْمَثَلَ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالْغَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالْبَلَّةِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط : « وسهيل » .

(٢) لعلها « جائعة » .

(٣) الأميروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : « أبرد من هرة ، وأعق من صَبَّ » فوجّهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ، ووجّهوا أكل الضب لها على شدة البغض لها ، وليس ينجو منه شيء منها إلا بشغله بآكل إخوته عنه ، وليس يخرسها مما يأكلها إلا ليأكلها . ولذلك قال العمدس ابن عقيل ، لأبيه ^(١) عقيل بن علفّة :

أكلت بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الْكَلَالِ الْوَيْلِ
فَلَوْ أَنَّ الْأَلَى كَانُوا شُهُودًا مَنَعَتْ فِنَاءَ بَيْنِكَ مِنْ بَجْلِ
وَقَالَ أَيْضًا ^(٢) :

أكلت بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى تَرَكَتْ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ
وَشَبَّهَ السَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِي ، عائشة رضي الله تعالى عنها في نصيبها الحرب يوم الجمل لقتال بنينا ، بالهرة حين تأكل أولادها ، فقال :

جَاءَتْ مَعَ الْأَشْقِينَ فِي هَوْدَجٍ تُزْجِي إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادَهَا
كَأَنَّهَا فِي فِعْلِهَا هِرَّةٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكَلَ أَوْلَادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحمق من جهيزة » ، وهي عرس الذئب ؛ لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول ابن جندل الطعّان ^(٣) .

كَمْ رُضِيعَةٍ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضِيعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعًا ٩٢

(١) ل : « لا يشه » والصواب ما في ط . وفي الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن مبيّة .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا في ل . وانظر المقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جندل الطعّان » وتصحيحه من ل . والبيت في الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحرى ١٧ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبْعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّبَّ يَأْتِي أَوْلَادَهَا
بِاللَّحْمِ . وَأَنْشُدُ الْكُمَيْتَ :

كَمَا خَامَرْتُ فِي حِضْنِهَا أُمَّ عَامِرٍ لِدَى الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا ^(١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُؤَالِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَى إِبَالِهِ

فَلَاخْشَانُكَ مَشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالَةِ ^(٢)

الْأَوْسُ : الْإِعْطَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْهَنْلِيُّ ^(٣) :

يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَنَمِ

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيُحَوِّطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ ^(٤)

(حق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشَرُّ مِنْ نَعَامَةٍ » قَالُوا

ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الْحِضْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنَّ هِيَ

(١) ل : « لَدَى الْجَبَلِ » وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ قَتِيْبَةٍ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢ : ٧٩ . وَرِوَايَةُ
ابْنِ مَنْظُورٍ لِلْبَيْتِ فِي مَادَّةِ (أَوْس) « غَالِ أَوْس » ، وَتَفْسِيرُهَا بِقَوْلِهِ : « أَكَلَ جَرَامِهَا »
بِذَلِكَ لَا يَصِحُّ الِاسْتِشْهَادُ لِمَا اسْتَشْهَدَ لَهُ الْجَاهِظُ .

(٢) ط : « فَلَاخْشُونُكَ » وَالصَّوَابُ مَا فِي ل . انْظُرْ أَدَبَ الْكَاتِبِ ٧٧ . وَالِاقْتِضَابُ .
وَحِشَاءُ : رَمَاهُ . وَالْمَشْقَصُ : سَهْمٌ طَوِيلٌ أَوْ عَرِيضٌ . وَالْبَيْتَانِ لِأَسْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ
كَأَنَّ السَّانَ (أَبْل) .

(٣) الشعر في اللسان (رِخْم) مَنْسُوبٌ إِلَى عَمْرِو ذِي الْكَلْبِ . وَهُوَ هَذَا كَمَا فِي الْأَغَانِي .

(٤) ط : « جَاهِد » . وَالْعَامُ الْجَامِدُ : عَامُ الْجَدْبِ وَالتَّحْطُّ وَامْتِنَاعُ الْغَيْثِ .

في خروجه ذلك رأت بيض أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيضها ونسيت بيض نفسها ، ولعل تلك أن تُصاد فلا ترجع إلى بيضها بالعرء حتى تهلك . قالوا : ولذلك قال ابن هرمة ^(١) :

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرء ومليسة بيض أخرى جناحا

وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجة بيض الطاوس ، فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجة بيضها وتحضن بيض الطاوس فلا . فأما فروج الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ، فإنه يكون أكيس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقل حسناً وأبغض صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكل بيضة في الأرض فإن أسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ، إلا بيض الدجاج فإنه يسمى فروجا ، ولا يسمى فرخا ، إلا أن الشعراء يجعلون الفروج فرخاً على التوسع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأصوات المسكاكي بالضحى وسود تداعى بالعشى نواعبه ^(٢) ٩٣
أحب إلينا من فراخ دجاجة ومن ديك أنباط تنوس غياغه ^(٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفح مستو كبير الحجارة للسود . وفي ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المختص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غياغه » .

وقال الشَّامُخ بن ضِرَار (١) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ

فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرِ (٢)

فَرَاخٍ دَجَاجَةٍ يَتَّبَعَنَّ دِيكًا يَلْدَنَ بِهِ إِذَا حَمِسَ الْوَعَاءُ

[فَإِنْ] قُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،

حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذِكْرِ مَحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمَوَازَنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،

شَيْخَانِ مِنْ عِلِّيَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ (٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى

أَبْرَمَا هَذَا (٤) الْحَكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةَ ، صَارَ بِهَذَا التَّنْدِيرِ بِهِمَا حِظٌّ

وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ؛ وَسِعُودُ ذَلِكَ عِذْرًا

لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يَوَازِيَانِ بَيْنَ الذَّبَّانِ (٥) وَبَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافَسِ

وَالْجَلْعَلَانِ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشَرَاتِ ، وَالْحَشَاشِ ،

حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانِ وَالْقِرْدَانِ (٦) فَإِنْ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ

عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،

وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ

فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحَكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ

الْمَلَلِ ، وَالْمَوَازَنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ،

وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَتَّسِعُ لِلْجَمِيعِ ، وَالْأَسَدِيَّةُ لَا تَنْطَلِقُ

بِالْكُلِّ . وَلِأَنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْحِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ

فَالْأَخُوفُ .

(١) فِي (٧ : ٨٥) أَنَّهُ شَامُخُ بْنُ أَبِي شَدَادٍ .

(٢) ل : « حَبَالِك » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّةٌ » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْنَاهُمْ يَوَازِنُونَ .. الْخ » . ط : « الذَّبَابُ » مَوْضِعُ « الذَّبَّانِ » .

(٦) الْقِرْدَانُ : جَمْعُ قِرَادٍ ، وَهُوَ دَوِيَّةٌ تَنْتَشِرُ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ .

وقلت : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف^(١) وطريق من طرق المزاج ، وسبيلٌ من سُبُل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبَحُ مثله من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولكلِّ طعامٍ أكلة^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِـرَفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ^(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنَّ أبطأت ، ولا بدَّ لذلك الكامن من ظهور ؛ فإنَّ أمكنه ذلك بعثه ، وإلَّا سَرَى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [نَمَى] كما يَنسِمِي العرق ؛ كما أنَّ البُزور البريئة ، والحبة الوحشية الكامنة في أرحام الأرضيين ، لا بدَّ لها من حركةٍ عندَ زمانٍ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إِبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحام كالنُّظفة ، وكان بعضُ الأرض كالأمِّ الغاذية^(٤) فلا بدَّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهر قُوَّته ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدور يوماً من التفتُّ^(٤) *

(١) ط : « التطرق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بد للمصدور من التفتُّ » .

[وقال ^(١)] :

* ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر *

ولذلك صار طلب الحساب أخف على بعضهم، وطالب الطب أحب إلى بعضهم. وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربما تحرك له بعد الكبرة، وصرف ^(٢) رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوة العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتب مع ^(٣) الجند، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقا، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم، ثم لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلاّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم ^(٤) لم اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجز منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويحركه في بعض الجهات، ولكن العجب ممن يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتاً واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام. والآق عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٤٣٢٠ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامه *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لها » .

له في معرفة الوزن، وليس له جرم حسن^(١)، فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغنى خاصة أن يكون مطرباً ومغنى عامة . وآخر قدماء على أن يذكر بالجلود ، وأن يسحق على الطعام ، وهو أنخل الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً بأخذ الطيبات ومستتهراً بالكثير منها ، ثم هو أبداً مفتضح وأبداً منتقض الطباع ، ظاهر الخطأ ، سيئ الجزع عند مؤاكلته من كان هو الداعي له . والمرسل إليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله .

فإن زعمتم أن كل واحد من هؤلاء إنما هو رهن بأسبابه ، وأسير في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللثام وجميع المقصرين ، وجميع الفاسقين والضالين . وإن كان الأمر [إلى] التمكين دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل^(٢) بين الذئكة والكلاب . ٩٥
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر ألدبك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلام عبلي لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهلك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب عليك ، أن التدبير فيه مختلف أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو مزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط • والتمثيل • والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ، والضرار بالنافع ، والمكروه بالسار ، والضعة بالرفعة ، والكثرة بالقلّة . ولو كان الشر صرّفاً هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المنة وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التبيين ، ولا دفع مضرة ، ولا اجتلاب منفعة ^(١) ، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ، ولا تفاضل في بيان ، ولا تنافس في درجة ، وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ، ولم يكن على ظهرها محق يجد ^(٢) عز الحق ، ومبطل يجد ذلة ^(٣) الباطل ، وموقن يجد ^(٤) برّد اليقين ، وشاك يجد ^(٥) نقص الحيرة وكرّب الوجوم ؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماع . ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأس جهل الأمن ، وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء ، إلى حال السبع والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوة والبلادة ، وإلى حال النجوم في السخرة ؛ فإنها أنقص من حال البهائم في الرثعة . ومن هذا الذي يسره أن يكون

(١) ط : « التدبير » موضع « التبيين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « يجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « يجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق يجد » وهو تحريف .

الشمس والقمر والنار والتلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم ؛ أو يكون المجرة بأسرها ، أو مكياً من الماء أو مقداراً من الهواء ؟ وكلُّ شيء في العالم فلما هو للإنسان ولكلِّ مختبرٍ ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيين^(١) والروية .

وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ الْبَهِيْمَةِ بِالْعُلُوفَةِ ، وَلَذَّةُ السَّبْعِ بِلَطْعِ الدَّمِ وَأَكْلِ اللَّحْمِ - مِنْ سُرُورِ الظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ ؛ وَمِنْ انْفِتَاحِ بَابِ الْعِلْمِ بَعْدَ إِذْمَانِ الْقَرَعِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ سُرُورِ السُّودَدِ وَمِنْ عِزِّ الرِّيَاسَةِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ حَالِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَمِنْ عِزِّهِمَا وَسَاطِعِ نَوْهِمَا . وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ دَرْكِ الْخَوَاسِّ الَّتِي ٩٦ هُوَ مِلَاقَةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَمِلَاقَةُ الصَّوْتِ الْمُطْرِبِ وَاللَّوْنِ الْمُوْنِقِ ، وَالْمِلْمَسَةِ^(٢) اللَّيْنَةِ - مِنْ السُّرُورِ بِنَفَازِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَبِجَوَازِ التَّوْقِيعِ ، وَبِمَا يُوجِبُ انْخِلَاطَ مِنْ الطَّاعَةِ وَيُلْزِمُ مِنَ الْحِجَّةِ ؟ !

وَلَوْ اسْتَوَتْ الْأُمُورُ بَطَلَ التَّمْيِيزُ ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ كَلْفَةً لَمْ تَكُنْ مَثُوبَةً ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَبَطَلَتْ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْيَقِينِ بِأَنَّهُ الْوَزَرُ وَالْحَافِظُ ، وَالسَّكَاةُ وَالِدَافِعُ^(٣) ، وَأَنَّ الَّذِي يَحَاسِبُكَ أَجُودُ الْأَجُودِينَ ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَأَنَّهُ [الَّذِي] يَقْبَلُ الْبَسِيرَ وَيَهْبُ السَّكِيثُ ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَشْتَبِهُهُ الْغَرِيرُ وَالْجَاهِلُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، لَبَطَلَ النَّظَرُ وَمَا يَشْحَذُ عَلَيْهِ^(٤) ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَلِنَعْتَظَلَّتْ

(١) ط : « التبيين » .

(٢) ط : « والملسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشَّحَذُ : السَّوْقُ الْعَنِيفُ .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولَعَدِمَت الأشياءُ
حفظَها وحقوقَها .

فَسَبَّحَانَ من جعل منافعها نعمةً ، ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسمها بين مُلِدٍّ ومُؤَلِّمٍ ، وبين مؤنسٍ ومُوحشٍ ، وبين صَغِيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبيرٍ ، وبين عدوٍّ يرصدُك وبين عقلٍ يحرسُك ، وبين مُسَلِّمٍ يَمْنَعُكَ ،
وبين مُعِينٍ يعضدُك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمَّ
النعمة ، وفي بطلانٍ واحدٍ منها بُطْلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع ^(١) إِنَّمَا هو واحدٌ ضُمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أبعادٌ ، ولأنَّ كلَّ جُزْءٍ فن أجزاء ، فإذا جَوَزْتَ رَفَعَ واحدٍ
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظه ونصيبه ، فقد جَوَزْتَ رَفَعَ
الجميع ؛ لأنَّه ليس الأوَّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت ^(٢) الذي رجوت فيه
إبطالَ الأوَّلِ ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتَّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسبابُ المقيَّدة ^(٣) ؛ ألا ترى أنَّ
الجللَ ليس بأدَلَّ على الله تعالى مِنَ الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ
بأدَلَّ على الله تعالى مِنَ الخنزيرِ المستقبح . والنارُ والتلج وإنَّ اختلفا في جهةِ
البرودة والسُّخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدَّلالة .

وأظنُّك ممَّن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطينة » مكان « المضمَّنة » ، و « المقيَّدة » مكان « المقيَّدة »

وهو تحريف .

التَّدْرِجُ^(١) أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغَزَالَ أَحَبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإِنَّمَا هذه أمورُ فَرَّقَهَا اللهُ تعالى في عيون الناس ، وميَّزَهَا في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أَقْرَبَ شَبْهاً ، وجعلَ بعضها لِنَفسِيّاً ، وجعلَ بعضها وحشيّاً ، وبعضها غَاذِيّاً ، وبعضها قَاتِلًا . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرَزَةُ والتمرَّةُ^(٢) والجَمْرَةُ .

٩٧

فَلَا تَذْهَبْ إلى ما تترك العينُ وَاذْهَبْ إلى ما يريك العقلُ .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حَكَمَان : حَكَم ظَاهِرٌ للحواس ، وحَكَم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحِجَّةُ . وقد علمنا أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خَزَنَةٍ الجَنَّةِ ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملكِ السَّحَابِ ، وإنَّ أَتَانَا بِالغَيْثِ وجلب الحَيَاءِ^(٣) ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليس بدون ميكَائيلُ الذي يَنْزِلُ بالرحمة ؛ وإِنَّمَا الاختلاف في المطيع والعاصي ، وفي طبقات ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَوَوْا في المعاصي اسْتَوَوْا في العقاب ، وَإِذَا اسْتَوَوْا في الطاعة اسْتَوَوْا في الثواب ، وَإِذَا اسْتَوَوْا في عدم الطاعة والمعصية اسْتَوَوْا في التفضل . هذا هو أَصْلُ المَقَالَةِ ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرُحَى .

(١) للفريق أمين المملوف بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « التمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « أحياء » وهو تصحيف ما في ل . والحياء : الخصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فرعم زيد بن أسلم أن التين دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه ^(١) وذكره . وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم . وما تعرف دمشق إلا بدمشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين . فإن كنت إنما تقف من ذكر التين على مقدار طعام يابسه ورطبه ، وعلى الأكتنان بورقه وأغصانه ، والوقود بعيدانه ، وأنه نافع لصاحب السؤل ، وهو غذاء قوى ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمة ، وأنه ليس شيء حلو إلا وهو ضار بالأسنان غيره ، وأنه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ، وبورقها ستر السوءة عند نزول العقوبة ، وأن صاحب البواكير يأكله ليزلق عنه الثفل ، ويسهل عليه مخرج الزبل ^(٢) ، وتقف من الزيتون على زيتيه والاصطباح به ، وعلى التأثم بهما والوقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأت ظناً بالقرآن ، وجهلت فضل التأويل . وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل ، وأقسم بهما ونوه بذكرهما .

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر ، وتأملت تأمل متفكر بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثفل » موضع « الثفل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أَنْ تَكُونَ ثَاقِبَ النَّظَرِ سَلِيمَ الْآلَةِ ، غَوَّاصاً عَلَى الْمَعَانِي ، لَا يَعْتَرِكُ مِنَ الْخَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ صِحَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنَ الشَّوَاغِلِ إِلَّا مَا زَادَ فِي نَشَاطِكَ ، لَمَلَأْتَ بِمَا تُوجِدُكَ الْعِبْرَةُ مِنْ غَرَائِبِ الطَّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالْجُلُودِ الْوَاسِعَةِ السَّكْبَارِ ، وَلَرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَعْجَابِ ، وَمِنْ ثَقُلِهِ فِي طَبَقَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَلَرَأَيْتَ لَهُ مِنَ الْغُزْرِ وَالرَّيْعِ ، وَمِنْ الْحَلَبِ وَالذَّرِّ وَاتَّبَجَّسَ عَلَيْكَ ^(١) مِنْ كَوَامِرِ الْمَعَانِي وَدَفَائِنِهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الْحَكْمِ ٩٨ وَيُنَابِعِ الْعِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعْجُجُكَ مِمَّنْ وَقَفَ عَلَى مَا فِي الذِّكْرِ مِنَ الْخِصَالِ الْعَجِيبَةِ ، وَفِي السَّكْبِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ الْمَنَافِعِ ، وَفَنُونَ الْمَرَافِقِ ، وَمَا فِيهِمَا ^(٢) مِنَ الْمَحَنِّ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أُوْدِعَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، الَّتِي مَتَى تَجَاءَتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مَا تَسْتَغْظَمُ ، وَقَلٌّ فِي عَيْنِكَ كَثِيرٌ مَا تَسْتَكْثِرُ . كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ شَيْئاً وَإِنْ حَسُنَ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ لِأَنَّهَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

(كَلَامَاتُ اللَّهِ)

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ وَالْكَلِمَاتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لَيْسَ يُرِيدُ بِهَا الْقَوْلَ وَالْكَلَامَ الْمُؤَلَّفَ مِنَ الْحُرُوفِ ، وَلِأَنَّهَا يُرِيدُ النَّعْمَ وَالْأَعْجَابِ ، وَالصِّفَاتِ ^(٣) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَلَاماً مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ

(١) ط : « وَلَا يَنْجَبِسُ » .

(٢) ط : « فِيهَا » .

(٣) ط : « الصَّلَاةُ » ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

لو وَقَفَ عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكر تأمُّ الأداة ، لما بَرِحَ أن تحسره ^(١) المعاني وتغمره الحِكَم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجُلَّةُ العُظَاءُ في التمثيل بين الملائكة والمؤمنين ، وفي فرق ما بين الجن والإنس . وطباعُ الجن أبعدُ من طباع الإنسان ، ومن طباع الديك ، ومن طباع الكلب . وإِنَّمَا ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلى أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان ما بين التُّدْرِج والطَّوُس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبك . ونحن نرى أن تُمثِّل ما بين خصال الذِّرَّة والحَمَامَة ، والفيل والبعر ، والشَّعْلِب والذِّيب أعجَب . ولسنا نعى أن للذِّرَّة ما للطَّوُس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه ^(٢) ، ولا أن لها غناء الفرس في الحرب والدَّفْع عن الحرم ؛ لِسَكْنَا إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس ، والحسن اللطيف من الشئ السخيف ^(٣) ، والنَّظَر في العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنسان والجنِّ والملائكة ، لم ^(٤) نذهب إلى ضِخَم البدن وعِظَم الحجم ، ولا إلى المنظر الحسن ولا إلى كثرة الثمن . وفي القرد أعاجيبُ وفي الذِّبُّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرَفِقٍ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْكَبُ به [أصحاب ^(٥)] القردة ، وإِنَّمَا قصدنا إلى شيئين يَشِيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ مِمَّا يستخرج العلماء من خفيٍّ أمرهما . ولو جمعنا بين الذِّبِّ وبين بعض

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعاني » . وأثبت ما في ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب مرج : أى مخطط في التواء . وفي ل : « تعاريجه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف في الشئ السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) في الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعضَ مادعائك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالته ، وبَلَهُ الذِّكْرُ وغباوته ، وأنَّ الكلبَ لا بهيمةٌ ٩٩ تامةٌ ولا سبعٌ تامٌ ، وما كان ليخرجه من شيء من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرِجاً لهما من أحكامهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيَّة والنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذُئِموا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل ، وهو القرنبي ، ثم لا يُدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسماءهم ، ولا يُخرجون بذلك ^(١) الإنسانَ إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسمَّوا الجارية غزالا ، وسمَّوها أيضاً خشفاً ، ومُهْرَةً ، وفاخِنةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والحمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسمَّوها بالقوس والسنبلة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني ^(٢) :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهل ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ،

٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في

المفضليات : « لصحوت » وقيله :

فَصَحَوْتَ وَالنَّمْرُ يُحَسِّبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَهَ النَّجْمُ^(١) .
 وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعِمَّتِ الْعَمَةُ لَكُمْ
 النَّخْلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] » . وهذا الكلام صحيح المعنى ، لا يعيبه
 إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مجاز الكلام . وليس هذا مِمَّا يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيِسَهُ ،
 وَإِنَّمَا نُقَدِّمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى
 حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛
 وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ
 الْمَرْأَةَ أَثْنًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعْجَةً وَلَا يَسْمُونَهَا شَاةً . وَهُمْ لَا يَضْعَوْنَ نَعْجَةً اسْمًا
 مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ذَلِكَ^(٢)] علامةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عَنَزًا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا
 مِنْ أَجْلِهِ^(٣) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . لِأَنَّمَا مَمْلُوءُ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ سَائِلُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا
 وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالٍ مَافِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاصَّ الْخَمْسَ
 وَوَجَدُوا فِيهِ الْخَمْسَ الْخَمْسَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ يَأْكُلُ اللَّحْمَ وَالْحَبَّ ، وَيَجْمَعُ

== ياكعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
 وسماع مدجنة تعللنا حتى ننام تناوم الحجم

(١) صوابه « لصحوت » كما في المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) في الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بين ما تقتات به البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووئوب الأسد ،
 وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصفر ، وجمع الذرة ، وصنعة ١٠٠
 السرفة^(١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا
 فيه مما في البهائم والسباع خلقتين^(٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً
 بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولته وحقده ، وصبره على حمل الثقل ،
 ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدره ومكره ، واسترواحه
 وتوحشه ، وشدة نكره . كما أن الرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين
 والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدار أن يقال له داهية وذو نكر أو صاحب
 بزلاء^(٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحش خطأه^(٤) في المرة والمرتين والثلاث ،
 فلا يبلغ الأمر به أن يقال له غبي وأبله ومنقوص .

وسمّوه العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل شيء بيده ، ويحكي
 كل صوت بفسمه^(٥) . وقالوا : ولأن أعضائه مقسومة على البروج
 الاثني عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهي من نتاج النار ، وفيه السوداء
 وهي من نتاج الأرض ، وفيه الدم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البغم وهو
 من نتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة^(٦) .

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه في ل . ويقال في المثل : « أصنع من سرفة » .

الدميري : دوية سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق
 العبدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلتين » وهو الأشبه
 بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكره » وكلاهما صحيح . والنكره ، والنكر بالضم :
 الدهاء والغلظة . والبزلاء : الرأي الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يعيل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما في ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأحلاطه وطبائعه .
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد
 والوقف ^(١) وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والمكر ^(٢) ، والنصيحة
 والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ
 والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،
 والأنس والوحشة ، والفكرة ^(٣) والإمهال ، والتمييز والخط ، والجبن
 والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز ^(٤) ،
 والادِّخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسُّخط
 والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،
 والطَّمع واليأس ، والتزُّه والطَّبَع ، والشك واليقين ، والحياء والقبح ،
 والكيِّمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،
 والطلب والحرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحسدة وبُعْد الغضب ،
 والسُّرور والحَمَم ، واللَّذَّة والألم ^(٥) ، والتأميل والتمني ، والإصرار والنَّدَم ،
 والجَمَاح والبِدَوَات ^(٦) ، والعِي والبلاغة ، والنُّطق والخرس ، والتصميم
 والتوقف ^(٧) ، والتغافل والتفاطن ، والفسور والمكافأة ، والاستطاعة
 والطبيعة ^(٨) وما لا يحصى عدده ^(٩) ، ولا يُعرف حدُّه .

(١) ط : « والتقي » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنهما بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكني » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « علمه » .

فالكلبُ سبيع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرجهُ الحَصْلَة والحَصْلَتان ١١١
 ممَّا قاربَ بعضَ طبائعِ الناس ، إلى أن يخرجهُ من الكَلْبِيَّة . قال : وكذلك
 الجميع . وقد عرِفَتْ شَبَهَ باطنِ الكلبِ ^(١) بباطنِ الإنسان ، وشَبَهَ ظاهرِ
 القردِ بظاهرِ الإنسان : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عينِهِ ، وفي ضِحْكِهِ
 وفي حكايتِهِ ، وفي كَفِّهِ وأصابعِهِ ، وفي رَفْعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ،
 وكيف يجهزُ الأَقْمَةَ إلى فيه وكيف يكبِّرُ الجَوْزَ ويستخرجُ لَبَّهُ ^(٢) وكيف
 يَلْقَنُ كلَّ مِمَّا أَخَذَ به ^(٣) وأَعْيَدَ عليه ، وأَنَّهُ من بينَ جميعِ الحيوانِ إذا سقط
 في الماء غرقَ مثلُ الإنسان ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفة فيه يغرق ، إلَّا ^(٤)
 أن يكتسبَ معرفةَ السباحة ، وإن كان طَبْعُهُ أوفى وأكمل فهو من هاهنا
 أنقص وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يَسْبَحُ من جميعِ الحيوانات ، ممَّا يوصفُ بالمعرفة
 والْفِطْنَة ، وممَّا يوصفُ بالْعَبَاوَة والبَلَادَة ؛ وليس يصيرُ القردُ بذلك المقدار
 من المِقَارَبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القروء إلى حدودِ الإنسان .

(عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أَنَّ ممَّا يَمْنَعُ من التمثيلِ بينَ الديك والكلب أَنَّهُ حارسٌ
 محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبَدُّلُهُ .
 واقدسألُ زيادُ ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرْطَتِكُمْ ؟ قالوا : بَلَجُ بْنُ نُشْبَةَ
 الجُشْمِيِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يَسْعَى عليهمُ ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر^(١) قال هذا الشعر في الفلاس النهشلي^(٢) ، حين
ولي شرطة الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالك وذى زماناً ساد فيه الغلافسُ
وساع مع السلطان يسعى عليهم ومُحترس من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكّم لصغار المضار على كبارها^(٣) بل الحكم للغامر على
المغمور^(٤) والقاهر على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخ من خصال
الكلب وذكر صاحبه من خصال الديك ، أيقنت أن العجلة من عمل
الشیطان ، وأن العُجب بئس صاحب .

وقلت : وما يبلغ من قدر الكلب ومن مقدار الديك ، أن يتفرغ
لهما شيخان من جلة المعتزلة ، وهم أشراف^(٥) أهل الحكمة ؛ فأى شئ
بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عالج ، والجزء الأقل
من أول قطع الذرة للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمق لها ، ولأى
شئ يُعنون بذلك ، وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه ، حتى يتفرغ للجدال
فيه الشيوخ الجلة ، والكهول العلية ، وحتى يختاروا النظر فيه على التسبيح
والتهليل ، وقراءة القرآن وطول الانتصاب في الصلاة ؛ وحتى يزعم أهلُه

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار

١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهق ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله
ابن أبي ربيعة الخزوى أخى عمر بن أبي ربيعة . . وخرج الفلاس مع ابن الأشمث
فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « أشراف » .

أَنَّهُ فَوْقَ الْحِجِّ وَالْجِهَادِ ، وَفَوْقَ كُلِّ بَرٍّ وَاجْتِهَادٍ ^(١) . فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سَوَاءٌ ، طَالَتْ الْخُصُومَةُ مَعَكَ ، وَشَغَلَتْنا [بهما] عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِنا فَيْكَ . عَلَى أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ ، وَجَلَّلتَهُ بِالْعَيْبِ ، صَارَتْ الْمَصِيبَةُ فَيْكَ أَجْلً ، وَالْعِزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ . وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ إِعْماً جَازٍ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَى أَمْنِ الْأَعْيَانِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَإِلَى عَظَمِ الْحِجَمِ ، وَإِلَى مَا يَرُوقُ الْعَيْنَ وَيَلْأُثْمُ النَّفْسَ ، وَأَنَّهُمْ إِعْماً ذَهَبُوا إِلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فِيهِ ، وَإِلَى تَبِيجَتِهِ ، وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النُّهَابَاتِ ، وَمِنْ بَابِ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ ، وَكَانَ وَيَكُونُ ، وَمِنْ بَابِ مَا يَحِيطُ بِهِ الْعِلْمُ أَوْ مَا يَفْضُلُ عَنْهُ ، وَمِنْ فَرْقٍ [مَا ^(٢)] بَيْنَ مَذَاهِبِ الدُّهْرِيَّةِ وَمَذَاهِبِ الْمُوَحِّدِينَ . فَإِنْ كَانَ هَذَا الْعِذْرُ مَقْبُولاً ، وَهَذَا الْحُكْمُ صَحِيحاً ، فَكَذَلِكَ نَقُولُ ^(٣) فِي السَّكَابِ ، لِأَنَّ السَّكَابَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ وَلَا قَدْرٌ فِي الصِّدْرِ جَلِيلٌ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَلْبٌ صَيْدَ فَدَيْتَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهماً ، وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ ضَرَعَ فَدَيْتَهُ شَاةً ، وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ دَارَ فَدَيْتَهُ زَنْبِيلٌ مِنْ تَرَابٍ ، حَقٌّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَحَقٌّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ . فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [وَمُفْتَشِهِ] . وَكَوَامِنْ خِصَالِهِ ، وَدَفَائِنْ الْحِكْمَةِ فِيهِ . وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَى عَجِيبِ تَدْبِيرِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ ، عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَجَازُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ ، وَالتَّمَثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ .

وَتَعْلَمُ أَيْضاً مَعَ ذَلِكَ أَنَّ الْكَلْبَ إِذَا كَانَ فِيهِ ، مَعَ خُصُولِهِ وَسَقُوطِهِ ، مِنْ عَجِيبِ التَّدْبِيرِ وَالنَّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأن يُفكرَ فيه ،
وَيُحَمِّدَ اللهُ تعالى على ما أودَّعه من الحكمة العجيبة ، والنَّعمة السابغة .
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرُ في التوحيدِ ، وفي نفى
التشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي التعديل والتجوير ، وفي تصحيح الأخبار ،
والتفضيل بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّكَ عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلَّا الدعاءُ إلى
ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما ^(١) وصفت ، وإلَّا وَضَعُ السَّكَنِ فِيهِ وَالْوِلَايَةُ
وَالْعِدَاوَةُ فِيهِ ، وَلَا لَهُمْ لَذَّةٌ وَلَا هَمٌّ وَلَا مَذْهَبٌ وَلَا مَجَازٌ إِلَّا عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ ؛
١٠٣ فحين أرادوا أن يُقَسِّطُوا بَيْنَ الْجَمِيعِ بِالْحِصَصِ ، وَيَعْدِلُوا بَيْنَ السَّكْلِ بِإِعْطَاءِ
كُلِّ شَيْءٍ نَصِيْبِهِ ، حَتَّى يَقَعَ التَّعْدِيلُ شَامِلًا ، وَالتَّقْسِيطُ جَامِعًا ، وَيُظْهَرَ
بِذَلِكَ الْخَفِيُّ مِنَ الْحُكْمِ ، وَالْمُسْتَوْرُ مِنَ التَّدْبِيرِ ، اعْتَرَضَتْ بِالتَّعْنُتِ
وَالْتَعَجُّبِ ، وَسَطَّرَتْ الْكَلَامَ ، وَأَطْلَتِ الْخُطْبَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ
صَوَّبَ رَأْيُكَ أَدِيبٌ ، وَشَايَعَكَ حَكِيمٌ .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغاظَ منه ، وتعرَّضْتَ لأشدَّ منه
ولسكنَّا نَسْتَأْنِي بِكَ وَنَنْتَظِرُ أَوْبَتَكَ . وَجَدْنَا لْجَمِيعِ أَهْلِ النَّقْصِ ، وَلْأَهْلِ
كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ نُسْكَأُ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَالِ ، وَيَحْتَسِبُونَ بِهِ فِي الطَّاعَةِ
وَطَلَبِ الْمُثُوبَةِ ، وَيَفْزَعُونَ إِلَيْهِ ، عَلَى قَدَرِ فسادِ الطَّبَاعِ ، وَضعفِ الأصلِ ،

(١) في الأصل : « بما » .

راضطرابِ الفرع ، مع خبث المنشأ ، وقلة الثبوت والتوقف ، ومع كثرة القلب والإقدام مع أول خاطر : فنسك المريب المرتاب من المتكلمين أن يتحلّى برمي الناس بالريّة ، ويتزيّن بإضافة ما يجد في نفسه إلى خصمه ، خوفاً من أن يكون قد فطن له ، فهو يسرّ ذلك الداء برمي الناس به .

ونسك الخارجيّ الذي يتحلّى به ويتزيّن بجماله ، إظهار استعظام المعاصي ، ثم لا يكتفئ إلى مجاوزة المقدار وإلى ظلم العباد ، ولا يقف على أن الله تعالى لا يحب أن يظلم أظلم الظالمين ، وأن في الحق ما وسع الجميع .

ونسك الحراساني أن يحجّ ويتأم على قفاه ، ويعقد^(١) الرياسة ، ويتهيأ للشهادة ، ويبسط لسانه بالحسبة . وقد قالوا : إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر . وتفسيره قريب واضح .

ونسك البنوي^(٢) والجندى طرح الديوان ، والزيارة على السلطان^(٣) . ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ^(٤) . ونسك الخصى لزوم طرسوس وإظهار مجاهدة الروم . ونسك الرافضي ترك النبيذ . ونسك البستاني ترك سرقة الثمر . ونسك المغني الصلاة في الجماعة وكثرة التسبيح ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهوديّ التشدد في السبب وإقامته .

والصوفي المظهر النسك من المسلمين ، إذا كان ذللاً يبغض العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشيء .

(٢) ط : « الكوفي » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفي مادة نصف « وكعظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النِّصرانيُّ فسلماً ندلاً مبغضاً للعمل ، ترهب ولبس الصُّوف ؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبس وتزياً بذلك الزِّيَّ وتحلَّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السِّما ، أنَّه قد وجبَ على أهل اليُسْرِ والثَّروة منهم أن يؤلُّوه وَيَكْفُوهُ ، ثم لا يرضى بأن ربحَ الكِفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّلَ ريبته إلى خصمه ، وحوَّلَ براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمانة ، ووقفَ على النِّهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلم أنَّك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

باب

مما قدَّمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعضُ الفرق .

يقال : أجزأ من الليث ، وأجبن من الصُّفْرِد ، وأسخى من لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ^(٢) من كلب ، وأحذر من عَقْعَقٍ ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرفة^(٣) وأظلم من حيَّة ، وأغدر من الذئب ، وأخبث من ذئبِ خمر^(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغُ من ثعلب ، وأحقُّ من حُبَّارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذبُ من فاختة ، وألأمُ من كلبٍ على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « ييغض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من سُرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « خمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .

وَأَجْعُ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَأَضِلُّ مِنْ حِارِ أَهْلِ^(١) ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنَ الظِّلِمِ ، وَأَضِلُّ مِنْ وَرَلٍ^(٢) وَأَضِلُّ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَضِلُّ مِنَ الْحَيَّةِ .

فيعبرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسان والإساءة ، حتَّى كأنَّهم من الملوِّمين والمشكورين ، ثمَّ يعبرون بتي هذا الباب الآخر بدونِ هذا التعبير ، ويجعلون خبرهم^(٣) مقصوراً على مافي الخِلَقة من الغريزة والقوى فيقولون : أَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ ، وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ ، وَأَطُولُ ذِمَاءً مِنْ ضَبٍّ ، وَأَصْحُ مِنْ الظَّالِمِ .

والثاني يشبه العبارة عن الحمد والذمَّ ، والأوَّل يُشَبِّه العبارة عن اللاتمة والشكر^(٤) . وإِنَّمَا قلنا ذلك ، لأنَّ كلَّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلُّ ملومٍ مذمومٍ وليس كلُّ مذمومٍ ملوماً . وقد يحمدون البَلَّةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجر^(٥) لا يقع إلَّا على جهة التخيُّر والتسكُّف ، وإلَّا على مالا يُنال إلَّا بالاستطاعة^(٦) والأوَّلُ إِنَّمَا يُنالُ بالخِلَقة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أن يسمَّى عقلاً ، كما أنَّه ليس كلُّ قُوَّةٍ تسمَّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب مافي ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه مافي ل .

(٥) ط : « الآخر » وهو تصحيث .

(٦) ط : « مالا يقال التخيُّ بالاستطاعة » وهي عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معانيها^(١) ومثاليها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرها ، وغدرها وبذائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، وتنثها وقدرها ، وما جاء في الآثار من التثني عن اتخاذها وإمساكها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياها وقلة رذها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها ونذالها ، وقبحها وقبح معاذلتها^(٤) ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها ، وتمتدُّ المسلمين من دنوها^(٥) [وأنها تأكل لحوم الناس] ، وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق : كالبعل في الدواب كالراعي في الحمام^(٦) ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيّة ولا جنيّة ، وأنها من الجن^(٧) دون الجنّ ، وأنها مطايا الجنّ ونوع من المسخ ، وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى ، وأنها يعثرها الكلب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكمنا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها ، وصنف منائنها ، وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيّاها^(٨)

(١) ط : « معانيها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعاني جمع معاب أو معابة بمعنى العيب ، فيأخذ في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثله معيشة ومعاش .

(٢) ط : « وخبيثها » والكلب يوصف بالجن .

(٣) الرد : التفع . ماعدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطياها » وهو تحريف . والعطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاعبي من الحمام » وهو تصحيف نهبت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفدية الرجال إيّاها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإلفها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف^(١) والأدب المحمود . وذلك سيوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذاها وامتدائها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدة منعها معاقدة الذمار منها^(٢) ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها^(٣) وبُعْد أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأخوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لقنها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها^(٤) وخدمتها ، وجدّها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث الماثورة ، وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها^(٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائمها ، ومدة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسماتها وشياتها ، وعن دوائها وأدائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « متبها » موضع « منعها » . ط : « الثمام » مكان « الثمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الثمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلال والخصام وما نسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنانها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقن منها^(١) وعن أعراقها والخارجي منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال :
قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بحولِهِ وقوته أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالمسا
١٠٦ فَن كَانَ عَنْهُ بِالْمَغِيبِ سَائِلًا فقد صارَ في أرض الرُّصَافَةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنْشُتُهُ إذا اجْتَبَنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حَالكا^(٤)

وقال نَفِيعُ بْنُ صَفَّارِ المَخَارِبِيِّ^(٥) من ولد مُحَارِبِ بْنِ خُصَفَةَ^(٦)
في حرب قيسٍ وتغلب :

أَفَنَتِ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ حَرْبُنَا حَتَّى تَعَادَلَ مَيْلُ تَغْلِبٍ فَاسْتَوَى
أَكَلَ الكلابُ أَنْوَفَهُمْ وَخُصَاثَهُمْ فَلَتَبَكَ تَغْلِبُ لِلْأَنْوَفِ وَلِلْخُصَى

وقال أبو يعقوب الخزيمى ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي^(٧) في
قتلى حربٍ ببغداد :

(١) ط : « لالتقى منها » وهو تعريف .

(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل « العريق » كما في البيان ١ : ٩٠ ، ٣٠ .

(٣) ط : « سمرة » وهو تعريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلحا . وكان من رجال الشيعة ولما استنزلته الحجاج قال : ماثلنت أن بالعراق مثل هذا ! ! » توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .

(٤) ل : « يبنه » مكان « ينشئه » ط : « إذا اجتنب مستورا » .

(٥) ط : « نفع بن الصفار المخاربي » وأثبت ما في ل .

(٦) ط : « خضعة » والصواب « خضفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمى . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد . وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآ له فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعمان بن خريم =

وهل رأيتَ الفتیانَ فی باحةِ المعرکِ مَعْفُورَةً مَنَاحِرُهَا^(١)
 کلٌّ فتنی مانعٍ حقیقَتَهُ یَشْقَى بِهِ فی الوَغَى مَسَاعِرُهَا
 باتتْ علیہ الکلابُ تنهَشُهُ مخضوبَةٌ من دمٍ أَظَا فِرْهَا
 وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ،
 ویکنی أبا محمد) (٢) :

یوسفُ الشاعرُ فرخٌ وجَدُوهُ بالأبْلَه
 حَلَقَى قَدْ تُلَقَّى کامنًا فی جوفِ جُلَه^(٣)
 خَیْطُهَا خَشِیةَ الکلبِ علیهِ بِمِسْلَه

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي ، قال : كنا عند الحسن إذ أقبل وكيع
 ابن أبي سود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقول في دم البراغيث يُصيب
 الثوب : أبيض فيهِ ؟ فقال : يا عجبا ممن بلغ في دماء المسلمين كأنه كلب ،
 ثم يسأل عن دم البراغيث !! فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج الجنون ،
 فقال الحسن : إن لله في كل عضوٍ منه نعمة فيستعين بها على المعصية ، اللهم
 لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم « ، ثم قال : « وله مدائح في محمد بن منصور
 ابن زياد ويعقوب بن خالد وغيرهما . . . السجستاني : الخرمي أشعر المولدين .
 وانظر لحريم الناعم قاموس الزركلي ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميداني ٢ : ٢٨١ . والتقصيدة في
 تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » - ولعلها « ساحة » - موضع « باحة » .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٧١٢٨ وابن خلكان ، في تضاعيف ترجمة يزيد
 ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبي نواس ، ودخل
 بغداد في أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلقى باقى » . وانظر شفاء الغليل للخفاجي في تفسير الحلق . والباقي لعله
 منسوب إلى البلى بالتحريك بمعنى الحق ، و« كامنًا » هي في الأصل « كامن » والوجه انتصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضاف إلى نتن الجلود وخبث الرائحة ، كريح أبدان الحيات ، وكتن الثيوس وصنّان عرقها ، وكتن جلد الكاب إذا أصابه مطر . وضروب من التّن في سوى ذلك ، نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رّوح بن زنباع الجذامى في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :
ريح الكرائم معروف له أرج وريحها ريح كلب مسه مطر
قال : وكانت امرأة رّوح بن زنباع أم جعفر بنت الثّعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبد الملك زوجه إياها ، وقال : إنها جارية حسناء ، فاصبر على بداء لسانها .

وقال الآخر :

وريح تجروب وريح جلّه وريح كلب في غداة طلّه^(١)

وأشدد أبو زيد في ذلك :

كان ريحهم من خبث طعمتهم ريح الكلاب إذا ما بلها المطر^(٢)

وما ذكر به الكلب في أكله العذرة ، قول الراجز :

* أحرص من كلب على عقي صبي^(٣) *

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [في ذكره] لابنه السرندي :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا ماسها مطر » . والبيت لحمان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عني » والصواب بالقاف كما في ل . والعق بالكسر : ما يخرج من

بعان الوله حين يولد .

مَا لَسَرَنَدَى أَطَالَ اللَّهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفْرِ الْبَيْدِ وَأَدْلَجَا^(١)
 يَجْمَعُ خَيْثُ يُعَاطِي الْكَلْبَ طُعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَلَجَا^(٢)
 رَبَيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَضْرَبُهُ
 وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدَجَا^(٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر
 العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شدد بطنه للسمن قيل قد ضرب
 ليسمن^(٤) . والعقي وهو العقية الغيبة ، وإياه عني ابن عمر حين قيل له :
 هلاً بايعت أخاك ابن الزبير ؟ فقال : إن أخي وضع يده في عقية^(٥) ودعه
 إلى البيعة . إني لا أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة^(٦) .

وفي الحديث المرفوع : « الراجع في هيبته كالراجيع في قيئه » . وهذا
 المثل في الكلب .

ويقال : « أبخل من كلب على جيفة » . وقال بعضهم في الكلب :
 الجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ، ويأكل العذرة ويرجع في قيئه ،
 ويشعر ببوله فيصير في جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تلقاء^(٧) خيشومه .

(١) ط : « بقر البيد » .

(٢) ط : « ريع خيث » وهو تحريف . والمجمع بالكسر : الأحق ، إذا جلس لم يكده
 يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفي ل « أطمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتي .

(٤) في الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفي ط : « ضرب » مكان « قد ضرب »
 وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قينة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب في ل .

(٦) ط : « واضعاً في فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إِنْ كُنْتُمْ لَأَنَّمَا تَسْتَسْقِطُونَ الْكَلْبَ^(١)
وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أَتْنٌ من العذرة ، والعذرة شرٌّ من
القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط
الغريض الغضُّ .

(مَا كُلُّ السَّبْعِ)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفةَ ، ولا يعرض لشرائع
الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وَجَدَ في فريسته فضله .
ويبدأ بعد شُرْبِ الدَّمِ فيقتر بطنه ويأكل ما فيه من الغثية والثفل^(٢)
والخشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(مَا قِيلَ فِي السَّبْعِ مِنَ الْأَمْثَالِ)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شِدَّةِ الإقدام^(٤)
١٠٨ والصَّوْلَة ، فيقال : « ما هو إلَّا الأسد على برائه » و « هو أشدُّ من الأسد »
و « هو أجراً من الليث العادى » و « فلان أسدُّ البلاد » و « هو الأسد
الأسود^(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فكفأك من نُبُلِ الأسد
أنَّه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسفلون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القثية » والثفل « وهو تحريف مافى ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أَن يَصِفُوهُ بِالْكِبَرِ وَبِقِلَّةِ الْإِلْتِمَاتِ ، وَبَأَن أَنْفَهُ فِيهِ أَسْلُوبٌ ^(١) وَلِأَنَّ الْأَسَدَ يَلْتَفِتُ مَعًا لِأَنَّهُ عَنْقَهُ مِنْ عَظَمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ حَاتِمٌ ^(٢) :

هَلَّا إِذَا مَطَرَ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ ^(٣) وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَصِيدِ
وقال الآخر :

يَذُودُونَ كَلْبًا بِالرَّسَاحِ وَطَيْئًا وَتَغْلِبَ وَالصَّيْدَ النَّوَظِرَ مِنْ بَكْرٍ
وقال الآخر :

وَكَمْ لِي بِهَا مِنْ أَبٍ أَصِيدٍ نَمَاهُ أَبٌ مَاجِدٌ أَصِيدٌ ^(٤)
وبعد فإن الذي يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس ؛ لأن
من الناس من يشتهي اللحم الغائب ، ومنهم من يشتهي النَّمَكْسُودَ ^(٥) .
وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمَكْسُودِ وَبَيْنَ الْمَصْلُوبِ الْيَاسِ كَبِيرُ فَرْقٍ ، وَلِنَمَّا يَذْبَحُونَ
الدَّيْسَكَةَ وَالْبَطْطَ وَاللَّجَاجَ وَالذَّرَّاجَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، لَيْسَتْ رِخَى حُمُهَا ،
وَذَلِكَ أَوَّلُ التَّجْجِيفِ ^(٦) .

فَالْأَسَدُ أَجْمَعُ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنَ الْكَلْبِ ، فَهَلَّا ذَكَرْتُمْ بِذَلِكَ الْأَسَدَ
وَهُوَ أَنْبَهُ ذِكْرًا وَأَبْعَدُ صِهْنًا .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ نَنْنِ الْجِلْدِ وَمِنْ اسْتِنْشَاقِ الْبَوْلِ ، فَإِنَّ لِلتَّيْسِ فِي
ذَلِكَ مَا لَيْسَ لِلْكَابِ ، وَقَدْ شَارَكَهُ فِي الْحَذْفِ بِبَوْلِهِ تَلْقَاءُ أَنْفِهِ ، وَبَابِنَهُ
بَشْدَةِ الصَّنَانِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ لَهُ أَكْثَرُ ذِكْرًا . وَفِي الْعِزِّ أَيْضًا عِيُوبٌ .

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . في أسلوب » وسويت العبارة كما ترى .
والأسلوب : الشموخ في الأنف .

(٢) في الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائي ، والبيت من أبيات ستة لها خبر
في آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماؤكم بها » ، وفي الديوان :

« ها إنما مطرت سماؤكم دما »

(٤) ط : « نماه لجبد أب أصيد » .

(٥) انظر للنمكسود ماورد في تذكرة داود .

(٦) ماعدا ل والأميروزيانا « التجفيف » .

وفى توجيهه التيس ببوله إلى حاقَّ خيشومه قال الشاعرُ لبعض
من يهجوهُ :

دُعِيتَ بَزِيدَ كِي تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعَادَ لَكَ الْمُسْمَى فَأَمَّاكَ بِالْقَحْرِ ^(١)
وما الْقَحْرُ إِلَّا التَّيْسُ يَعْتِكَ بَوْلُهُ عَلَيْهِ فِيمَذَى فِي لَبَانٍ وَفِي نَحْرِ ^(٢)
وقال آخر في مثل ذلك ^(٣) :

أَعْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ لَوْمٍ عَتُودٌ فِي مَفَارِقِهِ يَبُولُ
ولو أُنِّي أَشَافِيهِهُ لَشَالَتْ نَعَامَتُهُ وَيَفْهَمُ مَا يَقُولُ

١٠٩ وبعد فما يُعَلِّمُ من صَنِيعِ الْعِزِّ ^(٤) فِي لَبْنَاهَا وَفِي الْارْتِضَاعِ مَنْ خَلْفَهَا
إِلَّا أَقْبَحُ .

وقال ابن أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ فِي ذَلِكَ :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي مَهْمَمٍ وَجَامِلِهِمْ كَالْعِزِّ تَعْطِفُ رَوْقِيهَا وَتَرْتَضِعُ ^(٥)
وقلتم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السُّلَمِيِّ ^(٦) بَعْضَ الْكِرَامِ ، حِينَ عَزَلَ عَنْ
يَنْبُوعٍ ، فَقَالَ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ تَمَّا عَزَلَ لِمَكَانِهِ :

رَكِيبُكَ مُرْتَحِلًا فَظَهَرَكَ مِنْهُمْ دَبِيرُ الْحِرَاقِفِ وَالْفَقَارِ مُوقِعُ
كَالْكَلْبِ يَنْبُغُ خَانِقِيهِ وَيَنْتَحِي نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يَعْزُّ وَيَمْنَعُ

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما في ل ، والتحرر أصل معناه البير المسن .

(٢) ط : « الفجر » موضع « القحْر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك . عليه يضربه
أى لم يَنْهَهِ عَنْهُ شَيْءٌ . . . وفى ل : « ويمذى في اللبن وفى النحر » .

(٣) هو المزار الفقعى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .

(٤) ل : « فاعلم صنيع » .

(٥) ط : « وجاملهم » ل : « وجاملهم » وتصحيحه مما سيأتى في هذا الجزء ص ٣٥٤ من هيدون
الأخبار ٢ : ٧٥ . والجامل : قطع الإبل معه رعيانه وأربابه .

(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما في س و م .

وقال ابن هرمة الفهرى :

فما عادت للذي يمن رءوسا ولا ضرت بفرقتها زاراً
كعنز السوء تنطخ من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه
إلا أسج^(١) وأقذر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللجان أشد أكلاً
ولا أشد عجباً به منكم^(٢) ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفتانها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود المشية في الجرة ، ورجوعها
في الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع في القيء . وقد زعمت أن جرة البعير
أنتن من قيء الكلاب لطول غيوبها^(٣) في الجوف ، وانقلابها إلى طباع
الزبل ، وأنها^(٤) أنتن من التلظ . وإنما مثل الجرة مثل الرقيق الذي ذكره
ابن أحر فقال :

هذا الثناء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل^(٥)
فإنما مثل القيء مثل العذرة ؛ لأن الرقيق الذي زعمت ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السم » وهو تعريف ماقول .

(٢) وضعت كلمة (به) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والتيوب صحيحة ، والأشبه « غيوبها » بإلباء كما مضى قريباً
وكذا في ل .

(٤) في ط : « وأنه » وفي ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسنُ موقِعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزِيلْ موضِعَهُ ، ومتى زایلَ فَمَ صاحِبِهِ إلى بعضِ جِلْدِهِ اشتدَّ نَذْنُهُ وعادَ في سبيلِ القِيءِ .

١١٠ فالريقُ والجِرَّةُ في سبيلِ واحد ، كما أنَّ القِيءَ والعذِرةَ في سبيلِ واحد . ولو أنَّ الكلبَ قلَسَ حَتَّى يمتلئَ منه فِه ، ثم رجعَ فيه من غيرِ مَبَانِيَةٍ له ، لكانَ في ذلكَ أحقُّ بالنظافة من الأنعامِ في جِرَّتِهَا ، وحشِيَّتِهَا وأهْلِيَّتِهَا ، وإنَّ الأَرَانِبَ لَتَحْيِضُ حَيْضاً نَتْناً ، فإِذَا عَافَ لِحْمَهَا أَصْحَابُ التَّقْدُرِ (١) لمشارِكَتِهَا الأنعامَ في الجِرَّةِ .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عيتموه من أَكْلِ العذِرةِ ، فَإِنَّ ذلكَ عامٌّ في الماشيةِ المتخَيَّرِ لِحْمِهَا على اللُّحْمَانِ ؛ لِأَنَّ الإِبِلَ والشِياهَ (٢) كُلُّهَا جَلَالَةٌ وَهْنٌ على يابسٍ ما يَخْرُجُ من الناسِ أَحْرَصُ ؛ وعلى أَنَّهَا إِذَا تَعَوَّدَتْ أَكْلَ ما قد جَفَّ ظَاهِرُهُ وداخِلُهُ رَطْبٌ ، رَجَعَ أَمْرُهَا إلى ما عليه الكلبُ . ثم الدَّجَاجُ لَا تَرْضَى بالعذِرةِ ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا الاستِمْرَاءُ والهَضْمُ ، حَتَّى تَلْتَمِسَ الدِّيدَانَ الَّتِي فِيهَا ، فتَجْمَعُ نوعينِ من العذِرةِ (٣) لَأَنَّهَا إِذَا أَكَلَتْ دِيدَانَ العذِرةِ فَقَدْ أَتَتْ على النَّوعَيْنِ جَمِيعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَمِ (٤) في هَجَائِهِ الْأَنْصَارِ بِخَيْثِ الطَّعَامِ ،

(١) ط : والأَمْبُوزِيَانَا : « التَّقَزْ » وهو الاِشْتِرَاز . والتَّقْدَرُ من تَقْدَرُ الشَّيْءُ : عَدَهُ قَدْرًا .

(٢) في الْأَصْلِ : « الشَّاةُ » والوجهُ الجَمْعُ كما صَنَعَتْ .

(٣) ط : « فيَجْتَمِعُ نوعان » .

(٤) ط : « ابنُ أُمِ الْحَكَمِ » والصَّوَابُ ما أَثْبَتَ مِنْ ل . وعبد الرحمن بن الحَكَمِ هَذَا شاعرٌ إِسْلَامِيٌّ متوسِّطُ الْحَالِ في شعراءِ زَمَانِهِ . وكان يهاجِي عبدَ الرَّحْمَنِ ابنَ حِسانَ بنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ فيقارِئُهُ ، وَيَنْصِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ . له تَرْجُمةٌ في الْأَغْنِي ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أُمِ الْحَكَمِ فَهُوَ مِنْ وَلَدِ الْكُوْنَةِ وَأَسَاءَ بِهَا السَّيْرَةَ ، وولاهُ خَالَهُ مَعَاوِيَةُ عِدَّةَ أَعْمَالٍ فَذَمَّهُ أَهْلُهَا ، وَتَقَلَّبُوا مِنْهُ نَعَزْلَهُ وَأَطْرَحُوهُ . الْأَغْنِي ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثلَّ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وترك ذِكر الكلاب وهي له مُعرِّضة فقال :

وَلَلْآنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا مُلْحِثُ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ^(١)
ولو قال :

وَلَلْآنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا مُلْحِثُ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
لكان الشُّعر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شِيعت ، لم تعرض للعدرة . والأنعامُ الجَلَّالةُ . وكذلك الحافر ، قد جعلت ذلك كالحمض إذا كانت لها خَلَّةٌ ؛ فهي مرَّةً تتغذى به ومرةً تنحمض . وقد جاء في لحوم الجَلَّالة ما جاء .

(رغبة الملوك والأشراف في الدجاج)

وملوكنَا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لا يرغبون في شيء من اللُّحمان رغبتهم في الدَّجاج ، وهم يقدِّمونها على البطِّ والنواض ، والقَبَجِ والدَّرَاج . نعم . وعلى الجداء والأعُنقِ الحُمُرِ من بَنَاتِ الصَّفَايا . وهم يعرفون طبعها وسوء قُوَّتها^(٢) ، وهم مع ذلك يأكلون الزَّواجِي كما يأكلون المسمَّنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ ما في الأنهار من السمك ، وأحسنُها قُدوداً وخَرَطاً ، وأسبُطُها سُبُوطاً^(٣) ، وأرفعُها ثَمناً وأكثرُها تصرُّفاً في المالح والطرى ، وفي

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهورتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوطه وسبوطا .

القريش والنشوط^(١) ، وليس في الماء سمكة ربيعة الذكر ولا ذات
نمول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإنها [في ذلك ^(٢)] لأشد
طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل
١١٦ الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضلونها .
ولولا التعبُّدُ لجري عندنا مجراه عند غيرنا .
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها^(٣) .

(ما قيل في الجري)

وفي الجري قال أبو كندة : هو أدمُ الغميان ، وجيد في الكوشان^(٤)
ودواء للكلبتين^(٥) ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على
اليهود ، وغيظ على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة
بعض البدع ، ولم يُفلح عليه مُكثِرٌ منه قط ، وهو محنة بين المبتدع

(١) في القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جف . وفي مبادئ
اللسان ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش »
وفي ل : « القريس » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهي كلمة ساقطة
من ط . والنشوط : سمك يحفر في ماء وملح .

(٢) التكملة من الأميروزيانا .

(٣) في ط : « لأذناها محشوا » وفي ل : « لأذناها محسيا » ومحشوا كلمتان
مقحنتان فأسقطتهما . واللام في « لأذناها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في الكلبتين » وهو تحريف .

والسُّيِّءُ ، هلك فيه فِتْنَتَانِ^(١) مذ كانت الدنيا : محلَّلٌ ومحرَّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجِلْدِ ، ناقصُ الدِّمَاغِ ،
يلتهم العذرة ويأكل الجرذان^(٢) [صحاحاً والفَّارَ] ، وزهيمٌ لا يُسْتَطَاعُ أكله
إلا محسباً^(٣) ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المسخ ،
لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُخَذَّرُ مطبوخاً ، ويُرى
كلُّه إلا ذنبه^(٤) .

والأصناف التي تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجَلَّالَاتِ من
الأنعام والجِرِّيِّ والشَّبُوطِ من السمك . ويعرض لها من الطير الدُّجَاجُ
والرَّخْمُ والهدَّاهِد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرِّخْمَةِ لذلك ، أن سَمَّوها الأنوق ، حتى سَمَّوا كلَّ
شيءٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :
حتى إذا أضحي تَدَرَّى واكتحل بلحارتيه ثم ولَّى فثقل
• رِزْقَ الْأَنْوَقَيْنِ الْقَرْنَبِيَّ وَالْجَلْعِلَّ^(٥) •

(١) ط : « فتيان » وليس بشيء .

(٢) ط : « يلتهم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما في ل . وانظر ماسياً في ٥ : ٤٥٢ و ٣٥٩ : ٦ ، وكتاب الطبخ للبغدادى ٦٤

حيث ذكر صفة الحمى . وفي سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنبه » .

(٥) في الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر في الجعل)

ولشدّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبيت في مجلس الأتّوام يربّوهم كأنّه شرطيّ بات في حرس
وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتوه بطعامٍ وأكل^(٢) بات يعشّى وحده ألفى جعل
هذا البيت يدلّ على عظم مقدار النّجو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنّ الجعل
يقنات البراز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا
لأنّ الشعر يرتفع عنه .

والشعر قوله :

نعم جارُ الخنزيرة المرضعُ الغر ثى إذا ما غدا أبو كلثوم^(٣)
ثاويّاً قد أصابَ عند صديقٍ من تريدٍ ملبّقى مأدوم^(٤)
ثم أنحى يجره حاجبُ الشّمسِ سرّ فالقى كالمعلّف المهدوم^(٥)
بضريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلّه المركوم
وقال الراجز [في مثل ذلك] :

١١٢

قد دقّه ثارده وصومعا^(٦) ثمّت ألبان البخاني جعجعا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جار الخنزيرة المرضع الفرثي » ، وتصحيحه من ل ومن البيان
٣ : ٣١١ .

(٤) تريد ملبقى : ملين بالدم .

(٥) ط : « ثم أنحى يجره » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومة :
مدقّة الرأس .

جَمْعَجَةَ الْعَوْدِ ابْتَعَى أَنْ يَنْجَعَا ^(١) مُنِمَتَ خَوْى بَارِكَا وَاسْتَرْجَعَا
* عَنْ جَائِمٍ مُخَسَّبٍ كَلْبًا أَبْقَعَا ^(٢) *

وفى طلب الجعل للزبل قال الراجز (وهو أبو العُصْنِ الأَسَدَى) :
ما ذا تَلَاقُ طَلَحَاتُ الْحَرْجَةِ مِنْ كُلِّ ذَاتٍ يُخْنِقُ غَمَلُجَهُ ^(٣)
خَلَّ لَهَا بَيْنَ الْحَلَالِ أَرْجَهُ ^(٤) مِنَ الضَّرَاطِ وَالْفُسَاءِ السَّمِجَةِ ^(٥)
فَجَعَلَتْهَا قَاعِدَةً مُنْشِجَهُ ^(٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدْحَرْجَهُ
وقال يحيى الأغر : تقول العرب « سَدِكَ بِهِ جُعَلُهُ » ^(٧) . وقال الشاعر :
إِذَا أُتِيتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنَّ الشَّقَّ الَّذِي يُغْرَى بِهِ الْجُعَلُ ^(٨)
يضرب هذا المثل للرجل إذا لصق به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه
[وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء ، فكلما قام
لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرنى)

وفى القرنى يقول ابن مقبل :

- (١) ط : « جمجمة العواء تبغى تنجما » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .
- (٢) في القاموس : « البقع محرقة في الطير والكلاب كالبقع في الدواب » وفيه :
« البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .
- (٣) ط : « نخنق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقعة تتقنع بها الجارية .
- (٤) ل : « بين الحجال »
- (٥) ل : السهجة .
- (٦) ل : « مفسحة » .
- (٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هى منك - بمعنى لزم - كما فى ل . وفى الأمثال :
« ألصق من جعل » .
- (٨) شب ، أى أتيح . وعنى بالجمل الواشى . أمثال الميذاني ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجارات بالليل قابعاً قُبُوعَ الْقَرْنَبِيِّ أَخْلَفَتْهُ بِجَاعِهِ (١)
والقُبُوعُ : الاجتماع والتقبض . والقَرْنَبِيُّ : دُوَيْبَةُ فوق الْخُنْفَسَاءِ ودُونَ
الجلجل ، وهو والجلجل يتبعان الرَّجُلَ إِلَى الْغَائِطِ .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّيْرِ الَّذِي يُضَارِعُ الرَّخْمَةَ فِي ذَلِكَ الْهَدَّهْدُ ، مَتْنُ الْبَدَنِ وَإِنْ لَمْ
تَجِدْهُ مَلْطَخاً بِشَىْءٍ مِنَ الْعَدِرَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَبْنِي بَيْتَهُ وَيَصْنَعُ أَفْحُوصَهُ مِنَ الزُّبْلِ ،
وَلَيْسَ اقْتِيَاتُهُ مِنْهُ إِلَّا عَلَى قَدَرِ رَغْبَتِهِ وَحَاجَتِهِ فِي الْأَيْتَخَذِ بَيْتاً وَلَا أَفْحُوصاً
إِلَّا مِنْهُ ، فَخَافَرَهُ [ذَلِكَ] الشَّيْءُ فَعَلِقَ بِيَدْنِهِ وَجَرَى فِي أَعْرَاقِ أَبِيهِ ؛ إِذْ كَانَ
هَذَا الصَّنِيعَ عَامّاً فِي جِنْسِهِ (٢) .

وتعترى هذه الشَّهْوَةُ الذَّبَّانَ ، حَتَّى إِنَّمَا لَوْ رَأَتْ عَسلاً وَقَدَرَا ، لَكَانَتْ
إِلَى الْقَدَرِ أَسْرَعَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ (٣) :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يُقْصِي الْهُمُومَ عَلَى بَثْقٍ (٤)
وَأَعْظَمُ زَهْواً مِنْ ذُبَابٍ عَلَى خَيْرٍ (٥) وَأَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقٍ (٦)
وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الزُّنْبُورَ لِحُجٍّ بِصَيْدِ الذَّبَّانِ ، وَلَا يَكَادُ يَصِيدُهُ (٧) إِلَّا وَهُوَ

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ماقي ل .

(٢) ط : « إِذْ كَانَ هَذَا التَّضْيِيعُ عَامّاً فِي جِنْسِهِ » وهو تحريف ماقي ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني كَمَا سَيَأْتِي وَكَأَيُّ الْبَيَانِ ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار

١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر في هجاء جعفر بن يحيى البرمكي .

(٤) اللبثق : منبعث الماء . ماعدا ل : « ثبِق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإِذَا أَكَلَ لَحْمَهُ فَمَرَقَ - كَمَرَابَ - أَوْ
كَلَامَهَا لِكَلَمِهَا .

(٧) ط : « يصيد » والوجه ماقي ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ولا ستفراغها] ، فيعرف الزنبور ذلك ، ١١٣
 فيجعل غفلته فرصة ونهضة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجده يروم صيده
 وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الخلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشَّعْمَقِ في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسَ الْأَنْثَانِ وَالْقَذِيرَةَ
 وَابْنُ عَمِّ الْحِمَارِ فِي صُورَةِ الْقَيْلِ وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقَرَةَ
 يَمْشِي رُويْدًا يَرِيدُ خَلْقَتَكُمْ كَمْشَى خَنْزِيرَةٍ إِلَى عَذْرَةٍ^(١)
 وَقَالَ حَمَادُ عَجْرَدَ فِي بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ الْعَقِيلِيِّ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شَيْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوْرًا
 أَشْبَهَ بِالْخَنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا^(٢)
 وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا^(٣)
 لَوْ طُلِيتْ جِلْدَتُهُ عَنَابًا لَنَدَّنتْ جِلْدَتُهُ الْعَذْبَا^(٤)
 أَوْ طُلِيتْ مِسْكًَا ذَكِيًّا إِذْنُ كَحَوَّلَ الْمِسْكَ عَلَيْهِ خِرًا

وقال أبو نُوَاسٍ في هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ :

إِذَا مَا مَدَحْتُ فَتَى مِنْ خِرَا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرَا^(٥)

وقال أَعْرَابِيٌّ يَهْجُو رَجُلًا يُقَالُ لَهُ جُلْمُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كَانَ مُتَنِّ الْعَرَقِ :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه مأق ل .

(٢) المكسر - كنزول - : الأصل والخير .

(٣) الطففس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطففس كقذر وزنا ومعنى .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفسدت » .

(٥) ط : « من خرى » ل « من خرا » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا^(١) وَرَعَدْتَ حَافَتَهُ وَبَرَقَا
أَهْلَكَتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسَ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبَثَ شَيْءٌ عَرَقًا وَخِرَقًا^(٢) *

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَارٍ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فِثْلُ الْكَلْبِ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ^(٣)
بَلْ لِعَمْرِي لَا أَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْكَلْبِ وَأَوَّلُ مِنْهُ بِكَلٍّ هَوَانٍ
وَلِرَيْحِ الْخِنْزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التُّبَّانِ
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن مُعْمِرٍ :

غَزَا ابْنُ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ ثَنَاءَ كَرِيحِ الْجُوزِ بِالْمُتَخَرِّقِ ١١٤

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَارٍ^(٤) :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَفِرُّ النَّاسُ مِنْ رَجْسِهِ^(٥)
لِلْقَرْدِ بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرَغَمِ الْقَرْدِ أَوْ تَعْسِهِ^(٦)
لِلْقَرْدِ بِاللَّيْثِ اغْرَارُ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ^(٧)
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْفَةٍ بَنَائِهِ يَا قَرْدُ أَوْ ضِرْمِيهِ
نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إِذَا عَارِضِي تَأَلَّقَا » .

(٢) ط : « أَحْرَقَا وَعَرَقَا » .

(٣) في ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يَجْتَلِ البيت . والشعر من الخفيف لحقه التثنية في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . » في رسمه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نَحْسُهُ » ولعلها « نَحْسُهُ » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « مَا الَّذِي أَدْنَاكَ » .

وليس بالمقلع عن غيِّه^(١) حتى يُبدلَ القِرْدُ في رَمْسِه
 ما خَلَقَ اللهُ شَيْباً له من جَنِّهِ طُرّاً ومن إنْسِه
 والله ما الخنزيرُ في نَقْنِه من رُبْعِه بالعُشْرِ أو خُمْسِه
 بل رِيحُه أَطْيَبُ من رِيحِه ومُسُّه أَلْيَنُ من مَسِّه
 ووجْهُه أَحْسَنُ من وَجْهِه ونَفْسُه أَنبَلُ من نَفْسِه
 وعُودُه أَكْرَمُ من عُودِه^(٢) وجِنْسُه أَكْرَمُ من جِنْسِه
 وأنا حَفَظْتُك اللهُ تعالى أَسْتَظِرُّ وَضَعَه الخنزيرَ بهذا المكانَ وفي هذا
 الموضع ، حين يقول : وعُودُه أَكْرَمُ من عُودِه .

وأىُّ عودٍ للخنزير^(٣) ؟ ! قَبَّحَه اللهُ تعالى ، [وقبح من يشبهى أَكلَه] ،
 وقال حمَّادٌ عَجْرَدٌ في بَشَّارِ بن بُرد :

إِنَّ ابنَ بُرْدٍ رَأَى رُؤْيَا فَأَوَّلَهَا^(٤) بلا مَشُورَةٍ لِإنْسَانٍ ولا أَثَرِ
 رَأَى العَمَى نِعْمَةً لِّلّهِ سَابِغَةً عليه ، إِذْ كَانَ مَكْفُوفاً عَنِ النَّظَرِ
 وقال : لَوْلَمْ أَكُنْ أَعْمَى لَكُنْتُ كَمَا قَدْ كَانَ بُرْدٌ أَيْ فِي الضِّيقِ وَالْعُسْرِ
 أَكَلْتُ نَفْسِي بِالْتَطْيِينِ مَجْتَهِداً إِمَّا أَجِيراً وَإِمَّا غَيْرَ مُؤْتَجِرٍ
 أَوْ كُنْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَقْنَعْ بِفَعْلِ أَبِي قَصَّابَ شَاءَ شَقِيَّ الْجَدِّ أَوْ بَقَرٍ
 كَلِخَوْتِي دَائِباً أَشْقَى شَقَاءَهُمْ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْإِدْلَاجِ وَالْبُسْكِ
 فَقَدْ كَفَانِي العَمَى مِنْ كُلِّ مَكْسَبَةٍ وَالرِّزْقُ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدَرِ^(٥)

(١) كَذَا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ . وَفِي ط : « غِيْلَه » وَ ل : « فَعْلَه » .

(٢) ط : « أَحْسَن » وَارْتَضَيْتُ مَا فِي ل وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ .

(٣) ط : وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ أَيْنَ عُودُ الْخَنزِيرِ مِنَ الْكِرَمِ . وَوَضَعَ الْكَلَامَ هَهُنَا
 الصُّورَةُ مِنْ تَلَاعِبِ النَّسَاجِ . وَقَدْ رَدَدْتَ الْأَمْرَ إِلَى نَصَابِهِ ، مَعْتَمِداً مَا فِي ل .

(٤) ل : « فَقَالَ بِهَا » .

(٥) ط : « بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْقَدَرِ » .

فصرتُ ذاتَ شَبٍّ من غيرِ ما طلب
أضْمُ شَيْئاً إلى شَيْءٍ فأذخره^(١)
مَنْ كانَ يعرفُنِي لو لم أكنَ زَمِناً
فَقُلْ لَهُ لا هَدَاهُ اللهُ مِنْ رَجُلٍ
أَقْدَ فُطِنْتَ إلى شَيْءٍ تعيشُ به
يا ابنَ النَّشْرَتِ عن شيخٍ صَبِيحَتِهَا
أما يَكْفُكَ عن شَتْمِي ومنَقَصِي
نَفْتِكَ عَنْهَا عَقِيلٌ وهى صَادِقَةٌ
يَا عَبْدَ أُمِّ الظُّبَاءِ المستطَبُّ بها
بل أنتَ كالكلبِ ذُلاًَّ أو أذلُّ وفى
وأنتَ كالقرَدِ فى تشويهِ منظَرِهِ
ووصفَ ابنُ أبى كريمة حُشّاً له ، كان هو وأصحابه يتأذون بريحه فقال :
ولى كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللهِ يطرقُنِي أرواحَ وادى خبالٍ غيرِ فَتَّارٍ^(٢)

(١) ط : « إلا بمسألتي إن كنت في صفر » وهو تحريف .

(٢) ط : « فأخزاه » .

(٣) العرر : المساوي والمثالب . فى ط : « لاهدك الله » .

(٤) ط : « لاقده » وهو تحريف ، وفيها « قد وفقت في النظر » .

(٥) ط : « عن شيخٍ مبيتها لا يرميان يذى » وهو تحريف .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . فى أدب الكاتِب ١٥٧ :

« الذفر : شدة ريح الشيء الطيب والشيء الحليث » .

(٧) ط : « فسل أسيداً أو فاسأل » .

(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زينة الذئب أو الأسد . ومن

أشاهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركاً فى هذا الشعر . وفى ط :

« وفى نذالة النفس والخنزير والنقر » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط : « وارى خيال » ، وفى س : « وادى خيال » وفى م :

« واد خبال » .

له بدائعُ نَئِنَ ليس يَعْرِفُهَا ^(١) من البريةِ إِلَّا خَازِنُ النَّارِ
إِذَا أَتَانِي دَخِيلٌ ^(٢) زَادَنِي بِدْعاً كَأَنَّهُ لَحِجٌّ عَمِداً بِإِضْرَارِي
قَدْ اجْتَوَانِي لَهُ الْخِلَانُ كُلُّهُمْ وَبَاعَ مَسْكَنَهُ مِنْ قُرْبِهِ جَارِي
فَنِ ارَادَ مِنْ الْبِرِّ سَامَ أَقْتَلَهُ أَوْ الصُّدَاعِ فَرَّهُ يَدْخُلُنْ دَارِي
اسْتَكْثَفَ النَّئِنُ فِي أَنِّي اسْكَثَرْتَهُ فَلَيْسَ يَوْجِدُنِي غَيْرُ إِضْهَارِي ^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقبل للمحلول ^(٤) : وملك ، ما حفظت بيتَ شعري قط ؟ فقال : بيتاً
واحداً أشبهته بحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إني ^(٥) لا أحفظُ إلا بيتاً
واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشده ، فأنشدهم :
كَأَنَّمَا نَسَكْهُنَّهَا مِدَّةٌ تَسِيلُ مِنْ مَخْطَةِ مَجْدُومٍ
وزعم أصحابنا أنَّ رجلاً من بني سعد - وكان أنتنَ الناسَ إبطاً - بلغه أن
ناساً من عبد القيس يتحدّونه برجلٍ منهم ، فضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦
وقد أزيب ^(٦) إبطاه ، وهو يقول :
أَقْبَلْتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعَتِنَا ^(٧) بِذِي حُطَاطٍ يُعْطِشُ الْخُنُونَا ^(٨)

- (١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشئ .
(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .
(٣) يوجديني : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجه فيه » وهو تحريف .
(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البخلاء ٩٩ ما يفيد أن المحلول
مولي لتمام بن جعفر .
(٥) في الأصل : « أما أنا » .
(٦) ط : « زيد » .
(٧) في معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؟ ولم يعينه واحد منهما . . وفي
ط : « باعلينا » بحرفة .
(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان في الإبل
وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « يسلى حفيض يعطش الخنونا »
وهو تحريف .

يَزَوِي لَهُ مِنْ نَنِّهِ (١) الْجَبِينَا حَتَّى تَرَى لَوَجْهِهِ غُضُونَا

نُبِثَّتْ عَبْدَ الْقَيْسِ يَأْبُطُونَا ۞

قال : ومتح أعرابي على بئر وهو يقول :

يَا رِيَّهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنِّي جَانِي عُبَيْثُرَانِ (٢)

وقال آخر :

كَأَنَّ إِبْطَى وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةُ خُرْعَمٍ كَوَامِيخُ الْقَرَى (٣)

ويقال إنه ليس في الأرض رائحة أتت ، ولا أشد على النفس ،
من بخر فم أو نتن حر ، ولا في الأرض رائحة أعصم لروح من
رائحة التفاح .

وقال صاحب الكلب : فإنى الناس يعافون تسميد بقولهم قبل
تجومها وتفتق بزورها (٤) ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها
حتى ربما ذروا عليها السماء ذرا ، ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب
اللب (٥) قوى العذرة ، بل من لم بالعذرة ؟ ! وعلى أنهم ما يصيبونها
إلا مغشوشة مفسدة . وكذلك صنيعهم في الريحان . فإما النخل
فاو استطاعوا (٦) أن يطلوا بها الأجذاع طلياً (٧) لفعالوا . وإلهم ليوقدون بها

(١) ط : « من شيه » .

(٢) العيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من
القيصوم ونوره مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا
أن له شراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالذي يكون في وسط الأقحوان .
ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى في ط :
« عيثران » بحرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى في ط : « لقة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما في ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الحَمَامَاتِ وَأَتَاتِينَ الْمَلَالِ^(١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمَادِهِمُ الْأُبْعَارُ كُلُّهَا وَالْأَخْثَاءُ إِذَا جَفَّتْ . وما بينَ الثَّلْطِ جَافَا وَالْحَنَاءُ يَابَسَا ، وبينَ الْعَدْرَةِ جَافَقَةً وَيَابَسَةً فَرَقَ . وعلى أَنَّهُمْ يَعَالِجُونَ بِالْعَدْرَةِ وَبُحْرَى الْكَلْبِ ، من الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ^(٢) في أَقْصَى مَوَاضِعِ التَّفَرُّزِ^(٣) وهو أَقْصَى الْحَلْقِ ، ومَوَاضِعِ الْإِلَهَاتِ^(٤) ، وَيَضْعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الشُّوكَةِ ، وَيَعَالِجُونَ بِهَا عُيُونَ الدَّوَابِّ .

(أَقْوَالُ الْمَسِيحِ الْكَنَّاسِ)

وَقَالَ مَسِيحُ^(٥) الْكَنَّاسِ : إِنَّمَا اسْتَقَّ الْخَيْرُ مِنَ الْخُرَى . وَالْخُرَى فِي النُّومِ خَيْرٌ . وَسَلْحَةُ مُدْرِكَةُ الْذُّمِّ مِنْ كَوْمِ الْعُرُوسِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا بِهِ قُعَاصُ^(٦) وَزُكَّامٌ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وَإِذَا ذَلِكَ قَدْ طَاوَلَهُ ، وَقَدْ كَانَ بَلْغَى أَنَّهُ كَانَ هَجَرَ الْجُلُوسَ عَلَى الْمَقْعَدَةِ وَإِتْيَانَ الْإِخْلَاءِ ، فَأَمَرْتُهُ بِالْعُودِ إِلَى عَادَتِهِ ، فَمَا مَرَّتْ بِهِ أَيَّامٌ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ^(٧) عَنْهُ . وَزَعَمَ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْتَنَةٌ الْحَيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، وَالْأَنْهَارُ وَالْأَوْدِيَةُ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَمَرَهُمْ ذَلِكَ لَنْتَنِ الْمَحِيطِ بِهِمْ ، وَقَدْ مَحَقَ حِسَّهُمْ لَهُ طَوْلُ مُكْنِهِ ١١٧ فِي خِيَاشِمِهِمْ . قَالَ : فَمَنْ ارْتَابَ بِخَبْرِي ، فَلْيَقِفْ فِي الرَّدِّ إِلَى أَنْ يَمْتَحَنَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ بَيْتِ مَطْيَبٍ ؛ وَلْيَتَشَمَّ^(٨) تَشَمُّمَ

(١) المليل : الخبز واللحم وضعت في الملة . والملة : الرماد الحار . وفي ل : « القلال » .

(٢) الذُّبْحَةُ : وجع في الحلق أو دم يخرج فيقتل . وفي ط : « الخانوق » موضع الخانوق .

(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف ما في ل .

(٤) ط : « ومَوَاضِعِ الْإِلَهَاتِ » وهو تحريف .

(٥) ط : « مسيح » .

(٦) ط : « حَتَّى ذَهَبَتْ عَنْهُ » .

(٧) ط : « لِيَشَمَّ » .

المتشَبِّث . عَلَى أَنَّ الْبَقَاعَ تَفَاوَتْ فِي النَّتْنِ . فَهَذَا قَوْلُ مُسَبِّحٍ ^(١) الْكَنَاسِ .

(عصبية سامويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوِيَه وابن ماسَوِيَه مُتَطَبِّبَا الْخَلْفَاءِ ^(٢) ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ جَيْفَةٌ أَنْتَنُ نَتْنًا وَلَا أَثْقَبُ ثَقُوبًا مِنْ جَيْفَةِ بَعِيرٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي وَهَمَهُمَا ذَلِكَ عَصَبِيَّتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبَغْضُهُمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْكِتَابِ بِرَاكِبٍ ^(٣) الْبَعِيرِ . [وَيَقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِمَنْ : أَيُّ الْجَيْفِ أَنْتَنُ ؟ فَقِيلَ : جَيْفُ الْكَلَابِ . فَأَمْتَحِنْتُ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَنُ مِنْهَا جَيْفُ السَّنَانِيرِ ، وَأَنْتَنُ جَيْفُهَا الذِّكُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْنَ جَيْفَيْ سَنُورَيْنِ ذَكَرَيْنِ ^(٤)] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخفها)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النَّتْنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لَعَلَّكَ إِنْ تَفَقَّدْتَهُ أَنْ تَوَافَقَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النَّتْنُ فَلِأَنِّي لَمْ أَشَمَّ شَيْئًا أَنْتَنَ مِنْ رِيحِ حُشٍّ مُقَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْخِصْيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمِ الْمُرَادِفَةِ الْمُرَاكِبَةِ ^(٥) وَلِرِيحِ الْقَارِ وَرِيحِ هَوَاءِ الْحُشِّ ^(٦) وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحٍ

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدم المعتصم . ترجم له التتغلى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦

ليبسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خدم المأمون والمعتصم والوائى والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ ليبسك ، ٤١١ مصر .

وفى ط : « مطيب الخلقاء » وصحته فى ن .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبواهم المتركة » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح دوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهة من النتن ومذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الخلائع غير مكشوف ، وكان مغموماً غير مفتوح . فأما الطيب فإن لم أشم رائحة قط أحباً للنفس ولا أعصم للروح ، ولا أفتق ولا أغنج ، ولا أطيّب خمره من ريح عروس^(١) ، إذا أحكمت تلك الأخلاط ، وكان عرّف [بدنها] ورأسها وشعرها ساياً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة .

(ما قيل في الظربان)

ومما قالوا في النتن ، وفي ريح جحر الظربان خاصّة ، قول الحكم ابن عبدل :

ألقيت نفسك في عروض مشقة^(٢) ولحصد أنفك بالمناجل أهون^(٣)
أنت امرؤ في أرض أمك قلقل^(٤) جمّ وفلقلنا هناك الدندن^(٥)
فبحق أمك وهى منك حقيقة بالبرّ واللطف الذى لا يُحزن^(٦)
لا تُدن فاك من الأمير ونحوه حتى يداوى ما بأنفك أهرن^(٧)
إن كان للظربان جحر مثنين فلجحر أنفك يا محمد أتن^(٨)

(١) ل : « مشقة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبيك ، ٤١٣ مصر ، والتفطى ٥٧

وفي ط : « أهون » والصواب في ل وفيها سياق قريباً ، وفي عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الظربان - حين رمى قوماً بأنهم
يَفْسُون في مجالسهم ، لأن الظربان أنْتَنُ خلق الله تعالى فسوة . وقد عَرَفَ
الظربان ذلك فجعلَه من أَشدَّ^(١) سِلَاحِهِ ، كما عَرَفَتِ الحُبَارَى مَا فِي
١١٨ سُلَاحِهَا مِنَ الآلَةِ ، إِذَا قَرَبَ الصَّخْرَ مِنْهَا . وَالظَّرْبَانُ يَدْخُلُ عَلَى الضَّبِّ
جُحْرَهُ وَفِيهِ حُسُولُهُ أَوْ بَيْضُهُ ، فَيَأْتِي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ فِي الْجُحْرِ فَيَسُدُّهُ
بِيَدَيْهِ ، وَيَحْوِلُ اسْتَهُ فَلَا يَفْسُو ثَلَاثَ فَسَوَاتٍ حَتَّى يُدَارَ بِالضَّبِّ فَيَخِرَّ^(٢)
سَكْرَانٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَيَأْكُلُهُ ، ثُمَّ يَقِمُّ فِي جُحْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِ حُسُولِهِ .
وَتَقُولُ الْعَرَبُ : إِنَّهُ رَجَمًا دَخَلَ فِي خِلَالِ الْمَجْمَةِ فَيَفْسُو ، فَلَا تَمُوتُ
لَهُ ثَلَاثُ فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الْإِبِلُ عَنِ الْمَبْرَكِ ، تَتْرَكُهُ وَفِيهِ قِرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهَا
الرَّاعِي ، إِلَّا بِالْجَهْدِ الشَّدِيدِ .

فَقَالَ الرَّبِيعُ ، وَهَجَاهُمْ [أَيْضًا] بَرِيحِ الثِّيُوسِ :

قَلِيلٌ غَنَاؤُهُمْ فِي الْهِجَاكِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرِ شَدِيدِ
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرُ هَرِيرَ الْعَقُورِ الرَّصُودِ^(٣)
وَأَنْتُمْ ظُرَابِي إِذْ تَجْلِسُونَ وَمَا إِنَّ لَنَا فِيكُمْ مِنْ نَدِيدِ^(٤)
وَأَنْتُمْ ثِيُوسٌ وَقَدْ تُعْرِفُونَ بَرِيحِ الثِّيُوسِ وَقُبْحِ الْخُدُودِ^(٥)

قَالَ : وَيُقَالُ : « أَفْسَى مِنَ الظَّرْبَانِ » وَيَسْمَى مَفْرُقَ النَّعَمِ ،
يَرِيدُونَ مِنْ نَتْنِ رِيحِ فُسَّائِهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ - إِذَا وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ

(١) ط : « أَحَد » .

(٢) ط : « فَيَحْزَنُ » وَصَوَابُهُ فِي ل وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصُّرُود » .

(٤) نَدِيد : مِثْلُ ، وَفِي ط : « مَزِيد » وَهُوَ تَحْرِيفُ مَا فِي ل وَثَمَارِ الْقُلُوبِ .

(٥) ط : « الْجُدُود » وَفِي الثَّمَارِ : « وَنَتْنِ الْجُلُود » .

شرُّ فتبايتنا وتقاطعنا - « فسا بينَهُمَا ظَرَبَان » . ويقال : « أَنْتَن مِنْ ظَرَبَان » لأنَّ الضَّبَّ إِنَّمَا يَخْدَعُ^(١) فِي جُحْرِهِ وَيُوْغِلُ فِي سِرْبِهِ لَشِدَّةِ طَلَبِ الظَّرَبَانِ لَهُ . وقال الفرزدق فِي ذَلِكَ :

ولو كنتُ فِي نَارِ الجَحِيمِ لَأَصْبَحْتُ ظَرَابِيُّ مِنْ حِمَّانَ عَنِّي تثيرها^(٢) .

وكان أبو عُبيدة يُسَمِّي الحِمَّانِيَّ صَاحِبَ الْأَصَمِّ : الظَّرَبَانِ^(٣) ، يريد هذه المعنى ، كما يسمي كلَّ حِمَّانِيٍّ^(٤) ظَرَبَانَا .

وقال ابن عبدل :

لَا تُدْنِ فَالِكَ مِنَ الْأَمِيرِ وَنَحْنُ حَتَّى يَدَاوِيَ مَا بَأْنَفِكَ أَهْرُنُ
إِنْ كَانَ لِلظَّرَبَانِ جُحْرٌ مُنَيْنُ فَلَجُحْرُ أَنْفِكَ يَا عَمَّادُ أَنْتَنُ
فِي شعره الذي يقول :

لَيْتَ الْأَمِيرَ أَطَاعَنِي فَشَفِيتُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يُكْفِي الْقَصِيدَ وَيَلْحَنُ
مُسْكُورٌ يَخْتُوُ الْكَلَامَ كَأَنَّمَا بَاتَتْ مَنَاخِرُهُ بَدْهَنٍ تُعْرَنُ^(٥)
وَبَنَى لَهُمْ سِجْنًا فَكَنْتُ أَمِيرَهُمْ زَمَنًا فَأَضْرَبُ مَنْ أَشَاءُ وَأُسْجِنُ
قُلُوبَ ابْنِ آكِلَةِ الْعِفَاصِ عَمِّدٍ إِنْ كُنْتُ مِنْ حُبِّ التَّقَرُّبِ تَجِبُنُ^(٦)
أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضِ مَشَقَّةٍ وَلَحَصْدُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ ٢١٩
أَنْتَ أَمْرُوٌّ فِي أَرْضِ أُمِّكَ فَلَقُلْ جَمُّ وَفَلَقُلْنَا هُنَاكَ الدَّنْدِينُ

(١) خدع الضب في جحره : دخل . وفي ط : « يخذع » وهما بمعنى .

(٢) التثير في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تثير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمي الحمانى صاحب الأصم » فقط .

(٤) في الأصل « حان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويختو : يلقى . وفي ط : « متكوراً » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التزب تحتن » وهو تحريف ماني ط وما في م .

فبحقُّ أُمَّكَ وهى منك حقيقةٌ
لا تُدْنِ فَالِكَ من الأميرِ ونَحْه
إِنْ كَانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مَنَنْ
فَسَلِّ الأميرَ وَأَنْتَ غيرُ موفِّقٍ
وسَلِّ ابْنَ ذَكَوَانٍ نَحْذُهُ عَالِماً
إِذْ أَنْتَ تَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ عَفْصَةً^(١)
أَشْبَهْتَ أُمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ
فَلَنْ أَصِبتَ دراهماً فدفنتها
فبها^(٢) أراك وَأَنْتَ غيرُ مُدْرِهِمْ
إِذْ رَأْسُ مَالِكٍ لُجْبَةٌ بِصَرِيَّةٍ
وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوْتُ^(٣) محمداً ودخاناً فيه
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أَتَانِي
فقلْتُ له ولم أعجلْ عليه ،
فأَعْرَضَ مُكَمَّحاً عَنِّي كَأَنِّي
كريحِ الجعرِ فوقَ عَظِينِ جِلْدِ
كريمٍ يَطْلُبُ المعروفَ عِنْدِي
وذلكَ بعدَ تَقْرِيطِي وَحَمْدِي
أَكَلْتُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صَمْدٍ^(٤)

(١) ط : « لا يحزن » وهو تحريف .

(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأثرين ٢ : ١٢ طبع دار الكتب
وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .

(٣) من الخزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تحزن » .

(٤) ط : « غصّة » .

(٥) ل : « لجا » وهما لسان .

(٦) المغربية : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .

(٧) ل : « فقلت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . والبيت فى اللسان (نجا)

بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٨) المكحج : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل .
والصمد : المصنوع المرتفع الغليظ . وفى ط : « صمد » وفى ل : « صمد » بالضاد
ولا يتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ (١) لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مَسْتَنٍ يَمِينًا أبا بَخْرٍ (٢) لَتَسْجَمَنَّ رَدَى
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْذَبَ مِنْ تَمِيمٍ نَخَفْتَ مَلَامَتِي وَرَجَوْتَ حَمْدِي
نَجَوْتُ (٣) مُحَمَّدًا فَوَجَدْتُ رِيحًا كَرِيحِ الْكَلْبِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدٍ
وَقَدْ أَلْذَعْتَنِي (٤) ثَعْبَانِ نَتْنٍ سَبِيلُغَ إِنْ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدٍ
وَأَدْنَى خَطْمِهِ فَوَدِدْتُ أَتَى قَرَنْتُ (٥) ذَنُوءَهُ مِنِّي بِيُعْدٍ
كَمَا افْتَدَيْتَ الْمَاعِذَةَ مِنْ جَوَاهُ (٦) بَخْلَعَهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَزَنْدٍ ١٢٠
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَاخَتْ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَسِيرٍ قَدْ (٧)
وَقَدْ أَذْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَلِكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدٍ
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طَأَيْتَ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ (٨)
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا زَعَا فَا إِنْ هَمَمَنْ لَهُ بِوَرْدٍ (٩)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهَ عَلَى فَوْحًا بِمَثَلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمَغْدُ (١٠)
فَقَاتَ لَهُ : تَنْحَ بِفِيكَ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحِ قَتَارٍ رَنْدٍ (١١)

- (١) الآصرة : الرحمة والقراءة . وفي ل : « نى صر » وليس بشيء .
(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الهم . وفي ل : « بحر » والوجه ما في ط .
(٣) ماعدا ل : « نجوت » بالحاء ، وهو تحريف . وانظر ما سبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩ .
واللسان (جلد ، نجا) .
(٤) ط : « لذعتني » .
(٥) كذا في ط . وفي ل : « فليت » .
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت في الأصول متأخر عن البيت الذي بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشمر .
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . مجرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « ذعافا » وفيها كذلك « رين حلاوة » .
(١٠) الغثيثة : القيق . والمغد : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المغد » وهو تحريف .
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عني »
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاً واسكن
فحدثنى فإنَّ الصَّدقَ أدنى
أباتَ يجولُ في عَفَجٍ طحور
[نكَّهتَ على نكهةٍ أُخدرى]
فإنَّ أهديتَ لى من فيكَ حتفى
لکم شُرُداً یسرِن مغثیاتِ
أما تحزى خزيت لها إذا ما
لأرجو إن نجوت ولم یُصبني
وقلتُ له : متى استطرفتَ هذا
فقلتُ له : أما دأويتَ هذا
فقال : أما علمتَ له رِقَاءً
فقلتُ له : ولا آلوه عیا
عليك بقیئةٍ وبجعرِ کلبِ
وحلتیتِ وکُرَّاثِ وثومِ
وحنجرۃ ابن آوى وابن عرسِ
يفوحُ خِرَاكُ منه غیر سرِدِ^(١)
لبابِ الحقِّ من کذبٍ وجحدِ
فأعلمُ أمَّ أُنَّاكَ به مُغْدَى^(٢)
شتیمِ أعصلي الأنيابِ ورِدِ [
فلئن کالذی أهدیتَ أهدى^(٣)
تکونُ فنونها من کلِ فندِ^(٤)
رَواها النَّاسُ من شیبٍ ومُردِ^(٥)
جَوَى لئنِ إذن لَسَعِيدِ جَدِّ
فقال أصابني من جوفِ مَهْدِي
فتعذر فيه آمالاً بِجَهْدِ^(٦)
فتسديهِ لنا فيما سَتْسُدِي^(٧)
له فيما أَسْرُ له وأبدي^(٨)
ومثلي ذاك من نونِ كَتَعْدِ^(٩)
وعُودِي حَرَمَلِ ودِمَاغِ فَهَدِ^(١٠)
ووزنِ شَعِيرَةٍ من بَزُرِ فَقَدِ^(١١)

(١) الطلاء، بالكسر : الحمر . وفى ط : « فيه غير سرد » .

(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفى ط :

أبت تجول في عفج طحون فاعلم إذا أناك به معدى (كذا)
(٣) ل : « مهد » .

(٤) الفند ، بالكسر : النوع . وفى ط : « قند » ولا وجه له .

(٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه ما فى ل . ل : « رآها الناس » والوجه ما فى ط .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « تسدى » ولا يستقيم بها القول .

(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفى البيت كلمة « عيا » وهى محرفة .

(٩) كذا فى ل . وفى ط : « من لون كعتدى » .

(١٠) ط : « وحنتيت » والصواب باللام كما فى ل .

(١١) فى القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفى ل : « فقد » بتقديم التاء وهو

تصنيف . وفى ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلى » .

وَكَفَّ ذُرْحُوحٌ^(١) وَلِسَانِ صَقَرٍ وَمِثْقَالَيْنِ مِنْ صَوَانٍ رَقْدٍ^(٢)
يُدْقُ وَيُعْجَنُ الْمَخُولُ مِنْهُ بَبُولٍ آجِنٍ وَيَجْعَرُ قِرْدٍ
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لِبَرْدٍ^(٣) ١٢١
فَدَحْنُ فَالِكَ مَا عَتَقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأُظْفَارٍ وَنَدٍّ^(٤)
فَإِنْ حَضَرَ الشَّتَاءُ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ غَيْكَ أَمَرَ رَشْدٍ^(٥)
فَدَخَرِجْهَا بِنَادِقٍ وَازْدِرْهَا مَتَى رُمْتَ التَّكْلُمَ أَى زَرْدٍ
فَتَقْدِفُ بِالْمِصَلِّ عَلَى مِصَلٍّ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ^(٦)
وَوَيْلَكَ مَا لِبَطْنِكَ مَذْقَعُنَا كَأَنَّ دَوِيَّةَ إِرْزَامٍ رَعْدٍ^(٧)
فَإِنَّ لِحِكَّةَ النَّاسُورِ عِنْدِي دَوَاءٌ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سَيْجِدِي
يُمِيتُ الدُّودَ عَنْكَ وَتَشْبِيهِهُ إِنْ أَنْتَ سَنَنْتَهُ سَنَ الْمُقْدَى^(٨)
بِهِ ، وَطَلِيئَتُهُ بِأُصُولٍ دِفْلِي وَشَيْءٌ مِنْ جَنَى لَصْفٍ وَرَنْدٍ^(٩)
أَظْطَى مَيْتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

- (١) الذرحوح : دويبة حمراء منفطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط :
« زرحوح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه
وفي ط : « رقد » محرفة .
(٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .
(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والنسج : ضربان من الطيب .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ ورما ، ومثله المصغد والمسمغد . وفي ل :
« مصغند » .
(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .
(٨) السن : ألصق في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد »
وفي ط « المقد » محرفتان .
(٩) الدفلي : نبت مرقتال زهره كالورد الآخر وحله كالخروب . والصف : نبت ورقة
كورك لسان الحمل أودق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سمدى »
موضع « دفلي » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا .
وفي ل : « زبد » وليس بشيء .

(أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سَنَذْكُرُ أشعار العرب في هجاء الكلب مجرّداً على وجهه ، ثُمَّ نَذْكُرُ ما ذُكِرَ من خلالهِ وأصنافِ أعمالهِ ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشار بن بُرْد :

عددت سويداً إذ فخرتَ وتولّبتاً والكلبُ خَيْرٌ من سويدٍ وتولّبِ
وقال بشارٌ أو غيره :

أَتَذْكُرُ إذ تَرَعَى على الحىَّ شاءَهُمُ وأنتَ شريكُ الكلبِ في كلِّ مَطْعَمٍ
وتلحسُ ماني القعبِ من فضلِ سُورِهِ وقد عاثَ فيه باليدِينِ وبالْفَمِ
[وقال ابن الذبابة :

من يجمع المالَ ولا يَتَبُّ به ^(١) ويتركُ المالَ لِعامِ جَدِيهِ
• يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانُ كَلْبِهِ] •

وقال آخر :

إِنَّ شَرِيبي لَا يَغِبُّ بوجهه كَأَمِي كَانَ كَلْباً يَهَارِشُ أَكْلِباً ^(٢)
ولا أَقْسِمُ الْأَعْطَانِ ^(٣) بِنِي وَبَيْنَهُ ولا أَتَوَقَّاهُ وَإِنْ كَانَ مُجْرِباً
وهجا [أبو] الأَحْوصِ ^(٤) ابْنًا لَهُ فَشَبَّهَهُ بِجُرِّ كَلْبٍ فَقَالَ :
أَقْبَحُ بِهِ مِنْ وَلَدٍ وَأَشَقَّحُ مِثْلَ جُرِّي ^(٥) الْكَلْبِ لَمْ يُفْقَحْ

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يثبه » وهو تحريف إملأق . وفي البخلاء ١٥٥ : « يثبه » وليس بشي . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شراي لا تغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعمكان » .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفي ل : « جرى » .

إِنْ يَرِ سُوًّا مَا يَقُمُ فَيَذِبحُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ^(٢)

وقال أبو حُزَابَةَ^(٣) :

يَا ابْنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لَغَيْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ^(٤)
 قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ أَنْكَ أَنْتَ النَّاقِصُ الْفَاءُ^(٥)
 حَبَلْتُ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَغْمُهُ الْمِزْرُ وَالرَّدَاءُ
 بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَنَّهُمْ زَيْنَةُ جِرَاءِ^(٧)

وقال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ، وَذَكَرَ قُبِحَ وَجْهَهُ [فَقَالَ] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوًّا بِوَجْهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلِ^(٨)
 فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلِ

(١) ط : « إِنْ يَرِسُوًّا لَمْ يَقُمْ فَيَذِبحُ » .

(٢) ط : « خَلْقَةُ الْمُسْتَفْتِحِ » .

(٣) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَفِي ط : « أَبُو خِدَانَةَ » . وَأَبُو حُزَابَةَ هُوَ الْوَلِيدُ ابْنُ حَنِيفَةَ ، أَحَدُ بَنِي دُهَيْمَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . بِدَوَى حَضَرَ وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ ثُمَّ اكْتَتَبَ فِي الدِّيْوَانِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ إِلَى سَجِسْتَانَ فَكَانَ بِهَا مَدَّةً وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَمَّا خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأُظْهِرَ قَتْلَ مَعِهِ . وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِزًا فَصِيحًا خَبِيثَ اللِّسَانِ هَجَاءً . انْظُرِ الْأَغَانِي ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ وَالْمَشْتَبِهَ لِلذَّهَبِيِّ ١٦٠ لَيْدُنَ وَتَاجَ الْعُرُوسِ (حُزْب) .

(٤) الْفِدَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدَلِ . وَفِي ل : « أَنْتَ لِقَبْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ » وَفِي الْأَغَانِي ١٩ : ١٥٣ : « أَنْتَ لِعَيْنِ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ » . وَابْنُ عَلِيٍّ هَذَا هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ وَفِي سَجِسْتَانَ بَعْدَ طَلْحَةَ . وَطَلْحَةُ هَذَا هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلْفٍ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى سَجِسْتَانَ قَبْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَكَانَ طَلْحَةُ يُجِبُّوهُ ابْنَ حُزَابَةَ ، وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ شَحِيحًا مَسْكًا .

(٥) الْفَاءُ ، كَسْحَابُ : الْخَسِيسُ الْخَفِيرُ . وَفِي ل : « الْفَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْحَبْلُ : غَمٌّ صَغِيرٌ لَا تَكْبُرُ أَوْ قَصَارُ الْمَزْ وَدَمَامَهَا . وَفِي ط « الْدَعَاءُ » مُوَضَّعٌ « الرِّعَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) الزَّيْنِيَّةُ : كَلَابُ قَصِيرَةُ الْقَوَائِمِ . وَفِي الْأَغَانِي « بَنُو عَلِيٍّ » . . . الْخ :

(٨) كَذَا فِي ل وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ ٤ : ٣٥ بِمَعْنَى خَلْقِهِ غَيْرَ جَمِيلٍ . وَفِي ط : « بَرَاهُ اللَّهُ » .

وقال أبو ذؤباب السعدي^(١) في هَوَانِ الْكَلْبِ :

لِكَيْسَرِي كَانَ أَعْقَلَ مِنْ تَمِيمٍ لِيَالِيَ فَرٍّ مِنْ أَرْضِ الضَّبَابِ
وَأَسْكَنَ أَهْلَهُ بِلَادَ رَيْفٍ وَأَشْجَارِ وَأَنْهَارِ عِذَابِ
فَصَارَ بَنُو بَنِيهِ لَهَا مُلُوكًا وَصَرْنَا نَحْنُ أَمْثَالَ الْكِلَابِ
فَلَا رَحِمَ الْإِلَهُ صَدَى تَمِيمٍ فَقَدْ أَزْرَى بَنَا فِي كُلِّ بَابِ
وَأَرَادَ اللَّعِينُ^(٢) هَجَاءَ جَرِيرٍ - وَجَرِيرٌ مِنْ بَنِي كُليبٍ - فَاشْتَقَّ

هَجَاءَهُ مِنْ نَسَبِهِ فَقَالَ :

سَأَفْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كُليبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَبِيثٌ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ
كِلَا الْعَبْدِينَ - قَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّ لَتِيمِ الْأَصْلِ مِنْ عَمٍّ وَخَالِ
فَمَا بُقِيًّا عَلَى تَرْكُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ هُمْدَانَ ، يُقَالُ لَهُ الضُّحَّاكُ بْنُ سَعْدٍ^(٣) ، يَهْجُو مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ

«بَنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَاشْتَقَّ لَهُ اسْمًا مِنَ الْكَلْبِ فَجَعَلَهُ كَلْبًا فَقَالَ :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمَرْوَانَ فَقُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومِ ظَالِمًا هُمُّهُ الْهَرَبُ^(٤)
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكُ الْمَلِكُ إِنْ قَبِلْتُ مِنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا أَدَبُ^(٥)

(١) أبو ذؤباب السعدي : صحابي شاعر ، من سعد العشيرة . له في إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم الذال من باب الكتي وهو في ط : « ابن دب » وفي ل : « ابن دواب » . ولعل صوابها ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ في الحيوان ١٠١ : ٦ ونسبها في الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زعمة المنقرى ، من بني منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض ما بي جل مأكله إلا تنفجه عندي إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وجبوته حتى أقول ليل الضيف قد ولدا

(٣) نسبة المسكري في ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن التماسي .

(٤) ط : « عاد الظلم ظلالا » . والظلم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبري ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَأَسَهُ الحِلْمَ فِرْعَوْنَ العَذَابِ ، وإن يُطَلِّبَ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ
وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللُّوم : ١٢٣

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ أَلَامٌ مِنْ كَلْبٍ
وكذلك قول الأسود بن المنذر ^(١) ، فَإِنَّهُ قَالَ :

فَإِنْ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقِيَابِ ^(٢)
يُهِنُ سَرَاتِكُمْ جَاهِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
وقال سحيمة بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبِيٍّ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ
وقال الشَّجْرَانِيُّ فِي ذَلِكَ :

مِنْ مَنَزَلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ
زُوجَتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأْتُ جَرَّتِي
أُمَّ هِلَالٍ أَبْشِرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشِرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَقِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحِرْص والإلحاح .
ويقال : « فلان أسألُ مِنْ فُلْحَسٍ » . وفُلْحَسٌ : رجلٌ من بني شيبان ^(٣) كان
حريصاً رغبياً ، ومُلْحِفاً مُلِحًا . وكلُّ طُفْلٍ فهو عندهم فُلْحَسٌ .
والأرشم : ^(٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمَّم
الطعام ويتَّبِع مواضعه . قال جريرٌ في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارَةَ يعمر بن مالك بن حنظلة
في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بآن » ، وقبلة :

فأبلغ لديك أبا مالك « على نأيتها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الميداني (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمَّم الطعام ويحرص عليه .

لَقَى حَلْتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ يَتْنٍ لِلضَّيَافَةِ أَرْشَمًا^(١)
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ^(٢) :

وَبَنُو الْهُجَيْمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ تُطُّ الْأَحَى مُتَشَابَهُ الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانٍ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ
مَتَابُطِينَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَانُ الْخُدُودِ لِرِيحِ كُلِّ دُخَانٍ^(٣)
وقال سَهْمٌ بْنُ جَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَتَلُّ الْكِلا ب لَا يُحْسِنُ الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرًا
وَأَمَّا مُمِيرٌ فَتَلُّ الْبِغَا لَ أَشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا^(٤)
وَأَمَّا هَلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءَ وَعِطَّرَا كَثِيرَا^(٥) ١٢٤

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعى وابنه جندل ، فقال له
ابنه جندل : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ الْكُلْبِيِّ ، فإلى متى ؟ !
وضرب بغلته ، فضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : وَاللَّهِ لَا تُثْقِلَنَّ

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « قى » محرفا . والبيت على الصواب فى اللسان
(ضيف ، رشم ، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقطصاب ٣٤٦ . وقد نسب
فى كل تلك إلى البعث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدىء هذا البيت والذي قبله فى ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة
« وقال » وفى ط : « وأما تميم فتل البغال » .

(٥) السكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبداه فى ل « ملايا » وهو
كسحاب عطر أو الزعفران . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتِه ما يريد ، فلما كان مع الصبح
انفتح له القولُ فقال :

فغَضَّ الطرفَ إنَّكَ من مُمِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو جُعِلت فِقَاحُ بنى مُمِيرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذا لَذَابا
ثم وقف في موقفه ، فلما مرَّ به جندلٌ قبض على عنان فرسه ، فأنشده
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجنسُدُ ما تقول بنو مُمِيرٍ إذا ما الأيرُ في استِ أبليك غابا
قال : فأدبَر وهو يقول : يقولون والله شرًّا^(١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبُحِ الوجه - :
سَفَرْتُ فقلْتُ لها هَجْجٌ فَتَبَرَّقَعْتُ فذكرتُ حينَ تَبَرَّقَعْتَ ضَبَّارًا^(٢)
وضَبَّار : اسم كلب له^(٣) .

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وأراد سفرًا : إنَّ لسكَلٌ رُفْقَةً كَلْبًا ، فلا
تسكنُ كلبَ أصحابِكَ .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىَّ كلِّهم الطاعن »^(٤) . ومن الأمثال
« وقع الكلبُ على الذئب ليأخذَ منه [مثل] ما أخذ » . ومن أمثالهم :

- (١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إل هنا .
(٢) في الصحاح : « هج مخفف زجر الكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في
(هجج وهجر) برواية « هبار » ، وكذلك في اللسان (هجر) ولكن في (هجج
وضبر) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .
(٣) ل : « لهم » .
(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الطاعن » . وانظر أمثال
الميداني ١ : ١٨٣ والتبثيل والمخاضرة ٣٥٥ .

« السكّابَ على البقر^(١) ». ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلها دلتَ برَاقِشُ ». وبراقيش : كلبة قومٍ نبحت على جيشٍ مروا ليلاً وهم لا يشعرون بالحيّ ، فاستباحوهم واستدلّوا على مواضعهم بنباحها .
قال الشاعر :

ألم ترَ أنّ سيّد آلِ ثورٍ نبّانة عضّه كلبٌ فانا^(٢)

(قتييل السكبش و قتييل العنز)

وقال صاحب السكّاب : قد يموت الناسُ بكلِّ شيء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبّض ولا نبّض^(٣) . وقال عرفة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنزٌ بالمربذ فوات - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذ بان^(٤) مني معشري مكان قتييل العنز أن أتكلّمًا

فيا ابن قتييل العنز هل أنت ثائرٌ بزُرعة تيساً في الزُريرة أزمانا^(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى^(٦) :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضربِ في طلب العُرفِ إلى السكّابِ

(١) في الأصل : « السكّاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للدميري في حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهري ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بنابه عضه كلب فانا

(٣) في القاموس : ما به حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .

(٥) الأزمن : ذو الزئمة ، وهي هنة معلقة في حلقة تحت الحية . وفي ط « أزمانا » .

(٦) أبو الهول الخيمري شاعر مقل له شمر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم في

الفهرست ١٦٣ ليسك و ٢٣٢ مصر . . وفي ط « أبو الغول » محرفاً . والشعر في

العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق في الأوراق للصولي أخبار الشعراء

قد وَقَّحَ السَّبُّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلْسَّبِّ
 إِذَا شَكَا صَبًّا إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَا لِي وَلِلصَّبِّ
 أَغْنِي فَنِي يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ^(١)
 قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الْكِلَابُ أُمَثْلُهَا ؟ قال : لا .
 قلت : ولم قال :

وَحِثُّ هِجَاءِهِمْ لَمَّا تَوَاصَوْا
 كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ بُقْعِ الْكِلابِ^(٢) ؟
 قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :
 « كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ سُودِ الْكِلابِ » .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْمَهْجَاءَ قَالَ :
 كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرِ
 تَحْوِضُ غُمُورِهِ بُقْعُ الْكِلابِ^(٣)
 ويدل على ذلك قول الجَدِّي^(٤) :

لَعَمْرِي لَجُوءٌ مِنْ جِوَاءِ سُوقِيَّةٍ
 أُحِبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ
 مِنْ الْجَوْسَقِ الْمَلْعُونِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبِي
 يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَقُلْتُ لَطَائِمًا
 أَسَافُلُهُ مَيْثُ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعُ
 وَيَصْبِحَ مَنًّا وَهُوَ مَرَأًى وَمَسْمَعُ
 عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي الْمَنِيَّةِ يَلْمَعُ
 صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

(١) ل : « . . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وخفت هجئهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتضره خالد بن عبد الله القمري لحشام بن عبد الملك .

وفي ط : « بالنازل » وهو تحريف . والغمر : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .

وفي ط : « غمورة » . وفي ل : « غموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) . والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٧٨ .

(٤) نسبه ياقوت إلى الفطيمش النضبي في رسم (الجوسق) .

فليت عطائي كان قُصِمَ بَيْنَهُمْ وكان لي الصَّانَ والحزنُ أجمعُ^(١)
 وكان لهم أجرى هنيئاً وأصبحتُ بى البازلُ الكوماءُ بالرمْلِ تَضْبَعُ
 أأجعلُ نفسي عدلَ عِلجٍ كَأَمَّا يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبَقَ
 قال : فقد بينَ كما ترى أنَّ الأبقَعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتُ أسداً على بُقْعِ الكلابِ فقد

أَمسى شَرِيدهُمْ في الأرضِ فُلاَّ^(٢)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغر شأن من هزموا

١٢٦ فقد صغر شأن الممدوح . بل إنما قال « أرسلتُ أسداً على سود الكلابِ » .

قال : وإنما جاء الحديثُ في قتلِ سود الكلابِ ، لأنَّ عُقْرَهَا أَكْثَرُ ما تكون
 سوداً ، وذلك من غلبة أنفسها .

وليس في الأرض حيوانٌ من بقرٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وإنسان ،

إلاَّ والسودُ أشدُّها أسراً وعَصَباً^(٣) ، وأظهرها قُوَّةً وصبراً .

وقال أبو سعد الخزومي^(٤) في هجائه دعبلاً :

(١) ط : « وكان لي الصَّان » .

(٢) في اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . ولأخفش في هذه
 الكلمة بحث جيد في اللسان .

(٣) في لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومي من عرف بكنيته ؛ وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
 وقد عاصر دعبلاً وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعت الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٧
 بأنه دعي بنى مخزوم . وفي ط : « أبو سعيد » والصواب ماني ل . ويؤيد ذلك قول
 ابن أبي الشيص فيه (الأغاني ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتي شاعر يعرف بالكنية لا بالوالد

يَا ثَابِتَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهَا دُولٌ وَأَخْرَجَهَا بِأَنَّ تَنْقَلَا
هَلَا جَعَلْتَ لَهَا كَحُرْمَةِ دِعْبِلٍ فِي اسْتِ [أَمْ] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دِعْبِلَا

[وَقَالَ ابْنُ نُوْفَلٍ] :

وَجِئْتَ عَلَى قَصْوَاءَ تَنْقُلُ سَوَاءً إِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سَوَاءٍ لَا تَهَابُهَا (١)
وَتَرْعَمُ أَنْ لَمْ تَخْزِ سَلْمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتَ بَعْدَ الرِّجَالِ كَلَابُهَا (٢)

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ يَهْجُو جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَثْقِ (٣)
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِرٍّ (٤)

وَقَالَ أَبُو الشَّامْتَمَقِ :

أَهْلُ جَوْدٍ وَنَائِلٍ وَفَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِالنَّدَى وَالْعَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَدْنَى مَكَانِي وَتَلَقَّيْتُ بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ
لَا كَيْشَلٍ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّؤْلُؤِ مِثْلَ شَبِيهِ الْكُلَيْبَةِ الْقَلَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَعْرَضَ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَحْجَةٍ سُوسِيَّةِ (٥)
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرٌ بِغَلٍّ غَابَ فِي دُبُرِ بَغْلَةٍ مِصْرِيَّةِ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا قُولا لِسِرَّانِ الْخَازِي وَوَجْهَ الْكَلْبِ وَالتَّيْسِ الضَّرُوطِ (٦)

(١) ط : « جئيت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .

(٤) ل : « خير » .

(٥) ط : « سوسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لسرّان » .

له بطنٌ يَصُلُّ الفيلُ فيه ودُبْرٌ مثلُ راقود النشوط^(١)
 وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدورِ سفينةٍ في بَشَقِ رُوط^(٢)
 وحيةٌ حائلٌ من باب قلب^(٣) موصلةُ الجوانبِ بالحيوطِ
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مرقعةٌ جوانبُهُ يَقُوطِ^(٤)
 إِذَا نَهَضَ الْكَرَامُ إِلَى الْمَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِي هَبُوطِ
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يارازقَ الكلبِ والخزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهما دويّة^(٥)
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتِه حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيه^(٦)
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصلّتان العبدى^(٧) :
 أقول لها والدَّمْعُ يغسلُ كحلّها متى كان حُكْمُ اللَّهِ فِي كَرَبِ النَّخْلِ
 فأجابه الصلّتان فقال :
 تُعَيِّرُنَا أَنْ كَانَتِ النَّخْلُ مَالَنَا وَوَدَّ أَبُوكَ الْكَلْبُ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ
 يَعَيِّرُهُ جَرِيرٌ بِأَنَّهُ كَانَ هُوَ وَأَبُوهُ مِنْ أَحْبَابِ النَّخْلِ^(٨) .

-
- (١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسع داخله بالقار . والنشوط : سمك يقر
 في ماء وملح .
 (٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبشق
 النهر : كسر شطه لينبتق الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشق .
 (٣) ل : « قلبا » .
 (٤) ط : « يقوط » وقد كتب هذا البيت تالياً للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه
 سابقاً له كما في ل .
 (٥) ط : « في يهما دويّة » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .
 (٦) ل : « حتى يقر » .
 (٧) ل : « قال الصلّتان العبدى يهجو جريراً » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزائنة
 ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .
 (٨) ل : « يعير جريراً وأباه بأنهما كانا أحباب نخل » ، وهو خطأ انظر إلى
 المراجع السابقة .

وقال وضاح النين :

وأَكمَّ السَّرَّ غُضباناً وفي سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ
وأثرُكُ القولَ عن علمٍ ومقدرةٍ حتى يكون لذلك النَجْدُ مُطْلَعٌ ^(١)
لأقوَى قُوَّةِ الراعى ركائبه يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبعُ ^(٢)
ولا العسيفِ الذى تشدُّ عُقبتهُ حتى يُثوبَ وبقى نعلُه قطعُ ^(٣)

وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة ، وأبوه ^(٤) من سبي دابق وكاتب.

زهير ، وصديق ثمامة ، يهجو أبا سعد ^(٥) دعى بنى مخزوم ، وبعد أن لقي منه مالتى :

فعلتُ نزارُ بك الذى اسأهلتَه نغيًا وضربًا
فهجوتَ قحطانا لأه جؤهم مكايدهُ وإربًا ^(١)
وأردتُ كما تشقى بهجائهم منهم فتربًا
ووثقتُ أنك ما سببتَ ، حماك لؤمك أن تُسبًا
كالكاب إن ينبح فليدس جوابه إلا أخسَ كلبًا ^(٢)
خفضُ عليك وقرمكا نك لا تطفُ شرقًا وغربًا
واكشِفْ قناعَ أيلك فالآباءُ ليس تُنال غصبا

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .

(٢) الربع : ولد الناقة فى الربع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحامسة : ١ : ٢٦١ . والشعر فى الحامسة غير منسوب .

(٣) العسيف : اليمد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الغلظ (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى الثوبة . وفى ط :

« وبقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحامسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل ، والصواب إثباتها كما فى الأغاني ٦ : ١٤ . وانظر

البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وأبق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نبت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

١٢٨

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدْتُ كَطْعَمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكْتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدٍ لِي الشَّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ طَالَ الشَّرَى فِدَاعِي
فوصفه كما ترى أنه يبدي له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وقال راشد بن شهاب البشكري :

خَلَسْتُ إِذَا هَبَتْ شَمَالُ عَرِيَّةٍ بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلًا من نعال الكرام (١) :
إِذَا طُرِحَتْ لَمْ يَطَّبِ الْكَلْبُ رِيحَهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُثِمَّتْ
وقال الأعمى في بعض أضيافه (٢) ، يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال
ابن الأعرابي : إِنَّمَا وَصَفْتُ تَيْسًا :

فَقُلْتُ لَعَبْدِي أَقْتُلَا دَاءَ بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لَهْنٌ زَوَائِدُ (٣)
فَجَاءَا بِخِرْشَاوَى شَعِيرَ عَائِمَا كَرَادِيسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدٍ
وقال خُلْدَبَعْسُ عَيْنِينَ (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيَّرْتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَالُنَا وَوَدَّ أَبُوكَ الْكَلْبُ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ

(١) البغدادى كلام في البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولينشار مثل هذا المعنى إذ يقول :
إِذَا وَضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضُوعُ مَسْكَ مَا أَصَابَتْ وَعَبْرًا
وروايته في اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ما قبله » .
(٢) انظر ترجمة الأعمى ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم (حللمات) سبعة أبيات من قصيدة الأعمى هذه ، اثنان منها مضموم القافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :
« وَأَعْفَاجِهِ الْعُظْمَى ذَوَاتِ الزَّوَائِدِ »

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازته زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دَعْبِل بن عَلِيّ :

ولو يُرْزَقُ النَّاسُ عَنْ حِمْلَةٍ لَمَا نَالَ كَفْأٌ مِنَ التُّرْبَةِ
ولو يَشْرَبُ الْمَاءُ أَهْلُ الْعَفَا ف لَمَا نَالَ مِنْ مَائِهِمْ شَرْبَةً
ولكنَّهُ رَزَقُ مَنْ رَزَقَهُ يَعْمُ بِهِ الْكَلْبُ وَالْكَلْبَةُ

بَاب

(ذَكَرَ مِنْ هُجَيِّ بَأْ كُلِّ لَحْمٍ الْكَلَابِ وَلَحْمِ النَّاسِ)

قال سالم بن دَارَةَ الْعُظْفَانِيُّ ^(١) :

يَافَقَعَسِيَّ لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَهُ لَوْ خَافَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ
فَا أَكَلْتَ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ .

وقال الفرزدق في ذلك :

إِذَا أُسْدِيٌّ جَاعَ يَوْمًا بِلَدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكَلُهُ

وقال مساور بن هند :

إِذَا أُسْدِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلُومٍ فِي الْغَلَامِ

يُخْرِسُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأُخْبَثِ مَا يُجِدْنَ مِنَ الطَّعَامِ ^(٢)

رَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْقِيَاتٍ بِرَأْسِهَا عَلَى وَضَمِ الشَّامِ ^(٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أَنَّ اللعين لَمَّا قَرَأَهُمْ كَلْبًا وَلَمْ يَقْرِهُمْ
تَيْسًا ، وَأَنَّ الصَّوَابَ خِلَافُ مَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ .

وقال مُسَاوِرُ بْنُ هِنْدٍ أَيْضًا :

بَنِي أُسْدٍ أَنْ تُثْمَلَ الْعَامَ فَفَقَعَسُ فِهَذَا إِذْنُ دَهْرِ الْكَلَابِ وَعَامُهَا

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ،
وكان رجلاً هجاء ، وله ترجمة مسبية في الخزائن ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء
١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ما قبله والبخلاء ١٩٧

(٣) وضَمِ الشَّامِ : مثل القلة والمون . وفيه ط : « الشَّامِ » وصوابه قول والبخلاء ١٩٧ .

وقال شَرِيح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدي ^(١) :
وعيرتنا تمر العراق وبرّه وزادك أير الكلب شيطه الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الديري ^(٢) في أكلهم لحوم الناس :

إذا ماضيت يوماً فقسيّاً فلا تطعم له أبداً طعابا
فإنّ اللحم إنسان فدعه وخير الزاد ما منع الحرما
وقد هجيت هذيل وأسد وبلعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس ،
قال حسان بن ثابت يذكر هذيل :

إن سرّك العذر صرّفاً لا مزاج له فأت الرجيع وسل عن دار حيان
قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيان
وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل :

وأنتم أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحد بعد ^(٣)
تداعوا له من بين خمس وأربع وقدنصل الأظفار وأنسباً الجلد ^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن رثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزائن ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزائن و ل ، والبيخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدي » وأثبت ما في ل والبيخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدّم » . وفي البيخلاء ١٩٨ : « شخفة بن مخدّم » وفي ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو ما يهجي به . قال : وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء وصوابه في ل والبيخلاء .

وَرَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لِرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ما شكَّد^(١)

وقال الشاعر في ذلك في باهلة :

إِنَّ غَفاقًا أَكَلَتْهُ باهله تَمْشُوا عِظَامَهُ وَكاهله

« وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفاقٍ ثَاكِلَةً »^(٢) .

وهجا شاعر آخر بَلْعَنْبَرٍ ، وهو يَرِيدُ ثُوبَ بَنِ شَحْمَةَ^(٣) ، وكان شريفًا وكان ١٣٠

يقال له مجير الطير . فَأَمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيرى^(٤)

فَعَبَّرَ الشاعِرُ ثُوبَ بَنِ شَحْمَةَ^(٥) بِأَكَلِ الرَّجُلِ العَنْبَرِيِّ^(٥) لَحْمَ المَرأةِ إِلَى أَنْ آتَى

ثُوبُ^(٦) مِنَ الجَبَلِ فَقَالَ :

عَجِلْتُ مَا صَادَكُمْ عِلَاجٌ مِنَ العُشُوقِ وَمِنَ التَّعَاجِ

« حَتَّى أَكَلْتُمْ طِفْلَةً كَالعَاجِ » .

فَلَمَّا عَبَّرَهُ قَالَ ثُوبُ^(٧) :

يَا بِنْتَ عَمِّ مَا أَدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَا تَجُنُّ خَيْثَ الزَّادِ أَضْلَاعِي^(٨)

إِنِّي لَذُو مِرَّةٍ تُحْمَى بِوَادِرِهِ عِنْدَ الصَّيَاحِ يَنْصُلُ السَّيْفِ قَرَارِ

وَمِنْ ظَرِيفِ الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي عَدْنَانَ^(٩) :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ما شكَّد

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفقا » و « أم غفاق » بالعين ، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

ابن شحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجاز الطير فكان لا يشار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ

الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « الفقي » ، وفي البخلاء « يأكل الفقى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سريان ، ط : « لا تجر » ل : « لا يجز » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبه سوداء تفرى بنايها عرافاً من الموتى مِراراً وتكدم^(١)
أُتيح لها كلبٌ فضنتُ بعرقها فهارشها وهي على العرق تعذم^(٢)
فقف على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُدَيْح بن رباح شار الزنجي^(٣) :

مَا بَالُ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ سَبَّنَا أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حَاجِبًا وَعِقْلًا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رفعك
قبرٌ بدُستَر^(٤) فقال شقيق : حين وضعك قبرٌ بالمشقر ، يا ابن قتيل النساء
وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيل^(٥) الكلاب ، وذلك أنه
لجأ في الردة إلى قوم من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبج عليه فخاف أن
يدل على مكانه فقتله فقتل به .

(أمثال أخرى في الكلاب)

قال : والمغرب تقول : « أسرع من لحسة كلب أنفه » . ويقال :

(١) ط : « تفرى بنايها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابها في ل .

(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذلي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله .

ما في رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي الكامل ٤١٥ ليسك « رباح بن سنجي الزنجي » .

وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بدشير » .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوَةٍ » وهى الكلبة ، وجمعها لِعَاءٌ^(١) . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرَقٍ » ، و « نَعِمَ كلبٌ فى بؤسِ أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقعَ فهو عجميٌّ .

وقال الأصمعى عن حماد بن سلمة عن ابنِ أُختِ أبي بلالٍ مرْدَاسٍ ابنِ أُدَيَّةٍ^(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إننا حوّلنا بعد كم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولمّا خرج شمر بن ذى الجوشن [الضَّبَّاني] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أن كلباً أبقعَ يلغُ فى ٩٣١ دماهم ، فأولَ ذلك أن يقتلهم^(٣) شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُتسلخاً برصاً^(٤) .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمُّون الخوارجَ : كلابَ النار^(٥) .

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أدية » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى

الأغاني وجهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأولَ ذلك يقتلهم شر » .

(٤) ل : « متسلخاً برصاً » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١ .

(شعر في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب ^(١) يصِفُه بالسُرعة في الحُضر ،
وبالصَّبْر على طول العَدُو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضَبَعَ وبسَط يديه
ورجله حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشِبَا ^(٢) أظفاره ،
وأنه لا يحتشئ ريحاً مع ما ^(٣) يصيب الكلاب من اللَهْث . فإن كان كما تقولون
فلم وصفت الشعراء الفرسَ وشبّهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ ^(٤) لا يلتفت أحدٌ لِفَتته ^(٥) ؟ !
وقال أبو دُواد الإياديُّ في ذلك :

عن لسان كججثة الورل الأحمر مجَّ الندى عليه العرار ^(٦)
ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة السكلاي ^(٧) :
كأن لسانه ورلٌ عليه بدار مضية مج العرار
وقال امرؤ القيس :

وخدٌ أسيلٌ كالمنسئ وبركة كججؤ هيق دفه قد تمورا

- (١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .
(٢) شبا : جمع شبة : وهي الحد . وفي ط : « بساء » محرفاً .
(٣) ل : « لا يحتشئ ريحاً مع ما » و ط : « لا يحتشئ ريحاً ما » وسويت القول
كما ترى .
(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسئ » وفي ط : « المنسا » .
(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .
(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي
ذبرة مشربة موداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كججثة الورل
الأصفر » ونسب البيت إلى عني بن الرقاع .
(٧) ط : « حماد عجرد السكلاي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب
وهذه الرواية :
كأن لسانه ورل عليه بدار مضية مج العرار
وفي ل : « ندى ومصيه » .

ولم يذكره في شيء . وقال عَقْبَةُ بن سابق :

عريض الخدُّ والجهَّة والصَّهْوَة والجنب

ولم يذكره في شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامعتي مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عَقْبَةُ بن سابق :

ولها بركة كجوجو هَيَق وَلَبَّانُ مَضْرَجٌ بِالْخَضَابِ

ولم يذكره في شيء . وقال خُفَّاف بن ذُدْبَة :

عَبْلُ الذَّرَاعَيْنِ سَلِيمُ الشَّظَا كَالسَّيْدِ يَوْمَ الْقِرَّةِ الصَّارِدِ^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا أَقْبَّ كَتَيْسِ الْحَلْبِ الْغَدَوَانِ^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عَقْبَةُ بن سابق .

١٣٢

وَأَرْسَاغٌ كَأَعْنَاقٍ ظِبَاءٌ أَرْبَعُ غُلْبٍ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الجَعْدِيُّ :

كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وُغُولٍ لَدَى مَشْرَبٍ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لَهَا مِثْلَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكْبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّعْمُ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال أَبُو دُوَاد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف ما في ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : ثبت تعناده الظباء ، يخرج منه شيء شبه بالين إذا قطع . والغدوان :

الشيظ المسرع ، وفي ط : « الغدوان » من العدو ، وهو الجري . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعماتين تُمَايعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ابن الصَّعَيِّ (١) :

بِمَحْنَبٍ مِثْلِ الْعُقَا بِ تَخَالُهُ لِلضُّمْرِ قَدْحَا (٢)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال ربيعة بن جُثَم [النمرى] ، وروى لامرئ القيس (٣) :
وساقانِ كعباهما أصمعا نِ لِحْمِ حَمَاتِيهِمَا مِنْبِتِرُ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى :
كَأَنَّ حَمَاتِيَهُمَا أَرْبَانِ تَقْبَضُتَا خَيْفَةَ الْأَجْدَلِ (٤)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك (٥) :
كَأَنَّ حَمَاتَهَا كَرْدُوسُ فَحْلٍ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال الأعشى :

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ جِدْعٌ سَمًا فَوْقَ النَّخِيلِ مَشْدَبُ
وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْفَوَارِسُ مُعْرَضًا فَتَقُولُ سِرْحَانُ الْغَضَا الْمُتَصَوَّبُ (٦)
أَمَّا إِذَا اسْتَنْدَبْتَهُ فَتَسَوِّقُهُ سَاقٌ يَقْمَصُّهَا وَظِيفٌ أَحْدَبُ

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة في الخزائن ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنَّب : المعوج الساقين . وفى : ط « محنَّب » وليس بشئ .

(٣) جملة « وروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أوله قصيدة منه .

(٤) الخماة : عضلة الساق . وفى ط : « كَأَنَّ حَمَاتِيَهَا » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْفَوَارِسُ مَغْضَا » .

منه وجاعرة كأن حماها لما كشفت الجبل عنه أرنب^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعني^(٢) :

أما إذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استعرضته متمطرا فتقول هذا مثل سرحان الغضا
أما إذا استدبرته فقسوقه ساق قومص الوقع عارية النساء

١٣٣

ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولي تقول مللم ضرب^(٣)
لأم إذا استعرضته ومشى متتابعا ما خاناه عقب
يمشي كمشي نعامة تبع أخرى إذا هي راعها خطب

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أبطالا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدى :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجدع شذبه نني المنجل
أما إذا ما أعرضت فنبيلة ضخم مكان حزامها والمر كل^(٤)
أما إذا تشددت فهي نعامة تنفي سنايكها صلاب الجندل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعامة طول وظيفها وقصر

(١) الجبل : غطاء الفرس . وفي ط : « الجبل » محرفا . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في الخزنة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الثالث على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « صرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت فنعامة »

ساقها وعُرى نسيها^(١) . ومما يشبه من خلقه خلق الأرنب صغر كعبها .
ومما يشبه من خلقه خلق الحمار الوحشي غلظ لحمه ، وظماً فصوصه
وسرائه ، وتمحص عصبه^(٢) ، وتمكن أرساغه ، وعرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إن مما يشبه من خلقه
خلق الكلب هَرَّتْ شدقه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانجدار
قصه^(٣) ، وسبوغ ضلوعه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .
وقال طُفَيْل الغنوي ، يصف الخيل :

تبارى مَراخِها الزَّجاج كَأَنَّها ضِرَاءُ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ^(٤)
وقال طُفَيْل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أَعْطافِهِ ثُوبَ مَارِجٍ وإن يلقى كلب بين لحبيه يَذْهَبِ^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلنا إن تبّعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تقدّمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعني ، فنلتقط^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخي - وهن الممرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج
جمع زنج . أي تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :
يطرد الزنج يبارى ظله بأسيل كالسنان المنتقل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراخيا » . وذلك تحريف . انظر الأخير (٢ : ٨١) .

(٥) المائج : الذي ينزل البئر فيملاؤه الدلو ، والمائج : الذي يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل
« كأن على أعطافها ثوب مانج » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مانج » . وانظر
أدب الكاتب ٨٧ والافتضاب ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فتلتقط » .

وترى السكيت أمامه وكأنه رجل مغاضب ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصُ تَرَّاحٍ إِلَى الصَّرَاخِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَاءِ تَرَّاحٍ لِلْكَلَّابِ (١)

وقد شبهوا بالسكيب كل شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، السكيب ، والمزنوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها

والذي يهيجها فقال :

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا : وَالتَفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخِزِيرُ (٢)

فهلَّا قال : والتف كاب كما قال : والتفَّ ديك !! وقال أبو حيَّة :

[و] تَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَنَّ بَدَفَهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأَظْفَرِ (٣)

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرُوحٍ كَأَنَّ بَدَفَهَا (٤) هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شدَّاد العبَّسي :

وَكَأَنَّما يَنأى بِجَانِبِ دَفِّهَا السُّوْحِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مَوْمٍ (٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا فقد في هذا البيت ذكره المرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزها » ، والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هزج » . وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرَّ جَنِيْبٌ كُلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْقَمْرِ^(١)
وَقَالَ الْمُثَقَّبُ الْعَبْدِيُّ :

فَسَلِّهِمُ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَاْفِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ الْقُبُورِ
وَبِصَادِقَةِ الْوَجِيْفِ كَانَ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِيْنِ^(٢)

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة
بالخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس
يوصف بالخالب ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بنَ حجرٍ
قال في ذلك :

« كَانَ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا »

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلب والحدش والحمش والتظفير ، فلما
أراد أن يفزعها ويثورَها حتى تذهب جافلة في وجهها^(٣) ، أو ناذة ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقَّ المرح والنشاط^(٤) قال :

« وَالتَفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٍ^(٥) »

وقال أبو النجم :

لَوْ جُرَّشْنُ وَسَطُهَا لَمْ تُجْخَلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرِزٍّ مَعْضَلٍ^(٧)
[ويروى : تخفل] . ولو قال أوس :

(١) ط : « اتقاه » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضايات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقة . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدده :

« كَانَ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا »

(٦) ط : « لو جرشن خلقها لم يخجل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وضى به الوجع ، كما في اللسان (رز) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفَّ شَنُّ برجلِها وخنزير *

لسكان جائراً ، لولا يُبْسُ الشَّنُّ وقُحُولُه ، وأنه ليس مما يلتوى على

رجليها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكَلِّمْ بَنَابِيَهْ ظَفَرًا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر

وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَحِلُّ

لِرَجُلٍ [أَنْ] ^(١) يُعْطِيَ عَطِيَّةً وَيَرْجِعَ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطَى وَلَدُهُ .

ومثل الذي يُعْطَى الْعَطِيَّةُ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَثَلُ الْكَلْبِ بِأَكْلٍ ، حَتَّى إِذَا

شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَرْجِعُ فِي هَبْتِهِ إِلَّا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ . وَالْعَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ » :

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أن أبا بكرٍ أمر

بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أُمِّي تَحْتَ أَبِي بَكْرٍ ،

وكان جروهُ لِي تَحْتَ سَرِيرِهِ ^(٣) فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِي ، وَكَلْبِي أَيْضًا ؟ فَقَالَ :

لَا تَقْتُلُوا كَلْبَ ابْنِي ، ثُمَّ أَشَارَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْكَلْبِ - أَيْ خَذُوهُ مِنْ تَحْتَ

السَّرِيرِ - وَأَنَا لَا أَدْرِي ، فَقَتَلَ .

وإسماعيل بن أمية قال : أُمْتُانِ مِنَ الْجَنِّ مُسِيخَتَانِ ، وَهُمَا

السُّكَلَابُ وَالْحَيَّاتُ .

ابن المبارك قال : إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ قَدْرَ نَفْسِهِ صَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ

أَذْلٌ مِنَ الْكَلْبِ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » .

(٣) ط : « تَحْتَ السَّرِيرِ » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمه أنه إذا أُمِنْتَهُ
أكلك ، وإن أجمَعْتَهُ أنكرك . ومن لؤمه اتبَاعَهُ لمن أهانهُ ، وإلفَهُ لمن
أجَاعَهُ ، لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به ^(١) وأشره وأنهم وأحرصُ
وألجُ من أن يذهب بمطعمته ^(٢) ما يذهب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنا لم نجدَه يحرمُ المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَه
الذين ربّوه وتبنّوه ^(٣) إلا كحراسته لمن عرفه ساعة واحدة ، بل لمن أذلّه
وأجَاعَهُ وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسة ، وإنما هو فيه من فضل البذاء
أو الفحش ، وشدة التحرش والتسرّع . وقد قال الشاعر في ذلك :

١٣٦ إذا تخازرتُ وما بي من خَزَرٍ ثم كسرت العين من غير عَوَرٍ ^(٤)

أبْذَى إذا بُذيت من كلبٍ ذَكَرٍ ^(٥) أسودَ قَزَاحٍ يُعوَى في السحر ^(٦)

وإنما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذي ^(٧) يعترى نساء السفلة
من الصخب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جراءة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيّب

(١) ل : « منه » .

(٢) مطعمته : طعمه . وفي ط : « بمطعمه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « العُرف » موضع « العين » .

(٥) أبْذَى ، من البذاء . ط : « أبْذَى إذا بُذيت » صوابه في ل . وانظر الأما

(١ : ٩٦) وأمثال الميداني (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند النعمري (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط : « فراغ » . وفي ط : « تعوى في السحر »

وفي ل : « يَغْضَى في السحر » .

(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفرّج من كل شيء وينبّحه .

والبردون ربما رَمَحَ البردون مبتدئاً ، وقلق وصهل صهيلاً في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوّة يجدها في نفسه على المروح ، وليكنه يكون جباناً ،
فإذا رأى البردون الذى يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلق رَمَحَ . وهذه العلّة تعرض للمجنون ؛ فإنّ المجنون الذى
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنّ
المرّة أوهمته أنه يريد بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه ^(١) بالضرب . وعلى مثل
ذلك يرى بنفسه فى الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذى شهدت أنا من أبى إسحاق بن سيّار النظام ، فإنّنا خرجنا ليلةً
فى بعض طرقات الأبلّة ، وتقدّمته شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب
الرّعاء ، وكره أن يعدو فيغريه ويضربه ^(٢) ، وأنف أيضاً من ذلك — وكان أنفاً
شديد الشكيمة أباء للهزيمة — وكره أن يجلس مخافة أن يشغّر عليه ^(٣) .
أو لعلّه أن يعضّه فيهرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء ^(٤) . فلما جُزنا حدّه
وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم فى كلام له كثير ، يعدّد خصاله المذمومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبّع فاذهب مع السباع ، وعليك
بالبرارى والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنّا سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأ » .

(٢) يضربه : يغريه . وفى الأصل : « ويضربه » .

(٣) فى ط : « يشغّر عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواء » .

ولانتكر قولى وحكايتى عنه بقول ملحون . من قولى « إن كنت
سبع » ولم أقل « إن كنت سبعة » ! .

(إفساد الإعراب لنوادير المولدين)

وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يُفسد
كلام الأعراب ^(١) ؛ لأن سماع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة ^(٢)
وذلك المخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دَخَلَتْ على هذا الأمر - الذى
إنما أضحك بِسُخْفِهِ وبعض كلام العجمية التى فيه ^(٣) - حروف الإعراب
والتحقيق والتثقيب ^(٤) وحوالته إلى صورة ألقاظ الأعراب الفصحاء ،
وأهل المروءة والتجابهة ^(٥) انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته .
ثم قال أبو إسحاق : إن أطمعه اللصُّ بالتهار كسرة خُبِرَ خلاله ،
ودارَ حوله ليلاً . فهو فى هذا الوجه مرتشٍ وآكلٌ سُحْتٌ ؛ وهو مع
ذلك أسمعُ الخلقِ صوتاً ، وأحقُّ الخلقِ يَقْظَةً ونوماً ، ينام النهار كله على
نفس الجأدة ، وعلى مدقِّ الخوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقى طريق ، وعلى
سبيل الحمولة ^(٦) وقد سهر الليل كله بالصياح والصَّخَب ، والنَّصَب
والتَّعب ، والغَيْظ والغضب ، وبالجمى والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .

(٢) ل : « أضحكه » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما فى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيب » والوجه ما فى ل :

(٥) ل : « والتخانة » .

(٦) الجمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بيعٍ وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الحولة »
بالحاء مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطئته دابةٌ فأسوأُ الخلقِ جرَعاً وألَمه
لوماً ، وأكثره نُباحاً وعواءً ، فإن سلم ولم تَطَأْهُ دابةٌ ولا وطئهُ إنسان ،
فليست تَمُّ له السلامة ؛ لأنَّه في حالٍ متوقَّعٍ للبلية . ومتوقَّعُ البليةِ في
بليَّة . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنَّه أسوأُهم
جرَعاً وأقلَّهم صبرا ، ولأنَّه الجاني ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق
الخالية له معرَّضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

وبعد فإنَّ كلَّ خلقٍ فارقَ أخلاقِ النَّاسِ فإنَّه مذموم . والناس ينامون
بالليل الذي جعله الله تعالى سكناً ، وينتشرون بالتهار الذي جعله الله تعالى
لحاجات النَّاسِ^(١) مَسْرَحا .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إنَّ سهره بالليل ونومه بالنهار
خصلَةٌ ملوكيَّةٌ لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك أَلَدٌ لكانت الملوكُ بذلك
أولى . وأمَّا الذي أشرتمُ به من النوم في الطرق الخالية ، وعبثُموه به من
نومه على شوارعِ الطُّرق والسَّككِ العامرة^(٢) وفي الأسواق الجامعة ،
فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشأنِهِ] . ولولا أنَّ الكلبَ يَعْلَمُ ما يَلْقَى من الأحداث
والسُّفهاء وصِبيانِ الكتَّاب ، من رضِّ عظامِهِ بألواحِهِمْ إذا وجدوه نائماً في
طريق خالٍ ليس بمحضرة رجالٍ يُهابون^(٣) ، ومشِيخةٍ يرحمون ويَزجرون
السفهاء ، وأنَّ ذلك لا يعتريه في مجامع الأسواق - لَقَلَّ خلافه عليك ، ولما
رقد في الأسواق . وعلى أنَّ هذا الخلقُ إنَّما يعتري كلاب الحُرَّاس ، وهي

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفي ل : « على مربعات السكك العامرة »

(٣) في الأصل « في طريق ليس خال بمحضرة .. الخ » وكلمة « خال » مزحجة

عن موضعها ،

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فن أخطأ وأظلمُ ممن يكلفُ السباعَ أخلاقَ الناس وعادات
البهائم ! ! وقد علمنا أن سباع الأرض عن آخرها إنما تهيج وتسرح وتلتحمس
المعيشة وتلتاق على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناس بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرك بدء من سكون يكون بهاماً له .
ولولا صرفهم^(٢) التماس الجحام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقت مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لسكانت الطبائع تنقض . فجعلوا النوم بالليل
لضربين : أحدهما لأن الليل إذ كان من طبعه البرد والرُكود والخُثورة ،
كان ذلك أنزع إلى النوم وما دعا إليه ، لأنه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأن الليل موحشٌ مخوف الجوانب من الهوام والسباع ،
ولأن الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ،
والبزور ، والجواهر ، وأخلط العطر ، والبرهارة^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقادتهم طبائعهم وساقطهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما قبل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرهارة : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحريّة

وأهل البصرة لها : البرهارة . أنساب السمعاني ٧١ . وانظر ماسياً في حواشي ٣ : ٤٣٥

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنّها تتصرّف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأمّا ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإنّ^(٢) الملوك لم تجهل فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها يدٌ من الخلوة بالتدبير المستكتم والسرّ المخزون ، جمعت المقدار الفاضل عن اتساع النهار إلى المقدار الذى لابد للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل صدرها صالحاً . فلما طال ذلك عليها أعانها المِبران^(٤) ، وخفّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المُنّة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوام إذا كانت لا تتناول الشراب ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء^(٥) ، وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسرّ وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) ، وقال الراجز :

« اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ » .

وقالوا في المثل : « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ »^(٧) .

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ماقى ل .

(٦) ط : « به باقى التدبير »

(٧) ط : « أنفى للويل » . وانظر أمثال الميداني (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجم تلهى المحزون بالسماع ، وتعلل المريض ، وتشغله
عن التفكير ، حتى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك
قال ابن عسلة الشيباني^(١) :

وسماع مُدجّنةٍ تعلّنا حتى ننامَ تناوَمَ العُجمِ
فصحوت والنمرى يحسبها عمّ السّمكِ وخالة النّجمِ^(٢)

النجم : واحد وجمع ، وإِنما يعنى فى البيت الثرىا . ومدجّنة : يعنى
سحابةٌ دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب — وإذا كان نساء العرب
١٣٩ فى الجملة أعقلَ من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأةٍ منهم إذا كانت مقدّمة .
فيهم^(٣) — فروّوا جميعاً أنّ أمّ تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يَدْنًا ، ولا سقيته
غَيْلاً ولا أبشّه على مآقة » .

فأمّا اليتن فخرج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سُوء ،
ودليل على الفساد . وأمّا سقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبل ، وذلك
فسادٌ شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبق ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

(ما ينبغي للأُم في سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأفة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومه بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفزعة أو اللوعة أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللْ ببعض مايليه ويضحكه ويسره ، حتى يكون نومه على سروره ، فيسرى فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فزع أو غيظ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأُمُّ الجاهلة والمرقصة الخرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثُر منها ذلك الفساد ، وترادفَ ، وأعان الثاني الأوَّل والثالث الثاني حتَّى يخرج الصبيُّ ماثقاً . وفي المثل : « صاحبى مثق وأنا تثق » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرقيق والزَّميل ، وقد استفرغه الضُّجر لطول السفر ^(١) فقلَّبه ملآن ، فأولُّ شيء يكون في ذلك المثق من المكروه لم يحتماه ^(٢) بل يفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ماقاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه الملوک)

فاحتاج حُذَّاق الملوک وأصحابُ العناية التامة ، أن يداووا أنفسهم بالسماع الحسن ، ويشدُّوا من متنيهم بالشراب ، الذى إذا وقع في الجوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرَّك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لا يزال زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مكىال الدم ، زائداً فى الحركة المولدة للسور . هذه صفة الملوك . وعليه
ينوا أمرهم ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أما تركه الاعتراض على اللص الذى أطعمه
أياماً وأحسن إليه مراراً ، فإنما وجب عليه حفظ أهله لإحسانهم إليه ،
وتعاهدهم ^(١) له . فإذا كان عهده ببر اللص أحدث من عهده ببر أهله ^(٢) ،
لم يكلف الكلب النظر فى العواقب ، وموازنة الأمور ^(٣) . والذى أضمر
اللس من البيات غيب قد ستر عنه ؛ وهو لا يدري أجااء ليأخذ أم جاء
ليعطى ، أو هم أمروه أو هو المتكلف لذلك ؛ ولعل أهله أيضاً [أن] يكونوا
قد استحقوا ذلك منه بالضرب والإجاعة ، وبالسب والإهانة .

وأما سماجة الصوت فاليلغ أسمع صوتاً منه ، كذلك الطاووس على
١٤٠ أنهم يتشاءمون به . وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القمارى
والدباسى ، وأصناف الشفانين ^(٤) والوراشين . فأما الأسد والذئب ؛
وابن آوى والخزير ، وجميع الطير والسباع والبهائم فكذلك . وإلّا لك
أن تدم الكلب فى الشئ الذى لا يعم . والناس يقولون : ليس فى الناس
شئ أقل من ثلاثة أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة
الحسنة ؛ ثم الناس بعد مختلطون ممتزجون . وربما كان من الناس بل
كثيراً ماتجده وصوته أقبح من صوت الكلب ، فلم تخصون الكلب
بشيء عامة الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عواؤه من وطء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان ، فجزع

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت
مافى ل ، مع إبدال « بينه » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر برذون :
وهو في هذا الموضع للفرس أشد^(١) مناسبة منه للحمار .
على أن الذئب لا يُذكر بصبر ولا جزع .

(نوادير ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الذئب : حدثني العتبي^(٢) قال : كان في اليونانيين مرور
له نوادر عجيبة ، وكان يسمى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكام يروون له
أكثر من ثمانين نادرة [مامنها] إلا وهي غرة وعين من عيون النوادر :
فمنها أنه كان كلماً خرج من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط
والطهور ، ألقى في أصل باب داره وفي دوارته حجراً ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه^(٤) كلماً رجع من حاجته ، فكان
كلماً رجع^(٥) لم يجد الحجر في موضعه ، ووجد الباب منصفقاً . فكمن
له في بعض الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينما هو في
انتظاره إذ أقبل رجل حتى تناول الحجر ، فلما نحا عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القتي » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالذال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخله ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمُ أَنَّهُ لك . قال : فقد علمتُ أَنَّهُ ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلمُ الناسَ الشعرَ ولا يقول الشعرَ ؟ قال : ديسيموس كالْمِسِّن الذي يشحذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل في السُّوق فقال : أتناكل في السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس في السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاماً غليظاً وسطاً عليه ، وفحشاً في القول ، وتخلَّم عنه فلم يجبه ، فقبل له : مامنك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرايتَ لو رَحِمَكِ حِمَارٌ أَكنتَ رَحْمَهُ ؟ قال : لا . قال : فإن ينيح عليك كلب تنبح^(١) عليه ؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيةَ إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلباً ؛ لأنَّه لا يخلو من شَرَارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنت كلبٌ نَبَّاح ، وما زال ينيح علينا منذُ اليوم ، وكتبُ من هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، وأخسأ كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصُّوف من جَزَّ كلبه » ، و « أجمعُ كلبك يتبعك » ، و « أحبُّ شيء إلى الكلبِ خانقهُ » ، و « سمنُ كلبك يأكلُك »

(١) ل : « فإن نبح عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما قل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة وأخسأ كلباً » .

و « أَجْرَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوَمَلٌ »^(١) ، و « كَالْكَلْبِ يَرِيضُ فِي الْآرِيِّ فَلَا هُوَ بِأَكْلٍ وَلَا يَدَعُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ » .

(براقش)

وفي أمثالهم في الشؤم : « عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَاقِشُ » .
وبراقش : كلبة نبحت على جيش مرؤا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى ، فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم^(٢) .

(الجن والحن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيل المكي عن أبي عطاء العطاردى قال : سمعت ابن عباس يقول : السُّود من الكلاب الجن ، والبُقْع منها الحن . ويقال إنَّ الحنَّ ضَعْفَةُ الجنِّ ، كما أنَّ الجنِّيَّ إذا كفر وظلم وتعدى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإن زاد فهو عَفْرِيت ، فإن زاد فهو عبقري . كما أنَّ الرجل إذا قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع^(٣) ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمَةٌ ، فإن زاد قالوا : أَلْيَسَ^(٤) . فهذا قول أبي عبيدة .

وبعض الناس يزعم أنَّ الحنَّ والجنَّ صِنْفَانِ مُخْتَلِفَانِ ، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى بعض أبواب الملوك ليكتتب في الزَّمْنِي ، فقال في ذلك :
إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمْنِي فَأَيُّ لَزْمِنٍ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَائِهِ مُسْتَسْكِنٌ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتفصيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقا لطيفا لفضل في إكمال المهداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يحجم . . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليث » وهو تحريف .

أَبَيْتُ أَمْوِي فِي شَيَاطِينِ تُرْنٌ مُخْتَلَفٍ نَجَارُهُمْ حِنْ وَجْنٌ

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي غنبة^(١) عن أبي الزبير عن جابر : (٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فتقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهم ذى النكتتين . على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكننا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكنّا نقتلها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوز مسكينة معها كلب وليس قريبا إنسان^(٤) فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسني ، وليس قربي أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر^(٥) : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : فقد صح الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صح الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهم منها ، مع الخبر بأنها من الجن والحن ، وأن أمتين مسختا ، وهما الحيات والكلاب .

(١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .

(٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم . وعن أبي الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتي في ل روى بعد الذي يليه هنا .

(٣) ماعدل : « أنبأنا نافع » . (٤) ط : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفي حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان خطبة إلا أمر بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اقتلوا الكلاب واذبجوا الحمام .

قال : وقال عطاء : في قتل كلب الصيد إذا كان صائداً أربعون درهما ، وفي كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد بأربعين درهما ، وفي كلب الغنم بشاة ، وفي كلب الزرع بفرق من طعام^(٢) ، وفي كلب الدار بفرق من تراب ، حق على القاتل أن يؤديه ، وحق على صاحب الدار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان في مقدار الفرق .
وفي قوله : وحق على صاحب الدار أن يقبضه ، دليل على أنه عقوبة على اتخاذه^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لما لكه . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإمكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكبال ضخيم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهى عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ماورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا صرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجل وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مغورة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

١٤٣ وعن ابن أبي أنيسة^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال : حدثنا هنيذ بن خالد^(٦) الخزازي
قال : انطلقت مع نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيلة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ما عدا ل : « ابن أبي شيبة » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل : ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق
قال : حدثنا هيرة » .

(٦) ط : « حنيرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار . فلما انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلبُ في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاء من عمل فلان شيئا ، كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً في كل يوم .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ كلباً ليسَ بـكَلْبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقص من أجره كلُّ يوم قيراطٌ ، والقيراطُ ^(١) مثلُ جبلٍ أحدٍ » .

يونس عن أبي إسحاق ^(٢) عن مجاهد ^(٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمُّ له تهديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إلى الغنم فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد زلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ، إنَّ الملائكة لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوري عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ الكلاب من الجن ^(٤) وإنَّ الجنَّ من ضَعْفَةِ الجن ، فإذا غَشِيَكُمْ منها شيءٌ فآلِقُوا إليها شيئاً أو اطرُدوه ^(٥) ، فإنَّ لها أنفُسَ سوء .

وهُشَيْم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا يَنهَوْنَنَا عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غلمان ^(٦) إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجمع ، والصواب بالخاء كما في ل .

(٥) كذلك جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل ^(١) فأثارة رجلٌ من الأنصار فقال : أمرت بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنه الناس ، لأن تأويله هذا ليس على وجهه ، ولكن كرهه للفرسان ورجال الحرب ^(٢) اتخاذاً ما يتخذونه الفلاح وأصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهب الفرسان وفي ذُربة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أن الحمام مسنخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعم أن عمر لما ^(٣) أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار بها . فعلى كلاب المدينة في تلك الأيام كثير فيها العقور ^(٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولاية المدينة ربما دمرها على صاحب الحمام ^(٥) إذا خيف قبده

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « ولرجال » .

(٣) في الأصل « لما » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العتر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجدة .

القمار^(١) وظنوا أنه الشرف^(٢) . وذكروا عنه الرمي بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالسك لم تُخرجوا للكلاب من التأويل والمُذَر ، مثل الذي خرجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري^(٣) والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروي بعضهم في الإربانية أنها كانت خيَاطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت . وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامة لها ودليلاً على جنس سرقها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحانة ، وفي سُميل أنه كان عشاراً باليمن^(٤) . وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكاة^(٥) ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين^(٦) وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن الكلاب أمة من الجن مُسخت . والذئب أحق بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنه وحشي وصاحب قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من غير أو شر . وفي ل : « به التشرّف » ، وفي ط : « أنه الشرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدي » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاة : عظام مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري . معجم المعلوم ١٥٥ . وفي ط : « الحداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : التراشي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نهبت عليه ص ١٥٢ . وانظر تأويل يختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدي ، والكلب ألوف وصاحب ديار ، وبه يضرب المثل .
والذئب خنور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناس في الديار .
الكلاب مقام السنابير للفأر ^(١) . والذئب مضرّة كله ، والكلب منافع
فاضلة على مضارّه ، بل هي غالبية عليها وغامرة لها ، وهذه صفة جميع هذه
الأمشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعباد
والولاة والنسك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحترمين
وأصحاب التكلف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك التكبر على ^(٢)
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دور من لا يعصيه ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا
أنه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلا فالتأسف
في جميع أقطار الأرض لا يجمعون على مسالمة أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا عُدّتهم وأبرزوا صفحتهم ^(٣) . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهد عند
قاض بأن في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يرّد بذلك شهادة . بل لو كان اتخذ
الكلاب مأموراً به ، لما كان إلا كذلك .

ولو أنكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغريبان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة ^(٤) ،
وجميع الذئباب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حمار
عزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » وللاو مقحمة .

(٣) ط : « ضجّهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١
والنمار ٣٦٧ .

(ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباباً في دهر الأنبياء ونزول الوحي ، لا يعرض مثلها في غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الأرض على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يترأى في السكك^(١) في صورة سُرَاقَة المُلْدَلِجِي ، وظهر في صورة الشيخ السَّجْدِي . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجلٍ يتبع حماماً طياراً فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » ، فخبرونا عن يتخذ الحمام^(٢) من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين^(٣) ومن بني هاشم إلى من دونهم ، أزعمون أنهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنهم من نجل الشياطين ، أو زعمون أنهم كانوا إنساً فمُسِخُوا بعدُ جِنّاً ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى قول عمر : لَأَنْزَعَنَّ شَيْطَانَهُ مِنْ نُخْرَتِهِ^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة^(٥) : فلما أتاني ما تقولُ تَرَقَّصْتُ شياطينُ رأسي وانتشيتُ من الخمرِ

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصريين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهمة : مقدم الأنف . ط : « نخرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مرة أبو الوجيه العُكْلِي : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »
 قيل له : وأى الشياطين تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمى كل حية شيطانا . وأنشد الأصمعي :

تُلاعِبُ مِنِّي حَضْرَمِي كَأَنَّهُ تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفَرٍ^(١)

وقالت العرب : ما هو إلا شيطان الحماطة . ويقولون : « ما هو إلا شيطان »

يريدون القبح ؛ و « ما هو إلا شيطان » ، يريدون الفطنة وشدة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ما قتلنا إلا شيطاناً برصاً^(٢)

١٤٦ لأن الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان . قال طفيل الغنوي :

« وشيطان إذ يدعوهم ويثوب^(٣) » .

وقال ابن ميادة :

فأما أتانِي ما تقول محاربُ تَغْنَّتْ شَيْطَانِي^(٤) وَجُنَّ جُنُونُهَا

وقال الراجز :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ حَدِيثَ السِّنِّ وَكَانَ فِي الْعَيْنِ نُبُوٌّ عٌ

فإنَّ شَيْطَانِي كَبِيرُ الْجَنِّ

وقال أبو النجم :

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَنْتِي وَشَيْطَانِي ذَكَرُ

وهذا كله [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَةَ :

أَتَانِي وَأَهْلِي بِاللَّدْمَاحِ فَعَمْرَةَ « سَبَّ عُويْفٍ اللَّوْمِ حَيَّ بْنِي بَذَرٍ^(٥) »

(١) تعج : تلوى . وفي ط : « تمنع » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما في ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخذواء . وصدر البيت كما في اللسان (شطن ، شيط ، غذا) :

« وقد منت الخذواء منا عليهم » .

(٤) ط : « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرماح » ل : « بالدماح » . وانظر ياقوت (دماح ، غمرة) . ل : « غي بني بذر » .

فلما أتاني ما يقول ترقصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

(خرافة العذرى)

وفد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسناد له يرفعه قال : خرافة رجل من بنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأة من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وخرافة حق » .

(حديث عمر مع الذي استهوته الجن)

ورويتم أن شريك بن خناسة دخل الجنة وخرج منها ومعه ورقة من ورقها ، (١) وأن عمر سأل الرجل المفقود الذي استهوته الجن فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : القول والرمة . (٣) وسأل عن شراهم فقال : الجدف (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعق وأخوبا
لكالثور والجنى يضرب ظهره (٦) وما ذنبه أن عافت الماء مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البير والبول والرمة » .

(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لا يخلج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .
وقط : « الجدف » وهو تحريف .

(٥) ط : س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أن الجنَّ خنقت حربَ بن أمية ، وخنقت مرداسَ بن أبي عامر ، وخنقت الغريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عباد ، واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات ^(١) أقوياء على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردُّ تأويل الحديث ^(٢) المشهور إلى أهوائكم . وقد ١٤٧ عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقننى كلباً ليس بكلِّب زرع ولا ضرع ولا قنص فقد أثم » ^(٣) . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع والضرع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضرع إلا ليحرسَ الماشية وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طُروق الأسد والنمر والذئب وجميع ما يقتات اللحان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويهجهج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوافى إليها ^(٤) من يذود عنها ، إذ ليس في هذا القياس أنا متى وجدنا دهرأ تكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السراق ، وتظهر فيه الثقوب ، ويشيع فيه التسلق ، ممن إذا أفضى إلى منزل القوم لم يرض إلا بالحرية ^(٥) ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريد حتى يمرَّ على النساء مكشفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يدٍ ألا يرضى أن يتوعد بذبح الأولاد [و] أن يتق بالمال ، ^(٦) حتى يذبح ،

(١) ل : « ملاء بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التزيل والحديث » والصواب في ل .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحرية » .

(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسكن شيئاً أو أمن قليلاً ، أن يركب الحرّم بالسّوءة العظمى وبالتى لاشوى لها ^(١) . فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصرين ^(٢) يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصرين ^(٣) لا يرين ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمساكن كثيرة من يستقى ويتحوب ^(٤) للنقب والتسلق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين ^(٥) والحياطة ، وأيهما أشبه بالتغيرير والإضاعة : اتخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة السراق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أننا لو حللنا ^(٥) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس ^(٦) ، وبين اتخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمتنع كل محروس من إعطائهم ^(٧) تلك الأجرة ، ولوجد للصوص ذلك من أعظم الغنم وأجود القرض ^(٨) . أو ما تعلمون أن هذا الحرّم ، وهذه الحرمات ^(٩) وهذه العقائل من الأموال ، أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من حفظ الغنم وحرّم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لا يجتمع على قطع واحد ، والذى يخاف من الذئب السلة والخليفة ^(١٠) ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لا تخفى .

(٢) ط : « المصرين » . وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرية .

(٧) فى الأصل : « إعطائه » والتفسير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « القرض » .

(٩) ط : « الحرمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨٠ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن مُجِب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمَّ يجالدون دون ذلك ^(١) بسيف الهذد وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَوْلَا ^(٢) أنهم قد أحسُّوا من أنفسهم الجراءة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنَّ قلوبهم أشدُّ من قلوب الأسد لما خَرَجُوا ، على أنَّ جميع الخلق يظالبونهم ، وعلى أنَّ السلطان لم يُؤَلَّ ^(٣) إلَّا لمكانهم . و [الكلاب لم تُتَّخَذْ إلَّا لـ] لِإِنذارِ بهم ، وعلى أنهم إن أنذرَ بهم قاتلوا قتالَ من لا ينجيهِ إلَّا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد ^(٤) وكان أكثرُ كلابها عقورا ، وأكثرُ فتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامير . والكلبُ العقورُ والكلبُ السكَبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكَبُ والجنون لأُمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وَجُهَاُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أنَّ آباءها وأمهاتها ^(٥) كانت تنفُخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسب أنَّ آباءها

(١) ط : « عل ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يؤلم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « آباها وأمهاتها » والوجه ما في ل .

وَأَمَّهَاتِهَا قَدْ كُنَّ يَعْرِفْنَ فَصُلَّ (١) مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ ، وَأَهْنِ اعْتَقَدْنَ
عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَى تَقْصِيرٍ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنْ مُعَانَدَةٍ بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ
حَتَّى فَعَلْنَ ذَلِكَ - كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ نَزِرَ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ
تَدْعُوا أَنَّ هَذِهِ الَّتِي نَقْتُلُهَا هِيَ تِلْكَ الْجَاهِدَةُ لِلنَّبْوَةِ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرَّبُوبِيَّةِ ،
وَأَنَّهَا لَا تَتَنَاكَحُ وَلَا تَتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ (٢) أَنْ تَقْتُلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا
مِنْ طَرِيقِ الْحَنَةِ وَالتَّعَبُّدِ (٣) وَإِمَّا إِذَا (٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَضَى عَلَى
جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ الْمَجْرَى عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أَجْرَى مَوْتَ
جَمِيعِ الْإِنْسَانِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ فَعَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ،
عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا
فَتَرَكَ النَّاسُ الْمُعَلَّةُ وَرَوَوْا الْخَبَرَ (٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَلِ ، مَجْرَدًا غَيْرَ مُضْمَنٍ (٦) .
وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخَرَ السَّكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوَّلَهُ ، وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا السَّكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ دَارَ بَيْنِهِمْ
وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ سَائِعٌ (٧) غَيْرَ مُسْتَنَكَّرٍ وَلَا مُدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فضل » .

(٢) ل : « في أيدي الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تعريف .

(٦) ط : « غير مبرز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تعريف ماقى ط .

وقد رويتم [في الفواسق ما قد رويتم في ^(١) الحية والحدأة والعقرب
والفأرة والغراب ، ورويتم] في الكلب العقور ، وكيف يُقتلَن ^(٢) في الحِل
والحرَم . فإن كنتم فُقهاء فقد علمتم أنَّ تسمية الغراب بالفِسق ، والفأرة
١٤٩ بالفُوسقة ؛ أنَّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق ^(٣) ، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ^(٤) فلا يقربن مُصلانا » وهو على غير
قوله عز وجل ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعض الرُّجَّاز
وذكر ذنباً :

أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذنبُ وَسْطُ غَنَمِي يَعيثُ وَصَحْتُ بِالْغَائِطِ يا خَبِيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخط
في القرطاس ، وإن اختلفت أما كنه ودلالته . فإذا كان كذلك فإنما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام .
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما قل ل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، والمذئب والأسد ، على معنى ينظم معنيين^(١) : أحدهما الامتحان والتعبّد بفكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العصا لا تُغنى فيه على جهة الدّفع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمّر بالقصد إلى قتله ، وإنما الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره^(٢) . وقد أمرنا بالقصد إلى قتل الحيّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛ لأنّ جنسها الجنسُ المتلف متى همّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغى بالسيف إلّا وهو مقبلٌ غيرٌ مدبر ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما يُقتل الكافرٌ مقبلاً ومدبراً ؛ إلّا أنّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان^(٣) والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن بحبسها^(٤) والاحتياط لمنعها ، دون قتلها . وإذا ولّى الباغى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يؤنّس منه التّزوّع . وسبيل الأحناسر والسّباع وذوات السموم من الهمج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيح لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « معنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناباتها علينا الخلدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان
قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ السكّاب والحكّاءِ
وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذى كنّا كتبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) مَن يدعى علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافات وهذه الفطن
الصغار ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشَّنَقْنَقُ والشَّيْصَبَانُ^(٢) وتنكوير^(٣) ودركاذب^(٤)
ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق العَرِيض^(٥) ؟ ومن هاتف سعد^(٦) ؟

-
- (١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « الترييع والتدوير » .
(٢) الشَّنَقْنَق والشَّيْصَبَان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ
في الجزء السادس . وانظر التمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » بحرفا .
(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .
(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاذاب » .
(٥) الفريض هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولاهه لثريا صاحبة عمر
ابن أبي ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالكامل ، لمعرفة الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ١٥ و زعموا
أن الجن قتله ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين فلم نخط قواده

وخبّرنا عن بني أقيش^(١) وعن بني لبني ، ومن زَوْجُها ؟ وعن بني غَزْوان
ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزُوبة^(٢) ، والميدعان^(٣) ، وعن النّقار ذى الرقبة^(٤)
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم^(٥) ، وعن أطيّقس اسم كلب
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لانتبج من سمّاه^(٦) ؟ وأين
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ في الفأر والقرد والخنزير
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّي ، أنهنّ كلّهنّ مِسَخ [وكيف خُصّصت
هذه بالمِسَخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟
وكيف صارت الطّبَاءُ ماشيّة الجنّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّر كلّ شيء
إلا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشت من ضربتين^(٧) ؟ ولم صارت
الأرانب والكلاب والنّعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا
السّواحر ؟ وبأى شيء زوّج أهلُ السّعلة ابن يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على يد حرمي

(١) ط : « ابن أقيش ! » وينو أقيش : حى من الجن .

(٢) زُوبة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مرّدا من قوارير التيجان ١٦١ . وانظر ٢٣١ : ٦ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النّقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعلبى فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبيصرة ،
وقد عجن دواء أصفر لكل ماثرب له ، فكان يستشفّ به كل مبرود ومحرور ،
فصار مثلاً فى البركة وحسن الموقع » ٨٠ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان
لعبيد الله بن أبي بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاشي ،
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشعار بأصفر
سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيّش » . وفى ل : « من سمّاها » وهو تحريف . وانظر قول السمرى فى كلب
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وأبى منصور^(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفش^(٢) ؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء^(٣) وشيطان الحماطة ؟ ولم علّق السمك المالح بأذناه [والطرى بأذانه]^(٤) وما بال الفراخ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل لسانه مما يلي الحلق^(٥) وطرفه مما يلي الهواء ، إلا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أن لسانه مقلوب لتسكلم ؟ ولم صار كل ما ضغ وآكل يُحرّك فكّه الأسفل ، إلا التماسح [فإنه^(٦)] يُحرّك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان العالية ؟ وما بال عين الجرادة وعين الأنقى لاتدوران ؟ وما بيضة العقر^(٧) وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبق العقوق^(٨) وما بال لسان سمك البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء على وجهه^(٩) ؟ ولم صار القتل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكره ؛

(١) ل : « سمية نصير على يد جرى . الخ » .

(٢) ل : « شفش » .

(٣) ط : « الخضراء » .

(٤) ط : « المالح بأذناه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكية ، فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل : « مما يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقر هي التي تمتحن بها المرأة عند الافتضاض أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهي أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب ^(١) شِقْشِقَةُ البعير وُغُرْمُول الحمار [والبُغْل] وكَيْدُ الكوسج
بِالنَّهَار ، وَدَمُ المَيْت ؟ [ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان ؟]
وخبِرْنِي عن الضفادع ، لم صارت تنقُ بالليل ^(٢) وإذا أوقدت النارُ
أَمْسَكَت ^(٣) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والخرافة . لنردكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر ^(٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائل ، واستطرفت هذا المذهب ، فاقرأ رسالتي ^(٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهي مجموعة هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لا يحيط بها ^(٦) إلا من أطال الكلام . وجملة
ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضُّرَاء ، وواحدُها ضِرْوَةٌ ^(٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلا السُّلُوقِيَّة ، وهي من أحرار الكلاب
وعتاقها ^(٨) ، والجلّاسية ^(٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيّتها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضئدع . وفي ط : « تنق » ، والتعيق إنما هو لليوم والغريان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النصار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي
الحيوان ٤ : ٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقرأ رسالتي » والوجه « فاقرأ » .

(٦) ل : « لا يحصيا » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » وصححه كما ترى .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها^(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيَّة ، ولكنَّها تقصِّر عن السَّلوقيَّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة^(٢) :

تَقْدُ السَّالِقُ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وتوقد بالصُّفَّاح نَارَ الحِجَابِ
وقال الأصمعيُّ : سمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلبٍ وقد دنا
خطمه من عَجَبِ ذنبِ الظبي^(٣) وهو يقول : إيه فذتك^(٤) نفسي !
وأنشد لبعض الرجاز^(٥) :

• مفديات وملعنات^(٦) •

قال صاحب الديك : فلماً صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم
والنَّدالة ، والحرصِ والشَّره^(٧) ، والبذاء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا
يشتمُّون من اسمه لمن هجَّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

واستغْنِ بالوجبات عن ذهبٍ لم يبقَ قبلكَ لامرئٍ ذهبيُّ^(٨)
يردُّ الحريص على متالفه والليثُ يبعثُ حينَه كلبُهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها وعامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني لقي مطلعها :

كلبي لهم يا أمية ناصب وليل أفايه بعلء الكواكب

(٣) ط : « اللغناء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيه » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشدة » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم واليلة وجبة » . وفي ل : « الوجبات »

وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر -

قال عامر بن الطفيل^(٢) :

ومدجج يسعى بشكته حمرة عيناه كالكلب^(٣)

ومن ولد ربيعة بن زار كلب^(٤) بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ،

ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن زار] . وفيهم من السباع

أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من

جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا

الباب كليب^(٥) بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وبرة . ومنه

بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سِكْفِيك من ابني زارٍ لراغب بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع^(٦) ٦٥٢

والكلبة لقب مئة بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة

الذين سمعت بهم - تزوجها خزعة بن [النعمان] من بني ضبيعة بن

ربيعة بن زار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عزرة^(٧) الضبعي

(١) في الأغاني (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عني به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزائن الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شبيل بن عمرو) ، وفي الأمالي (١ : ٤٨) (شبيل بن عمرو)

وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعة) وفي القاموس (شبيل

ابن عمرو) وفي ط من الحيوان (شبيل بن عزرة) ، وصواب هذا

كله ما أثبتته من ل ، ومانبه عليه التزييل في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٤ جوتنجن . وقد نهت على ذلك في تصحيح المغزاة . =

صاحب الغريب - وكان شبيعياً من الغالية ^(١) ، فصار خارجياً من الصُّفْرية - :

بنو كلبية هَرَّارة وأبُوهُمُ خَزِيعَةُ عَبْدُ خَامِلُ الْأَصْلُ أَوْ كَسُ

وَفِي مِئَةِ [الكلبة] يَقُولُ أَبُوها، وَهُوَ عِلَاجُ بْنُ شَحْمَةَ ^(٢) :

إِنَّ تَكُ قَدْ بَانَتْ بِمِئَةِ غَرِيبَةٍ فَقَدْ كَانَ مِمَّا لَا يُمَلُّ مَزَارُهَا ^(٣)

دَعَتْهَا رِجَالٌ مِنْ ضُبَيْعَةِ كَلْبِيَّةٍ وَمَا كَانَ يُشْكِي فِي الْخَوْلِ جَوَارُهَا ^(٤)

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبُلدان والناس وغير ذلك ،

قوله في الوقعة التي كانت بإِرمِ الكلبة ^(٥) . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من

السَّراة ^(٦) أَنَّ بَنِي أُخْتِهِ قَتَلُوا كَلْبَةً لَجَارِهِ ، وَكَانُوا أَعَدَّ مِنْهُ ^(٧) فغضب ومضى ، فسمَّى ذلك النجد الذي هَبَطَ مِنْهُ نَجْدَ الْكَلْبَةِ .

[وَبَطْسُوجُ بِأَدُورِيَا نَهْرٌ يَقَالُ لَهُ : نَهْرُ الْكَلْبَةِ] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب : وكان أولا

رافسيا ثم انتقل إلى السَّراة وبرى من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميلا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النجاج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل

فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قنطب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسَّراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفي ل : « أنجد » . وفي ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبّاد بن أنف الكلب . ومن ذلك أبو عمر الكلب الجرمي النحوي ^(١) ،
وكان رجلاً من العلية عالمًا ، عروضيًا [نحويًا] فرضيًا . وعلويه ^(٢) كلب المطبخ ،
وكان أشرب الناس للنيذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمد بن علي .

والكلب : كلب الماء ، وكتب الرحي ^(٣) والضبة التي يقال لها الكلب .
وكذلك الكلبة والكلبتان ، والكلّاب والكلّوب .

وقال راشد بن شهاب في ذلك المعنى :

أمكن كلاب القنا من ثغورها وأخضب ما يبدو من استاهها يدم ^(٤)
[وقال] :

فسوف يرى الأقوام ديني وديسكم إذا كلبتا قين ومقراضه أزم ^(٥)
وقال الراجز :

ما زال مذكان غلامًا يستر ^(٦) له على العير لكاف وثفر
والكلبتان والعلاة والوتر .

وقال أشهب بن ربيعة ، وكان أول من رمى بنى مجاشع بأهم قيون : ١٥٣
باعجباً هل يركب القين الفرس وعرق القين على الخيل نجس ^(٧)
ولأنما أداته إذا جلس الكلبتان والعلاة والقين
وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الطفيل : الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمي ، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبي عبيدة ،
وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفي الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر
نزهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نخوره » .

(٥) ط : « كلبتا قين » وهو تحريف . وفي ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر
في خزنة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيام هَراميت^(١) إنما كان سببه كلب .
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح :
كلاب النار .

وقد قال جندلُ بن الراعي [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالكَ تَطْبِلُ
الوقوفَ على كلبِ بنى كليب ؟ !
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عَلَيْكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنَّا عَذَابٌ مُرْسَلٌ
إِنَّ السَّامَوَةَ لَأَسْجَاوَةٌ فَالْحَقِّي بَعْنَابِ الزَّيْتُونِ وَابْنِي بِجَدْلٍ^(٢)
وَبَأَرْضِ عَكٍّ فِي السَّوَاهِلِ إِنَّهَا أَرْضٌ تَذُوبُ بِهَا اللَّقَاحُ وَتَهْزَلُ
وقال حصين بن القعقاع^(٣) يرثي عُتَيْبَةَ بن الحارث :

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ خِنْدِفٍ كُلَّهَا بَعْتَيْبَةَ بن الحارثِ بن شِهَابٍ
قَتَلُوا ذُؤَابَاً بَعْدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ فَشَقَى الْغَلِيلَ وَرَبِيبَةَ الْمُرْتَابِ
يَوْمَ الْحَلِيسِ بِذِي الْفَقَارِ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يَضْرِبُ جَاحِجٍ وَرِقَابِ
وقال آخر^(٤) :

لَهُ دُرٌّ بَنَى الْحِدَاءُ مِنْ نَفَرٍ وَكُلُّ جَارٍ عَلَى جِيرَانِهِ كَلْبٌ
إِذَا غَدُوا وَعَصَى الطَّلَحُ أَرْجُلَهُمْ كَمَا تَنْصَبُّ وَسَطَ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ
وَإِذَا كَانَ الْعُودُ سَرِيعَ الْعُلُوقِ فِي كُلِّ زَمَانٍ أَوْكَلَّ أَرْضَ^(٥) ، أَوْ

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والمعتمد لابن رشيقي .
٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ماني س . والأغاني ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الماحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

في عامة ذلك قالوا : ما هو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وَزْرِ بْنِ جَابِر ^(١) حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدر كنهه أم كلبته » يعني الحمى .

ومما ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :
« لاقيت مطلاً كنُعاسِ الكلبِ ^(٢) » .

يقول : مطلاً مَقْرَمَطاً ^(٣) دأماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم
كعين الكلب في هبي قباع ^(٤)

قال : هذه أرض ذات غبرة من الجذب ^(٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذي يهتدى به إلا وهو كانه عين الكلب ، لأن الكلب أبداً مُغْمِضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهُبْيُ : الظلمة واحداها هابٍ ، والجمع هُبْيٌ مثل غازٍ وغُزْيٍ . والقَبَاعُ : التي قُبعت في القتام ، واحداها قابع ، كما يقبّع القنفذ وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرُق الجارات بالليل قابعاً
قُبُوعَ الْقَرْنَبِيِّ أَخْلَفْتَهُ مَجَاعَهُ ^(٦)

والقُبُوعُ : الاجتماع والتقبُّض . والقَرْنَبِيُّ : دُوَيْبَّةٌ أعظم من الخُنْفَسَاءِ .

(١) كان من وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للشعالبي قول في هذا البيت بشار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط : « مَقْرَطاً » وليس له معنى يصح . وأصل الترمطة : مقاربة الخطوط .

(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني (كعين الكلب الناعس) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل : « أسلمته مجاعره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلاب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلْتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنَّ الأرقامَ لا ينالُ قديمُها كلبٌ عَوَى متهِمَّ الأسنانِ^(١)

وقال الشاعر في منظور بن زَبَّان :

لبئس ما خَلَفَ الآباءُ بعدهمُ في الأمهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنظُورُ
ومن هذا الضرب قول الأعرابي^(٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيْنَا لصغرى فَيَّ من أهلها لا يَزِينُهَا
كلاب لعاب الكلب^(٣) إن ساق هَجْمَة

يعذَّبُ فيها نفسَه ويُهَيِّنُهَا
وقال عمرو بن معديكرب^(٤) :

لحا الله جَرِّمَا كُلِّمَا ذَرَّ شارِقَ وجوهَ كِلابٍ هارِشَتَ فازبَارَتِ
وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشَتُ نُجْنَتِي كُؤِمِيتُ طِمِرَةٌ ولم أجعل النِّعَاءَ لابنِ شَعُوبِ
وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غَدُوَّةٍ حَتَّى لَغُرُوبِ
وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « لن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزائن ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري ٢٨ - ٢٩ .
٤٢ وحامدة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِمٍ
وَقَالَ شَرِيحُ بْنُ أَوْسٍ (١) :

وَعَيَّرْتَنَا تَمَرَّ الْعِرَاقِ وَنَحْلَهُ
وَزَادَكَ أَيْرُ الْكَلْبِ شَيْطَهُ الْجَمْرِ

١٥٥

وَقَالَ آخَرُ (٢) وَهُوَ يَهْجُو قوما :

فَجَاءَ بِخَرْشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيْهِمَا
كَرَادِيسٌ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدٍ

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الْوَلِيدِ :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا
هَشُّوا وَقَالُوا : مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ

وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ
وَلُغُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ ، حِينَ ارْتَشَى ضَمْرَةَ النَّهْشَلِ ، وَنَفَرَ عَلَيْهِ

عَبَادُ بْنُ أَنْفِ الْكِلَابِ الصَّيْدَاوِيِّ (٣) فَقَالَ سَبْرَةُ :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أَمْلُكَ هَابِلُ
وَالْحَيْكُمُ مَسْنُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا لَا يُنْشَدُ

شَنْعَاءُ فَاقِرَةٌ تَجْلُلُ نَهْشَلًا
دَنْسًا تَغْشَوْرُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرِّفَاقَ أَمَالٌ حَكَمَكُ حُبُّهَا
فَلَكَ الْلِقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ
كَلْبٌ يَبْصِيصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَبْعِدُهَا وَاسْكُنْ دُونَهَا
خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابُ شَوْكَتُهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ آسَكْتَا زَيْفِيَّةَ
غِلْمٌ يَشُورُ عَلَى الْبِرَاقِ أَعْقَدُ

وَقَالَ مَزْرُودُ بْنُ ضَرَارٍ :

وَإِنْ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ
تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمُكُمُ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهورش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو العيين المنقري كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمالي المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة .
وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بني الصيداء . المعمرين ٤٣ .

ولبت الذي ألقى فناؤك رحله لتقرّيه بالتّ عايه التّعالِبُ
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .
وقال :

ياسبُرُ ياعبدَ بنى كِلابٍ يا أيرَ كلبٍ مُوثقٍ بِبابِ
أكان هذا أوّلَ الثّوابِ يا ورلاً رَفَرَقَ في سِرابِ
« لا يعلّقنّسكُم ظفري وناري » .

وقال الآخر ^(١) :

كانَ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلَمَى حجارةُ خارى يرمى الكِلابِا
وقال صاحب السّكلب : ومما اشتقَّ من اسم السّكلب في موضع ١٥٦
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائل . ويقال إنّه قيل في رجلين
من بنى ربيعة ما لم يُقْلَ في أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قولهم : « أعزُّ من كليبٍ وائل » ، والآخر : « لآخرٍ بوادي عوف » .
قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً ،
وكان يحمى السّكلاً ولا يُسَكِّمُ عنده إلاّ خفضاً ، ويجبر الصّيد ويقول :
صيدُ أرضٍ كذا وكذا في جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتّعه ^(٢)
فربما قدّف به في الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقيه بحريم
الحوض فلا يرّده بعير حتّى تصدّر إبله .

(١) هو جرير كما في البيان ٢ : ٢٥٠ . والبيت حديث فيه . وانظر ثمار التّلّوب ٣٩٩ .

(٢) كتّعه بمعنى شدّ قوائمه . وانظر أمثال الميداني ١ : ٤٤٦ وانمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي ^(١) :

أظنَّ ضِرَارُ أَذْنِي سَأْطِيعُهُ وَأُنِّي سَأْطِيعُهُ الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ
إِذْ اغْرورقت عيناه واحمرَّ وجهُهُ وقد كادَ غِيظاً وجهُهُ يَنْبُضُ ^(٢)
تَقَدَّمَ فِي الظُّلَمِ المُبِينِ عَامِداً ذِراعاً إِذَا مَاقَدَّمْتُ لَكَ إِصْبِعَ ^(٣)
كَفَعَلِ كُليبٍ كُنْتُ أَنْبِئْتُ أَنَّهُ يَخْلُطُ أَكْلَاءَ المِياهِ وَيَمْنَعُ ^(٤)
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ أَرَانِبَ ضَاحٍ وَالظُّبَاءَ فَتَرْتَعُ
وقال دزید بن الصمة :

نَعْمُكَ مَا كُليبٌ حِينَ دَلَّى بِحِجْلٍ كَلْبَهُ فِيمَنْ يَمِیحُ ^(٥)
بِأَعْظَمَ مِنْ بَنِي سَفِيانَ بَغِيًّا وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِیحُ ^(٦)
وقال العباس بن مرداس :

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كُليبٌ بِظُلْمِهِ مِنَ الْعَزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يُنْزِلُ الْكَلْبَ مَائِحًا وَإِذْ يُمْنَعُ الْأَكْلَاءَ مِنْهَا حُلُولُهَا ^(٧)
وقال عباس أيضاً لِكُليبٍ بن عهمة الظفرى ^(٨) :

(١) هنا ينتهى السقط في ل .

(٢) ط : « يتبع » .

(٣) ل : « إِذَا مَا أَرَخَيْتَ لَكَ إِصْبِعَ » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحل) .

(٥) ط : « كلبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يترك الكلب » وتصحيحه من ل . وفي ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « عيمة » وفي الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمَ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
تَبَغَّى بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلَ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وإِخَالُ أَذْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتِكَ مِثْلَهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال النابغة الجعدي :

١٥٧

كَلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرْجَ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنُهُ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسَهَّمِ
وَقَالَ قَطِرَانُ الْعَبْشِيُّ ، [وَيَقَالُ الْعَبْشِيُّ ^(٢)] :
أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَائِلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْلًا^(٣)
أَجَرَ كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَّتْ وَائِلًا حَتَّى اسْتَحْفَفَتْ عَقُولَهَا^(٤)
بَاهُونَ مِمَّا قُلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدْبِلُهَا^(٥)
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة^(٦) :

نَحْنُ أَبْسَنَاءُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَحَيَّلًا^(٧)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مِثْلًا^(٨)
وقال رجل من بني سدوس :
وَأَنْتَ كَلِيبِي لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سنانه مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسي » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدث وائل » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام ، وهي تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقطناه بها . وفي ط : « أنابته بالناب » وليس بشئ .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكتُ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها وأنَّ أصبحوا منهم شريد وهالك
وإنَّ كلاً حبيك فيهم بقية لو أنَّ المنايا حالها متماسك^(١)
كلاب وكعب لا يبيت أخوهم ذليلاً ولا تعجى عليه المسالك^(٢)
وقال رجل من بني كلاب من الخوارج^(٣) ، معاوية بن أبي سفيان :
قد سرت سيرة كلِّب في عشرينه لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جساس
لاطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد ، أعيافتها الآسى^(٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أوَّل عمل وليه
الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،
وعلى أيِّ سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراي أميراً
لأعلى موضعٍ تسترني منه أكمة ، أهون بها عليّ ؟ ! وكرراً رجعا ، فقبل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » .

والعامة تقول : هو أهون عليّ من الاعراب على عركوك^(٥) .

-
- (١) ل : « وإن كلَّ حبيك منهم » وهو تحريف .
(٢) ل : « ولا تميا عليه المسالك » .
(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قاتل الشعر هو بشير بن أبي المبيى .
(٤) المائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عاندها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن
عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » ينصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .
هذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على
النسخة س .
(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولى قبل ذلك ما ولى ،
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، وأنت اسمك الحجاج .
قال : فأنا والله كليب ، أئى سمعتنى به وأنا صبي . فأت ، و [كان]
استخلف على الخراج ^(١) يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب لما كانت تسمى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى ^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتفاءل فيه الشدة ^(٣) والصلافة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم
ما لقي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة
والخُبّ والمكرّ والكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت ،
والكسب وغير ذلك .

(١) فى الأصل : « الخواارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت
كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦ .

ولذلك صَوَّرَ عبيد الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدأ ، وقال :
 كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيرُ إلى ذلك فطارت عليه .
 وقال آخر : لو كان الرجل منهم إني ما كان يسمي ابنه بحجر وجبل ،
 وكنب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجعل ، على هذا المعنى فهلاً سمي
 ببرذون^(١) ، وبغل ، وعقباب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
 قال الأول : إنما لم يكن ذلك ، لأنه لا يكاد يرى بغلاً وبرذونا ،
 ولعله لا يكون رأهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عديدة لأموٍرٍ لعلهم
 يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
 كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقاً محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك
 ونحن نجده يسمي بنجم ولا يسمي بكوكب ! إلا أن بعضهم قد سمي بذلك
 عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إِنِّمُتْ فَهَيَّ مَيْتِي لَا مِتْ إِلَّا هَرَمًا يَا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمون بأحد ولا بشير
 وأجاء وسلمى ورضوى ، وصنيد وحميم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا
 رؤوسهم من خيامهم . ويسمون ببرج ولا يسمون بفلك ، ويسمون بقمر
 وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرض وسما . وهوا ١٥٩
 وماء ، إلا على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أن جبلاً أبلغ

(١) في الأصل : « سى برذون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لعاه « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقوني وقالوا لاتغنى ولو سقوا (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا^(١) أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .

وقد سمّوا بأسد وليث وأسامه وضِرْغامه^(٢) . وتركوا أن يسمّوا بسبع وسبعة . [وسبع]^(٣) هو الاسم الجامع لكلّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمّوا بأبّان وسلّمى .

قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماء تركت لثقلها ، أو لعلّة من العلل ؛ وإلّا فكيف سمّوا^(٤) بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربّما فعلوا ذلك على أن يتّفق لواحدٍ ولودٍ ولعظّمٌ جليل ، أن يسمع أو يرى حمّارا ، فيسمّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتّفق في ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمّار ، أو ثور ، أو كلب اسم رجلٍ معظّم ، تتابعت عليه العرب تطييراً إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصّةً بعده . وعلى ذلك سمّت^(٥) الرعية بنيها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك صار كلُّ على يكنى بأبى الحسن ، وكلُّ عُمر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك . فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليّ كالسماء والأرض والهواء والماء والنار ، وأسماء أخر مشتقّات منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامه والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط : « بسموا » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتّه .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمرا . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمي إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سُميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى مرضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس ما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إناوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحُملان والمكس . وقال جابر بن حنبل^(١) :

أفي كل أسواق العراق إناوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم . وكما قال العبدى في الجارود^(٢) :

أيا ابن المعلّى خلقتنا أم حسبتنا صراريّ نعطى الماكسين مكوسا^(٣)

(١) في الأصل : « خارجي » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان (مكس) ، وقصيده في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خنّاق : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلّى ، صباه كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذي يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود مرادق المهدي عليك بملود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟

وكيف أمسيتم؟

وفال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً

أبا ضمرة! قال: نعمت فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عِمَّ صباحاً أيُّها الطَّلُّ البالي وهل يَعْمَنُ مَنْ كان في العُصْر الخالي

وعلى ذلك قال الأوَّل^(١):

أتوا نارِي فقلتُ مَنْوَنَ قالوا سَرَاةُ الجنِّ قلتُ عِمُّوا ظلاماً

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيّد المطاع: أبيت اللعن،

كما قيل^(٢):

مَهْلًا أبيتَ اللّعنَ لا تأْكُلْ مَعَهُ *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحَيَّا بتحية الملوك ويقال له: أبيت

اللعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبد أن يقول لسيده ربّي، كما يقال ربّ الدار، وربّ

البيت. وكذلك حاشية السيّد والمَلِك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال

الحارث بن حلزة:

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يَمُ شَيْءٌ وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الشُّنَاءُ

(١) البيت لشير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النواذر ١٢٣ وخزانة الأدب

٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت لليد من أبيات لها غير في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبید حین ذكر حُذِيفَة بن بدر :
 وأهلكن يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنه وربَّ معدَّ بن خَبْتٍ وعَرَعرَ
 وكما عيَّرَ زَيْدُ الْخَلِيلِ حَاتِماً الطَّائِيَّ في خروجه من طِيٍّ ومن حرب
 الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول (١) :

وفراً من الْحَرْبِ الْعَوَانِ ولم يَكُنْ بها حاتم طَبَّاً ولا متطبِّياً
 وريب حصنا بعد أن كان آيئاً أبوة حصنٍ فاستقالَ وأعتبنا
 أقيم في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ماتقضت حربنا أن تطربا
 وقال عوف بن محمَّل (٢) ، حين رأى الملك : إنه ربي ورب الكعبة .
 وزوجه أم أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقوام الملوك السدنة وقالوا الحجة (٣) .
 وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب
 النحوى حين أنشدته شعر الأسدى :

ومركضة صريحي أبوها تُهان لها الغلام والغلام (٥) ٩٦١

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر نسخة دواوين العرب
 ١٠٧ والأغاني (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو السنى يقال فيه : « لاجر بواذى عوف » . أمثال الميداني ١٦٧ : ٢ . وهو
 من بني ذهل بن شيبان ، ومن أشرف العرب في الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه .
 قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محمَّل الخزاعي ، فإن هذا إسلامي كان
 ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التي فيها :
 إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجمان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
 أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
 أخذ عنه أبو عبيدة كما في البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهري : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له: فتقول: للجارية غلامه؟ قال: لا، هذا من الكلام المتروك، وأسماءه زالت مع زوال معانيها، كالمرباع والنشيطه وبقى^(١) الصفايا؛ فالمرباع: رُبع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس، وصار في الإسلام الخمس، على ماسنّه الله تعالى. وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفس يراه إذا استحلاه. وبقى^(٢) الصفي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم، وهو كالسيف اللهدم^(٣) والفرس العتيق، والدرع الحصينة، والشئ النادر.

وقال ابن عتمة الضبي^(٤) حليف بني شيان، في مريثته إسظام ابن قيس:

لك المرباع منها والصفايا وحكمتك والنشيطه والفضول
والفضول: فضول المقاسم، كالأشياء إذا قسم وفضأت فضلة
استهسكت، كالقلاوة، والسيف، والدرع، والبيضة، والجارية،
وغير ذلك.

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماء حدثت ولم تكن، وإِنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة، على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم كأبي رجاء الطماردي^(٥)، بن سالم^(٦)، وشقيق بن سالم؛ ومن الشعراء التابعة الجعدي

(١) كذا ولعلها «نق».

(٢) س: «الهذام» وهما بمعنى.

(٣) ط: «ابن غنمة» وصوابه في س. وابن عتمة هذا هو عبد الله، وهو من شهد القنادسية، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام في الحاسة ١: ٢٠٤.

(٤) لأبي رجاء ترجمة في الإصابة ج ٧: ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم.

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنَّهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سَمَّى الأرضَ التي لم تُخفَّر قطُّ ولم تحرث إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الْاَوَارِيَّ لَأَيَّا مَا أُبَيَّنُّهَا وَالنَّوَى كَالْخَوْصِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ
ومنه قيل سِقَاءُ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحاددة :
ظَلَمَ الْبِطَاحَ لَهُ انْهَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النَّطَافُ لَهُ بُعِيدَ الْمَقْلَعِ
وقال الآخر :

قَالَتْ لَهُ يَّيْ بِأَعْلَى ذِي سَلَمٍ لَوْ مَا تَزَوَّرْنَا إِذَا الشَّعْبُ أَلَمُ
• أَلَا بَلَى يَأَيَّ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ ^(١) •

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

• أَنَا أَبُو زَيْنَبٍ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ ^(٢) •

وقال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذْلَةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا هَرَّتُ الشَّقَاشِقُ ظَلَامُونَ لِلْجَزْرِ
وقال آخر :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ لَمْ تَنَانِي أَذَاتِهِ ظَلَمْتُ رَفِي ظُلْمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
وقال آخر :

لَا يَظْلِمُونَ إِذَا ضَيَّفُوا وَطَابَهُمْ وَهُمْ لَجُودُهُمْ فِي جُزْرِهِمْ ظَلَمُ

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) في الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرِّبوها ، وكان في الحق أن تُنحر نحرًا . وظلمهم الجزر^(١) أيضا أن ينحروها صحاحا سمانا لاعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سُميت بهذا لأنها تنال غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع الشبه في موضعه .

ومن المحدثِ المشتق ، اسم منافق لمن رآه بالاسلام واستسرى بالكفر أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدائماء^(٢) ، ومثل المشرك والكاfer ، ومثل التيمم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحرَّوا ذلك وتوخَّوه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملاستهم له^(٣) .

وكما سَمَّوا رَجِيعَ الإنسان الغائط ، وإنما الغيطان البطون التي كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاء الحاجة للسر .

ومنه العذرة ، وإنما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزُّبُل في أفنيتهم ، سُميت تلك الأشياء التي رَمَوْا بها ، باسم المكان الذي رميت به . وفي الحديث : « أَنْقَرُوا عَذِرَاتِكُمْ » . وقال ابن الرقيَّات :

رَجِمَ اللهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانِ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هي من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « صحبتهم وملاستهم له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفي سنة ٦٥ .

وانظر ص ٢٥٥ .

كان لا ينجبُ الصديقَ ولا يعِ تَلُّ بالبخلِ طيبَ العذراتِ
واسكنتهم لسكرةٍ ما كانوا يُلقون نجوهم في أفئتهم سموها باسمها .

ومنه النجو : وذلك أن الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة تستر بنجوة . ١٦٣

والنجو: الارتفاع من الأرض، قالوا من ذلك: ذهب ينجو، كما قالوا ذهب

يتغوط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر، ثم اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضع النجو قد استنجى .

وقالوا: ذهب إلى المخرج، وإلى المتوضأ، وإلى المذهب، وإلى الخلاء،

وإلى الحش، وإلما الحش القطعة من النخل وهى الحشان . وكانوا بالمدينة

إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل؛ لأن ذلك أستر، فسموا المتوضأ

الحش، وإن كان بعيداً من النخل؛ كل ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب

للخرء، لأن الاسم الخرء، وكل شئ سواه من^(١) ورجيع وبراز وزبل وغائط

فشكله كناية .

ومن هذا الباب الملة، والملة موضع ألحيزة، فسموا ألحيزة باسم موضعها.

وهذا عند الأصمعي خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية، والراوية هو الجمل نفسه، وهو حامل الزادة

فسميت الزادة باسم حامل الزادة . ولهذا المعنى سمو حامل الشعر

والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صداقها . قالوا : وإلما كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة .
وقال شاعرهم :

وليس تِلَادِي من وِرائَةِ والدي ولا شَادَ مَالِي مُسْتَفَادِ النَوَافِجِ
وكانوا يقولون : تَهْنِيكِ النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصَّدَاق .

ومن ذلك أنهم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقبة والخيمة
والخيام ^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا
يقال ذلك اليوم . والعروس إما أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجُور : قَحْبة ، وإِنَّمَا
القُحَابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنت وتكسّبت
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

« إِنَّ السُّعَالَ هُوَ الْقُحَابُ »

[وقال ^(٢)] :

وإذا ما قَحَبَتْ واحدةٌ جَاوِبَ المِعْدُ منها ^(٣) فَخَضَفَتْ
وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا
متاعه وعورته وشواره . والشَّوَارُ : المتاع ^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون ^(٥)]
الآيِرَ والحِرَّ والامْت .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما في س و م . ومعنى خضف غرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيه الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد^(١) : من ذلك ١٦٤ قوله : « إِذَا لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عِزَّانٌ » . ومن ذلك قوله : « مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ » . ومن ذلك قوله : « يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرْكَبِي » ومن ذلك قوله : « كُلُّ الصَّيِّدِ فِي جَوْفِ النَّمْرَةِ » ، وقوله : « لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » .

(شذشنة أعرفها من أخزم)

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : « شَذْشِنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ » ، يعني شبه ابن العباس بالعباس . وأخزم : فحل معروف بالكرم .

(ما يكره من الكلام)

وأما الكلام الذي جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثَتْ نَفْسِي وَلَكِنْ لِقَبْلِي لَقِيسَتْ نَفْسِي » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمن لظاھرٍ إلى نفسه الخُبث والفساد بوجهٍ من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهي عن قول القائل : استأثر الله بفلان ، بل يقال مات فلان . ويقال^(٢) استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب البغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « وَلَا يُقَالُ » ومرواه في ل .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنة الله وسنة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحٌ ، للمسجد القليل الذَّرْع ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربما صغروا الشيء من طريق الشَّفَقَة والرَّقَة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُرب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنا فلانُ أخِيَّ وصَدِيقِي ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كَتَيْفٌ مَلِيٌّ^(١) . وقال الحباب بن المنذر^(٢) يوم السَّقِيفَة : أنا جُذَيْلُهَا المحَكَّك ، وعُذَيْقُهَا المرجَّب . وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحُمَيْراء ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبَيْس . وكقولهم : دَبَّتْ إليه دُورِيَّةُ الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك .

(١) كَتَيْفٌ : تصغير كَتَف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخصري ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فُعِيلٍ في أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقوله
المُعَيْدِي ، وكنحو سُلَيْم ، وَضَمِير ، وکَلِيب ، وَغَمِير ، وَجُعِيل ، وَحُمِيد ،
وَسُعِيد ، وَجُبِير ؛ وكنحو عُيَيْد ، وَعُيَيْدُ اللَّهِ ، وَعُيَيْدُ الرَّماح ^(١) . وطريق التحقير
والتصغير إنَّما هو كقوله : نَجِيلٌ وَنَذِيلٌ . قالوا : وَرُبَّ اسمٍ إذا صَغُرَتْه كان
أَمَلًا لِلصَّدر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله ،
وكعب بن جُعِيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . ورُبَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
وبنية ، لا يتغيَّر ، كنحو الحَمِيَّاء والسُّكَيْتِ ، وَجُنَيْدَة ، والقَطِيعا ،
والمَرِيضاء ، والسُّمِيَّاء ، والمَلِيَّاء — وليس هو كقوله القُصَيْرِي ، وفي
كبيدات السماء والترِّيا .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا !
كأذِّهِ قولى أنا .

وحدَّثني أبو عليُّ الأنصارى ، وعبد الكريم الغفارىَّ قالا : حدَّثنا
عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُيَيْد ^(٢) يجلس في داره ، وكان
لا يَدْعُ بابَه مفتوحا ، فإذا قرعه إنسان قام بنفسه حتى يفتحه له . فأتيتُ
البابَ يوما فقرعته فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ما أعرف أحدا
يسمى أنا . فلم أَقُلْ شيئا وقتُ خلفَ الباب ، إذ جاء رجلٌ من أهل

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد
المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا
ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان ففَرَعَ الباب ، فقال عمرو : مَنْ هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قَدِمَ عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلَمَّا وجدتُ فرجةً أردت أن أُلجَ الباب ، فدفع البابُ في وجهي بعنف ، فأقَتُ عنده أَيْاماً^(١) ثم قلت في نفسي : والله إنِّي يومَ أنغضِبَ على عمرو بنِ عبِيدٍ ، لَغَيْرِ رَشِيدٍ الرأى . فَأَتَيْتُ البابَ ففرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاصر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجل عند الشَّعْبِيِّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما عَلِمَكَ ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتَّقُوا تكذيبَ الله ، لَيَتَّقَ أَحَدُكُمْ أن يقولَ قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أَقُلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : لا يقل أحدُكم أَهْرِيْقُ الماءَ ولكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خَزَيْنَا إن كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الله أعلم ؛ إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عن شيء فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا علم لي بذلك .

وسمِعَ عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اَللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْأَقْلِيْنَ ! قال : ما هذا للدعاء ؟ قال : إِنِّي سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعْرَفُ .

وكره عمر بن عبد العزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضَعُهُ تَحْتَ إِبْطِكَ ، وقال :

هَلَّا قُلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنَكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرَأَتْ فَرَسٌ بِحَضْرَةِ
سَالِحَانَ - ^(١) فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّثِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحِجَّاجُ لَأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ^(٢) : عَمِدْتُ إِلَى مَالِ اللَّهِ
فَوَضَعْتَهُ تَحْتَهُ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦
فَتَجَلَّجَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَذْعًا أَوْ رَفَثًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذَيْلِكَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي
وَأَمَتِي ، وَلَكِنْ يَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي ،
وَلَكِنْ يَقُولُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَائِلِ لِلْكَأَبِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِمَالِكِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ
عَيْنًا » ، وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعْرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى
أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنَ السَّكَرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوْنَ الْأُمُورَ مَعَ عَلَلِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتِ
الْمُؤَنَةُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةٌ ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا
الْمُنَوعَيْنِ مَشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عَمْرًا ، وَوَلَّى عَمْرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بَعْدَ مَنِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْعَبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَادِمٌ فِيهَا الْحِجَّاجُ
وَانْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَمَهَا وَقْعَةُ دِيرِ الْجَمَّامِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةً
وَتَلَاثَةً أَيَّامًا .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لَا تَسْمُوا الْعِزَّ الْكَرَّمَ ؛ فَإِنَّ الْكَرَّمَ هُوَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ » فما أحسن ما فسر ذلك عبد الرحمن بن مهدي^(١) قال : وجهه هذا عندنا ، أن القوم قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله . » . يعني أن الذي أهلك القرون هو الله عز وجل ، فتوهم منه المتوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أن موسى قال : « أَيْتَ أَنْ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا^(٢) ، ومعه روح سيفرت^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بعلزبول^(٤) ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعني القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان المنبري البصري ، من أئمة حفاظ الحديث .

قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا . توفي بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس

٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرّد الليل . فكره ذلك وقال :
إن سهيلاً لم يأت بحرّاً ولا يبرد قطّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد
كره الحسن كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقول الرجلُ للغيمة والسحابة : ما أخلقها للمطر !
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العود
في شيء من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوهم من الكلام الذي فيه ١٦٧
أدنى متعلّق .

وروا أنّ ابن عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمه على فمي ، فإنّما
يختم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قزح . وقال : قزح
شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعريب والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من
عادات الجاهليّة . وكان أحبّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما
يقال بيت الله ، وزوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله ^(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيّ بعده » . فإنّما تكنّ ذهبتُ إلى نزول المسيح
فما أعرف له وجهاً إلّا أن تكون قالت لا تغيّروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل
لكم ، والفيظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ،
وقال : ليس الإسلام إلّا لله ^(٢) عز وجلّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس
سهل ، وقد كرهه ابن عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث نسر
التمالي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسموا الطريق السُّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبعت جنازة .
كأنه ذهب إلى أنه عني أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة .
والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ،
وهي عندي شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .
وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القفيز
بدننير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .
وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال
يل قولوا : قد قَضَوْا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صَلَّوْا ؛ لقوله :
﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين
انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف
الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أول المنصرفين . وقد كرهه
ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طامث ، وكره مجاهد
قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،
فلعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قواه تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ ﴿ فقد قال الناس يوم التَّروية ، ويوم عَرَفَةَ ولم ١٦٨ يقولوا عَرَفَةَ .

(رأى النظام في طائفة من المفسرين

وصور من تسكلفهم في التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لا تترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن عندكم عِكرمة ، والسكبي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأصبم ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم ^(١) وأسكن إلى صوابهم ، وقد قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها ، بل إنما عني الجباه وكل ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجبهةٍ وأنفٍ وثفنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه ليس يعنى الجبال والنوق ، وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلَحَ مَنْضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز . وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن الناس غيره ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾^(١)
قالوا : يعنى أنه حَشَرَهُ بِإِلَاحِجَّةٍ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف
كان في الجاهليَّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :
وادٍ في جهنم ، ثم قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ^(١)
بلغة اليمن .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من وصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هِيَ : سَلٌّ سَبِيلًا إِلَيْهَا
يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تَسَمَّى ، وعلى أىِّ شَيْءٍ وقع قوله
تَسَمَّى فَتَسَمَّى ماذا ، وما ذلك الشَّيْءُ ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لِمَ شُهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أنَّ كلام الجلد من أعجب العجب !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ : إنَّ هذا إِنَّمَا كان
كناية عن الغائط . كأنه لا يرى أنَّ في الجوع وما ينال أهله من الدَّلَّةِ
والعجز والفاقة ، وأنَّه ليس في الحاجة إلى الغذاء — ما يُسَكِّفِي بِهِ في الدَّلالة
على أنَّهما مخلوقان ، حتَّى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) في القاموس : المِطْطَرَةُ : الحِجْرَة ، وخَشَبَةٌ فِيهَا خُرُوقٌ عَلَى قَدَرِ سَعَةِ رَجُلٍ الْمُحْبِسِينَ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿وَنِيَابِكَ فَطَهَّرُ﴾ : إِنَّهُ إِنَّمَا عَنَى قَلْبَهُ . ٩٦٩

وَمَنْ أَعْجَبَ التَّأْوِيلُ قَوْلَ اللَّحْيَانِ : (الْجَبَّارُ) مِنْ الرِّجَالِ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ : يَكُونُ جَبَّاراً فِي الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ ، فَتَأَوَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿إِنْ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ قَالَ : وَيَكُونُ جَبَّاراً عَلَى مَعْنَى قِتَالَا ، وَتَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ، وَقَوْلَهُ لِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ قِتَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ . وَالْجَبَّارُ : الْمُنْتَكَبِرُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَأَوَّلَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾^(١) ، وَتَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ عَيْسَى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ أَيْ لَمْ يَجْعَلْنِي مُتَكَبِّراً عَنْ عِبَادَتِهِ ، قَالَ الْجَبَّارُ : الْمُسْلِطُ الْقَاهِرُ ، وَقَالَ : وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أَيْ مُسْلِطٌ فَتَقَهَّرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَالْجَبَّارُ : اللَّهُ .

وَتَأَوَّلَ أَيْضاً (الْخَوْفُ) عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَوْ وَجَدَهُ فِي أَلْفِ مَكَانٍ لَقَالَ : وَالْخَوْفُ عَلَى أَلْفِ وَجْهِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ . وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(تَكْلَفُ بَعْضُ الْقَضَاةِ فِي أَحْكَامِهِمْ)

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي^(٢) : إِنَّ أَبِي أَوْصَى بَثَلَتْ مَالَهُ فِي الْحَصُونِ . قَالَ : أَذْهَبَ فَاشْتَرَى بِهِ خَيْلاً ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ الْحَصُونَ ! قَالَ : أَمَا مِمَّعْتَ قَوْلَ الْأُسْعَرِ الْجُعْفِيِّ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَمْ أَكْ » وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ آيَةُ هَذَا الرَّسْمِ . مَرِيَمُ ١٤ .

(٢) هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَصِينِ الْعَنْبَرِيِّ ، قَاضٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ١٦٨ .

ولقد علمت على تجنبي الردى^(١) أن الحصون الخيل لا مدد القرى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخيال .

وخبرني النورثرواني قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدّي بثلاث
حاله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر^(٢) :

بنسونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعد
قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًا .

وقالوا في قوله : ماساءك وناءك : [ناءك] : أبعدك . قالوا : ومساءك^(٣)
أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبش التكلف .
وقال ابن قتيبة^(٤) :

وحال أفعال إذا هي أعرضت على الأصل لا يسطيعها المتكلف
وقال الله وهو يخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدة إعجابهم بالغريب
من التأويل .

(١) في ط : « الورد » وهو تحريف مافي س .

(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم
يعرف له قائل ، كما صرح بذلك المعنى ، وللميوطي في شرح شواهد المعنى ٢٨٧ .
لكن وجدت البغدادى في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرمانى أن قائله
هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساك وناك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكفين
ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قتيبة » وصوابه : « ابن قتيبة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى في أبي حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبي حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهل الناس بما كان ^(١) !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ تُمْ لَتَسَالُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠
الماء الحار في الشتاء ، والبارد في الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثّة التي قامت ، قامَ الأسماء الجاهليّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجّ : صَرورة .

وأنت إذا قرأت أشعارَ الجاهليّة وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبي ^(٢) :

لو أنها عَرَضَتْ لَأَشْمَطَ رَاهِبٌ عَبْدَ الإلهِ صَرورةً مُتَبَتِّلٌ
لَدَنَا ^(٣) لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهْمٌ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزِيلِ

والصرورة عندهم إذا كان أرفع الناس في مراتب العبادة ، وهو اليوم اسمٌ للذي لم يحجّ إمّا لعجزه ، وإمّا لتضييعه ، وإمّا لإنكاره ^(٤) . فهما مختلفان كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي ، من نخضرى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحمارة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفي نحو سنة ٢٠ .

(٣) هي في شعر شبيه بهذا القافية « لَرْنَا » .

(٤) في الأصل : « وأما الإنكار » .

(أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحقُّ بالاشتقاق
وأوجبُّ طاعةً . وكما أن له أن يبتدىء الأسماء ؛ فكذلك له أن يبتدئها
مما أحبَّ . . . قد سُمِّيَ كتابه المنزل قرآنًا ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجود للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجراحة التي ^(١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقبا . فواحدة أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جموداً
وإذا كان جموداً كان شركاً ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به ^(٢)] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي ^(٣) :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ
وإنما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ حَمَامَةٍ *

وذكروا أن الظبي إذا أسنَّ ونبتت لقرونه شُعبٌ نَبَح ، وهو قول أبي دُوَاد^(١) :

وقصرى شَنِجَ الأنسَا ٤ نَبَّاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وَيَنْبَحُ بَيْنَ الشَّعْبِ نَبْحًا كَأَنَّهُ نَبَّاحُ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَائِرِيهَا
وَيَبْقُضُهَا الْهَزْلُ الْمَسُودُ غَيْرَهَا كَمَا ابْيَضَّ عَنْ حَمَضِ الْمَرَّاحِمِ نَبِيهَا^(٢) ١٧١
لأن الظبي إذا هزل ابْيَضَّ ، والبمير يَشِيبُ وجهه من أكل الحَمْض .
وكذلك قال ابن لجأ^(٣) :

« شَابَتْ وَلَمَّا تَذُنْ مِنْ ذَ كَائِهَا^(٤) » .

كما قال الآخر :

أَكُلْنُ حَمْضًا فَالْوُجُوهُ شَيْبُ شَرِينٍ حَتَّى نَزَحَ الْقَلْبُ
وقد تصير النَّاقَةُ الحمراء إذا أَمَّتْ حَبْشِيَّة . ولذلك قال الشاعر :

« حِراءَ لَحَبْشِيَّةٍ الْإِمَامِ » .

وما أشبه ذلك بقول العبدى^(٥) :

وداويئُهَا حَتَّى شَدَّتْ حَبْشِيَّةٌ كَأَنَّ عَلِيَّهَا سُنْدُوسًا

(١) في الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما في اللسان (نبح) . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأتسا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيتين في المعاني الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بني تميم بن عبدمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لجج الهجاء بينه وبين جرير لثنافس حدث بينهما في الشعر ، فكانت خصومتها أدبية في أول الأمر ثم استحالَت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن تقيّة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفي الأصل : « من ركاها » . وانظر المعاني الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاف . الاقتضاب . ٤ . والمفضليات ١٤٣ . وانظر أدب الكاتب ٣١٧ .

والدَّواء : اللبن ، فلذلك قصير الفرس إذا أَلْقَتْ شعرها وطرَّت ،
تستبدل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِيُّ^(١) :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنٌ خَبِتَ تَظَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْخُصُومِ
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبْطٍ وَرُومٍ^(٢)
نُبَاحُ الْهُدْهُدِ الْحَوْلِيِّ فِيهِ كَنْبَحُ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْمَقِيمِ^(٣)

ويقال إِنَّ الْهُدْهُدَ يَنْبَحُ . وربما جعلوا الْهُدْهُدَ ، (الذي يَنْبَحُ) ،
الحَمَامَ الذَّكَرَ . قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها - :
وإذا استرَنَ أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضْبَتُهُ بِجَسَادٍ^(٤)
وقال طُفَيْلٌ فِي النُّبُوحِ وَالْجَمَاعَاتِ^(٥) :

وَأَشَعْتُ تَزَهَاهُ النُّبُوحُ مُدْفَعٌ عَنْ الزَّادِ مَا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٍ^(٦)
وقال الْجَعْدِيُّ^(٧) :

فلما دَنَوْنَا لَصُوتِ النُّبَاحِ وَلَا نُبْصِرُ الْحَيَّ إِلَّا التَّمَاسَا
وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مَجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتًا مَابَهُ بِمَحْجٍ
لَا يُدْرِكُ الشُّعْرَاءُ مَزَلَّتِي فِي الشُّعْرِ إِنْ سَكَنُوا وَإِنْ نَبَحُوا

وقال عمرو بن كلثوم : ١٧٢

-
- (١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسه وفسرها (٢٨٩ - ٢٩١) .
(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاح » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .
(٣) هذه في ط . وليست في س .
(٤) ط : « وإذا استرَن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) في الأصل : « الجماعات » .
(٦) المحتل : السبيء الحال ، ورواية اللسان : « بمن حرف الدهر » . وفي الأصل :
« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المختصر ٢ : ١٣٦ .
(٧) هو التابعة الجعدي . وانظر الأغاني (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كَلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وقال بعض العلماء : كلاب الحى شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ،
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحى كل عقور ، وكل
ذى عُيون أربع ^(١) .

وأما قوله ^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مَقْبِدَةِ الْحِمَارِ ^(٣)
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ ^(٤)
فالطَّوَاعِينُ ^(٥) هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : « إن
الطَّوَاعُونَ وَخَزَّ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال أبو سلمى ^(٦) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ أَرْمَاحِ رَمَنْ سَفِيهِ دَائِمِ التُّبَاحِ
وَمِنْ عَدِيدِ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ
رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كُلَّمَا كَلَّبُ مِنْ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأمدى » يقوله الحادث الغسافى
وفى آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدى » وفى ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون فى الحرة . اللسان (رمح ،
حر) .

(٤) ط : « رماح الحى » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة فى التنبيه السابق .

(٥) فى الأصل : « والطَّوَاعِين » .

(٦) الرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ وسيماد فى ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كُلِّي جَاهِدًا مِنْ وَرَائِكُمْ وَأَغْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤْنِيَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كُلِّي لِيَعْدَ ثَعْرَهَا ^(١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابُهَا

كَلَابُهَا : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَلَائِي وَالشَّكَاةُ لَالٍ لَأَمْ كَذَاتِ الضَّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زبيد ^(٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيَّا كَلَابِهِمْ وَكَفَكَفْتَ عَنْكُمْ أَكُلِّي وَهِيَ عُقْرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣٠ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنكم تتبعم على الكلب كل

شيء هُجِيَ به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد

رأينا الشعراء قد هَجَّوْا الأصنافَ كُلَّهَا ، فلم يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ وَلَا سَبْعٌ ،

وَلَا بَهِيمَةٌ وَلَا طَائِرٌ وَلَا هَمَجٌ وَلَا حَشْرَةٌ ، وَلَا رَفِيعٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا وَضِيعٌ ،

(١) تعر ، كنع : صاح . وفي ط : « ثعرا » محرفة .

(٢) هو أبو زيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لسانا فصيحاً بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية .

الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزائن ٤ : ١٤٣ والسجستانى

فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قم الكنى وزيد بهيئة الصغير .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِم بِالْخُمُولِ ، فَكَفَاكَ بِالْخُمُولِ دِقَّةٌ وَلَوْماً وَقِلَّةٌ
وَنَذَالَةٌ . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِذٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

فَأُبْلِغْ إِيَّاساً أَنَّ عِرْضَ ابْنِ أُخْتِكَ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنْ حَسَنَهُ أَوْ تَبَدَّلْ^(١)

فَإِنْ تَكُ ذَا طَوْلٍ فَإِنِّي ابْنُ أُخْتِكَ

وَكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مَغْتَلٍ^(٢)

فَكُنْ أَسْداً أَوْ ثعلباً أَوْ شَيْبَهه

فَهُمَا تَكُنْ أَنْسَبَ لِيكَ وَأَشْكَلَ

فَمَا ثعلبٌ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ^(٣)

وَلِإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِيْبَالُ أَشْبُلٍ

وَلَنْ تَجِدَ الْآسَادَ أَخْوَالَ ثعلبٍ إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بِمَدْخَلٍ

فَهَذَا مِنَ الثُّعْلَبِ . وَقَالَ مَزْدَدُ بْنُ ضَرَّارٍ^(٤) :

وَلِإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهْرُ عَلَيْهَا^(٥) أُمُكُمْ وَتُكَالِبُ

وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِيه بِالتُّ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

فَقَدْ وَضَعَ الثُّعْلَبُ كَمَا تَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي كَفَاكَ بِهِ نَذَالَةٌ . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

فَمَا عَادَتْ بَذَى يَمَنْ رُءُوساً وَلَا ضَرَّتْ لِفَرْقَتِهَا زَرَارَا

(١) فِي الْأَصْلِ : فَاصْبِرْ خَشْيَةً وَتَبَدَّلْ « ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَغْتَلٌ » وَالتَّصَوُّبُ « مَغْتَلٌ » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْمُذَلِّينَ أَوْ « مَغْتَلٌ » كَمَا فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَّ وَاعْتَلَّ : ارْتَفَعَ .

(٣) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « ثُعَالِبٌ » .

(٤) فِي ط : « مَزْدَرُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَزْدَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الشَّيْخِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْنَا » .

كَعَنْزِ السَّوءِ تَنْطَحُ مِنْ خِلَاهَا^(١) وَتَرَأُّمُ مِنْ يُحِدُّ لَهَا الشُّفَارَا

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي سَهْمٍ وَجَامِلِهِمْ كَالْعَنْزِ تَغِطُّ رَوْقَهَا فَتَرْتَضِعُ

وقال الفرزدق :

عَلَى حِينٍ لَمْ أَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً وَلَا نَابِجاً إِلَّا اسْتَقَرَّ عَقُورُهَا

وَكَانَ نَفْعٌ إِذْ هَجَانِي لِأَهْلِهِ كَبَاحْتَةٍ عَنْ مُدْيَةٍ تَسْتِثِيرُهَا

فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شراً ولا أكثر خيراً

من شاة .

وقال الخريمي^(٢) :

يَا لِلرِّجَالِ لِقَوْمٍ قَدْ مَلَّتْهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ

ذَبُّ رَضِيعٍ وَخِنْزِيرٍ تُعَارِضُهَا عَقَارِبُ وَجِنَتْ وَجُنَّا بِحَيَّاتِ^(٣) ١٧٤

مَا ظَنُّكُمْ بِأَنَاسٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصْرَحِ السُّحْتِ سَمَوْهُ الْأَمَانَاتِ

فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عَجْرَدٍ فِي بَشَارِ :

قَدْ كَانَ فِي حَيٍّ غَزَالَةٍ شَاغِلٌ لِقَرْدٍ عَنْ شَتْمِي وَفِي ثَوْبَانٍ

أَوْ فِي سَمِيعَةٍ أُخْتِهَا وَشِرَادِهَا لِحُونِهَا مَعَ سِفْلَةِ الْمُبْجَانِ

أَوْ بَيْتِ ضَيْقٍ عَرَسَهُ وَرَكُوبِهَا شَرُّ الْبِغَاءِ بِأَوْكَسِ الْأَثْمَانِ^(٤)

(١) ط : « فَلَاحَا » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الْخَرِيمِي » وهو « الْخَرِيمِي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : اللق ، ومنه مبيجة القصار ، وجمله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

ولكن معاذ الله لست بقاذفٍ بريئاً لسواقٍ لقومٍ نوائح
وما قلت في الأعمى لجهل وأمه ولكن بأمرٍ بيني لي واضح
سأعرض صفحاً عن حصين لأمه ولست عن القرد ابن برد بصافح
وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيد بن خنعم أرى القرد والخنزير محتبين
أمام بيوت القوم من آل خنعم وراء قبيحات الوجوه بطن
وقال العتّابي :

اسجد لقرود السوء في زمانه وإن تلقاك تخنزوانه^(١)
* لا سيما ما دام في سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رياح اللؤم من شحّه^(٢) لا يطمع الخنزير في سلحه
كفاه قفل ضلّ مفتاحه قد يئس الحداد من فشحه
وقال خلف بن خليفة^(٣) :

فسبحان من رزقه واسع يعُمُّ به القرد والقردة

(١) الخنزوان يفتح الحاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر
اللسان (قرا ص ٣٦) والمغرب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شح » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع
لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو جُمع كلُّه لكان مثلَ هِجاءِ الناسِ للكلابِ ، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِحَ به الأسدُ فادُّونه ، والأمثالُ السائرةُ التي وقعت في حَمْدِ هذه الأشياءِ ، لما كانت كلُّها في مقدارِ مديحِ الكلبِ . فهذه حُجَّتُنَا في مَرْتَبَةِ الكلبِ على جميعِ السباعِ والبهائمِ .

١٧٥ ولما قال معبدٌ في قتلِ الكلبِ ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنما جعلتَ الكلبَ شرًّا الخلقِ بهذه العلَّةِ ، فقد قال على نسقِ هذا الكلامِ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قال في الإبلِ والبقرِ والغنمِ أعظمُ ، فَاسْقِطَ من أقدارِها بقدرِ معنى الكلامِ . وأدنى ذلكَ أن تُشْرِكَ بينَ الجميعِ في الذمِّ فَإِنَّكَ متى أنصفتَ في هذا الوجهِ ، دعاك ذلكَ إلى أن تُنصِفَها في تَبِيعِ مالِها من الأشعارِ والأمثالِ والأخبارِ والآياتِ ، كما تَتَّبِعْتَ ما عليها .

(الشرف والخلول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلاً بيننا يكون عدلاً : إذا استوى
القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرة^(١) والفرسان
والحكام والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء
[في] الأرحاء^(٢) وكان الآخر قليل الذرة^(٣) والعدد ، ولم يكن فيم خير
كثير ولا شر كثير ، فخلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم
الناس^(٤) ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلة ونذالة إذا لم
يكن شرًا ، وكان محلهم من القلوب محل من لا يغبط الشعراء^(٥) ، ولا يحسد
الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وَقُولَا إِذَا جَاوَزْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّينِ نَهْدًا وَخَنْعَمًا
تَرْيَعَانِ مِنْ جَرَمِ بْنِ رَبَّانٍ لَهُمْ أَبَوَا أَنْ يُرَيَقُوا فِي الْهَزَاهِزِ مَجْجَا^(٥)
وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرة^(١) وكان فيهم خير كثير وشر
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجوا ويضرب بهم المثل ،
ولعل أيضًا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) الذرة : النسل . وفي الأصل : « الذرة » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » .
وقد صححت المصحف : واجتليت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرقوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابها ما أثبت من س .

(٤) أي يغبطهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يغبط الشعراء » .

(٥) ط : « تريعان من جرم بن ريان » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لآخر فيه ولا شرَّ ، أمثلَ حالاً في العامة ،
مَن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيَّما إذا جاوَرُوا من يأكلهم
١٧٦ وحالفوا من لا ينصفهم ، كما لقيت غنيَّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبساً أقامت في بني عامر ضعفاً ما أقامت ؛ لذهب شطْرُ
شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زهير لما رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه :
الذلُّ في بني غطفان خير من العزُّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حلولاً مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئاً من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاضمهم ، بأكثر من
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحلوا عليهم ، فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم
ذلك إلى النَّدَم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً ^(١) ،
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام ^(٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدة الصَّولة عليهم .

(بكل وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأصبط بن قريع السَّعْدِيُّ من بني سعد ، فجاورَ ناساً ،
فلما رأى مذهبهم وظلمهم ونهكهم ^(٣) ، قال : « بكلِّ وادٍ بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « ونهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عباس بن ربيعة الرُّعْلَى سَيِّدَ بَنِي سُلَيْم ، وقد ناله ضيمٌ في بعض الأمر ، فأبى الضَّيْمُ ، فلما حاولَ مفارقتَهُمْ [إلى] بَنِي غَنَمٍ عَزَّ عَلَيْهِ ^(١) فقال في كلمة له :

وَأَمْسِكُمْ تَرْجِي التَّوَامَ لِبَعْلِهَا وَأُمُّ أَخِيكُمْ كَرْزَةُ الرَّحْمِ عَاقِرُ
وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر ^(٢) ، وخبر عن هذه القصَّة في يومٍ من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شُبَيْل بن عَزْرَةَ ^(٣) بالطلاق : إِنَّهُ لَعَرَبِيٌّ فِي الْحَقِيقَةِ لَغِيَّةٌ أَوْ لَرِشْدَةٌ !

(قبائل في شطرها خير كثير)

(وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شِطْرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة . ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِيَّ ^(٤) وباهلة ، واليعسوب والطفافة فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمخروم والمظلوم ، مثل ^(٥) باهلة وغني ، مما لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنهم آلة ^(٦) لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماش .

(١) في الأصل : « فلما حاول مفارقتهم بني غنم أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يحيى » وإنما هو « غني » وسيكرر الحديث عن غني وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليَعسوب والطفافة ، وهاربة البقعاء ^(١) وأشجع الخنثى
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .
وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلّا] ^(٢) بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسن حالاً ممن
فيه الخير الكثير وبعض الشرِّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر ^(٣) :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ مبتدئاً

يَبْخُلُ أَشْعَثَ وَاسْتَشَيْتَ وَكُنْ حَكماً ^(٤)

نُحْرَجُ خُزَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ

وَلَا تُعَدِّ لَهَا لُؤْماً وَلَا كَرَمًا ^(٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خُزَاعَةً ظُلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرِّقَبَانِ ^(٦) الأَسَدَى :

(١) هاربة البقعاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربة)
مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيس) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعلج بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :
« بلؤم (مطلب) فينا وكن حكماً »

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان وإلياً على مصر . وقد كان ولي دعلجاً
على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغركها » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الأشعر الرِّقَبَانِ » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرِّقَبَانِ »
والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرِّقَبَانِ ، وهو شاعر جاهل . والأشعر في نوادر
أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وآمال القائل ٢ : ٢١١ . وانظر
اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بِحُسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحْمِ الْخَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي عِلْبَاءِ بْنِ حَبِيبٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أَرَى الْعِلْبَاءَ كَالْعِلْبَاءِ لَا حُلُوٌّ وَلَا مُرٌّ
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ
فَهَذَا وَنَحْوَهُ مِنْ أَشَدِّ الْمَجَاءِ .

وَالْحَمُولُ اسْمٌ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ النَّقْصِ كُلِّهَا أَوْ عَامَّتِهَا ، وَلِسْكَتْهُ كَالسَّرْوِ
عِنْدَ الْعُلَمَاءِ . وَلَيْسَ يَنْفَعُكَ الْعَامَّةُ إِذَا ضَرَّتْكَ الْخَاصَّةُ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ تَمِيمُ بْنُ مَرْ ، وَثُورٌ وَعُكْلٌ ، وَتَمِيمٌ وَمَزِينَةٌ . فَنَفَى
عُكْلٌ وَتَمِيمٌ وَمَزِينَةٌ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَضْلِ ، مَا لَيْسَ فِي ثُورٍ ، وَقَدْ سَلِمَ ثُورٌ إِلَّا
مِنَ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ ، مِمَّا لَا يَرُوبِيهِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ حَلَّتِ الْبَلِيَّةُ وَرَكَدَ الشَّرُّ ،
وَالنَّحْفُ الْمَجَاءُ عَلَى عُكْلٍ وَتَمِيمٍ ، وَقَدْ شَعَثُوا بَيْنَ مَزِينَةٍ شَيْئاً ، وَلَكِنَّهُمْ
حَبَّبَهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً مَا تَبَيَّأَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، حِينَ قَلَّ حَظُّ تَمِيمٍ فِيهِ .
وَقَدْ نَالُوا مِنْ ضَبَّةٍ ، مَعَ مَا فِي ضَبَّةٍ مِنَ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَبَّ مَتَى
نَقَصَ وَلَدُهُ فِي الْعِدَدِ عَنْ وَلَدِ أَخِيهِ ^(١) فَقَدْ رَكِبَهُمُ الْآخَرُونَ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ،
حَتَّى يَرَوْا تَسْلِيمَ الْمَرْبَاعِ إِلَيْهِمْ حَقّاً ، وَالسَّيْرَ تَحْتَ الْوَاءِ ، وَالْحَمْلَ عَلَى أُمَوَائِهِمْ
فِي النَّوَائِبِ ؛ وَحَتَّى رَجُمَا كَانُوا كَالْعَضَارِيطِ وَالْعُسْفَاءِ ، وَالْأَتْبَاعِ ، وَفِي الْأَتْبَاعِ
وَالدَّخْلَاءِ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ مِنْ ذَلِكَ بَدْءاً ؛ كَانَهُمْ مَتَى امْتَنَعُوا خَذَلَوْهُمْ ،
فَاسْتَبَاحُوهُمْ ، فَرَأَوْا أَنَّ النِّعْمَةَ أَرْبَحُ لَهُمْ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَتَى نَصَرَ وَلَدُهُ فِي الْعِدَدِ عَلَى وَلَدِ أَخِيهِ » ، وَأَصْلُهَا كَمَا تَرَى .

وقد أعان غيلان^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدُ
في الجاهليَّة ، أتباعُ في الإسلام .

فإن هربوا تفرَّقوا فصاروا أشلاء في البلاد ، فصار حكمهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك
حيث لا يرفعون رؤوسهم من الذلِّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلفُ^(٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضُبَّة ، وأسد وغطفان
فإنَّ هؤلاء أقوياء لم يُنْهَكوا كما تُنْهَك باهلة وغنيٌّ ، لحاجة القوم إليهم ،
١٧٨ ونخشونة مسهم إن تذكروا^(٣) على حال ؛ فقد لقيت ضبَّة من سعدٍ ، وعبسُ
من عامر ، وأسد من عينة بن حصن ما^(٤) لقوا .

وقد رأيت مشقَّة ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
بني ذبيان .

وعينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغة
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها : « حال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة .

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الحلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « معا » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خثيم^(١) وسُفيان الثوري ، لما علمت العامة أنَّ في العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولشريف واحدٌ ممن قبلت^(٢) تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بلعنبر ، قد ابتليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُعراء ، ومن الزُهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرجال إسلاميين وجاهليين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلا الخمس^(٣) والثنتف .

وربَّ قومٍ قد رضوا بضمومهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون حتى يصبَّ الله تعالى على قمر رعوسهم حجارةً القذف ، بأبياتٍ يسيرها شاعر ، وسوط عذابٍ يسير به الراكب والمثل ، كما قال الشاعر :

إن منافاً فقحةً لدارم^(٤) كما الظيمُ فقحةُ البراجمِ .

وقال الشاعر^(٥) :

وجذناً الحمر من شرِّ المطايا كما الحيطاتُ شرُّ بني تميمِ .

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خثيم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجه .

(٣) الخمش بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن منافقة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العيني ، ونقلها عنه البغدادى في خزنة الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد
أريد حباه ويريد قتلى
فإن الحمر من شرِّ المطايا
كما اللشوان والرجل الخليم
وأعلم أنه الرجل اللثيم
كما الحيطات شرُّ بني تميم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعَدَد
والفَعَال ، مثل مُمِير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه مُمِير وغير مُمِير ، فما ظنُّكَ
بالظُّلُم وبمَناف وبالحِطَاط ، وقد بلغ مَضْرُوءُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمِير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْماً آخَرِينَ :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَاؤِي كَمَا وَضَعَ الْهِجَاءُ بَنِي مُمِيرٍ
وَحَتَّى قَالَ أَبُو الرُّدَيْنِيِّ :

أَتُوْعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي مُمِيرٌ مَتَى قَتَلْتَ مُمِيرٌ مَنْ هَجَاها

(بكاء العرب من الهجاء وذ كر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكى العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من
أَوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شهاب^(١) ، وكما بكى علقمة بن عُلَاقَة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتِ لُخْدَاش^(٢) بن زهير . وما زال يهجوهُ
من غير أن يكون [رأه] ، ولو^(٣) كان رأه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و]^(٤) الذي
يقع في النفوس من تفضيله ومحبتة [و]^(٤) من إجلاله والرقّة عليه — أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكبر العنبري ، وانظر الحديث في البيان ٤ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « نخراش » .

(٣) زيادة يتطلّبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النبيت وغسان بن مالك بن عمرو بن تميم^(١)، ليس يعرفهم بالعجز والقلّة
إلاّ دَغفل بن حنظلة^(٢)، وإلاّ النخار العُذرى^(٣)، وإلاّ الكيس النرى^(٤)،
وإلاّ صُحار العبدى، وإلاّ ابن شريّة وأبو السّطّاح^(٥) وأشباههم ومن شابه
طريقهم والاقتباس من مواريتهم، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عربى تميمى، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ما عليه
وعلى رهنه فى الخاصّة. والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل
الخاملة وهم أعدّ وأجلد.

(ما تبلى به القبائل فيصيبها بالحمول)

وبليّة أخرى : أن يكون القبيل متقادِم الميلاد ، قليل الذلّة قليل
السيادة ، وتبيّاً أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ،
فيستين لمساكنهم منهم من قلّتهم وضعفهم لكلّ من رآهم أو سمع بهم ،
أضعاف الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .
ومن شؤم الإخوة أن شرفهم ضعّة لإخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أن
شرفهم شرف من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم
وجريز بن دارم . فلو أنّ الفقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان
خيراً له .

(١) فى الأصل : « تميم » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أب السطّاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) ومايأتى فى ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعفت قُرَيْشٌ — لما جاءت به من الخصال الشريفة الثامنة ؛
 مِنْ أركان كنانة — سَنَامَ الأرض وجبلها^(١) وعينها التي تبصر بها ، وأنفها
 التي بها تعطس ، فَا ظَنُّكَ بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
 نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثُمَّ رَأَى بنى فقيم بن جرير
 ابن دارم ؟ !

وكذلك كُلُّ أَخَوَيْنِ إِذَا بَرَعَ أَحَدُهُمَا وَسَبَقَ وَعَلَا الرَّجَالُ ؛ فِي الْجُودِ
 وَالْإِفْضَالِ ، أَوْ فِي الْفُرُوسَةِ^(٢) أَوْ فِي الْبَيَانِ ، فَإِنْ كَانَ الْآخَرُ وَسْطًا مِنْ
 الرِّجَالِ ، قَصَدُوا بِحَسَنِ مَآثِرِهِ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى لِتَبَيِّنِ الْبِرَاعَةِ فِي أَخِيهِ ،
 فَصَارَتْ قَرَابَتُهُ الَّتِي كَانَتْ مَفْخَرَةً هِيَ الَّتِي بَلَغَتْ بِهِ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ .
 وكذلك عَزَّةُ بْنُ أَسَدٍ فِي رِبِيعَةٍ . وَلَوْ كَانَ سُودَدٌ رِبِيعَةً مَرَّةً فِي عَزَّةٍ
 وَمَرَّةً فِي ضُبَيْعَةٍ أَضْحَجَمَ ، لَسَكَانَ خَيْرًا لَهُمُ الْيَوْمَ ، وَلَوْ دَدَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
 الْقَبَائِلِ الَّتِي سَلِمَتْ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَوْ عَلَى الْعَوَامِّ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ شَطْرُ
 مَا لِلْعَزِيزِيِّينَ مِنَ الشَّرَفِ ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ وَازَنُوا بَيْنَ خِصَالِ [هَذِهِ^(٣)] الْقَبَائِلِ
 خَيْرَهَا وَشَرَّهَا لَكَانُوا سَوَاءً^(٤) .

١٨٠ وقال صاحب الكاب : ذكرت عيوب الكاب فقلت : الكلب
 إذا كان في الدار محق أجور أهل الدار حتى يأتي على أقصاها ، لأنَّ الأجور
 إذ أخذ منها كلَّ يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
 أن يأتي على آخرها . وقلت : في الكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسة والفروسية : الخلق يركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سداء » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنعه التَّوَمَ ليلاً والقائلة نهاراً ، وأن يسمعَ الحديث . ثم الذي على سماعِ النَّبَاحِ من المؤنة من الصوت الشديد .
ولولم يكن في الكلب ما يؤذى بشدة صوته إلا بإدامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك مما ينغص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أُرطاة بن سُهَيْبٍ في بعض افتخاره :

وإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنًا إِذَا أَغْدَفَ السُّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاطِلُ^(١)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلٌ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي ، مِنْ تِلَادٍ تَحُوزُهُ يَدُ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَالِيلُ
وقال ابن هرمة :

ومستنبحٍ نَبَّهْتُ كَلْبِي لَصَوْتِهِ وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي الْيَفَاعِ فَجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوْتِ قَدِ مَسَّهُ الضَّوْىُ بِضَرْبَةٍ مَسْنُونِ الْغِرَارِينِ قَاضِبِ
فَرَحَّبْتُ وَاسْتَبَشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتُهُ^(٢) وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كُلُّ آتِبِ
وقال آخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْكُمُ كَلْبُهُ

دَعِ الْكَلْبَ يَنْبُخْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِخٌ^(٣)

(١) ط : « إِلِ الضَّيْفِ » ، « إِذَا أَغْدَقَ » . وتصحيح البهت من س . وعيون

الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بَسَطَهُ » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه : ٣ : ١١٤ : « يَكْمُرُ كَلْبُهُ : يَشْدُ فَاهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْبُخَ ،

فَيَدُلُّ عَلَيْهِ » . والبيت للراعي كما في العدة ٢ : ١٥١ يهجو به الخطيئة ، وانظر

ملسياقي في نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

تَشَأْتُ غَلاماً أَتَى الدَّمَ بِالْقِرَى إِذَا ضَافَ ضَيْفٌ مِنْ فَرَازَةٍ رَاغِبٌ
فَلِنْ آبَ سَارٍ أَسْمَعَ الْكَلْبَ صَوْتَهُ
أَتَى دُونَ نَبْحِ الْكَلْبِ ، وَالْكَلْبَ دَائِبٌ

وقال بشار بن برد :

سَقَى اللَّهُ الْقِيَابَ بَتْلَ عَبْدِى وَبِالشَّرْقَيْنِ أَيَّامَ الْقِيَابِ (١)
وَأَيَّاماً لَنَا قَصُرَتْ وَطَالَتْ عَلَى فُرْعَانَ نَائِمَةٍ لِلْكَلابِ
وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان (٢) :

إِذْ أَنْتَ لَمْ تَسْتَبْقِ وَدَّ صَحَابِيٍّ عَلَى دَخْنٍ أَكْثَرَتْ بَثَّ الْمَعَاتِبِ (٣)
وَلِئِنْ لَأَسْتَبْقِ أَمْرًا السَّوْءِ عُدَّةً لَعْدُوَّةَ عَرِيضٍ مِنَ النَّاسِ جَانِبِ (٤)
أَخَافُ كَلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَبَحَهَا إِذَا لَمْ تَجَاوِبْهَا كَلَابُ الْأَقَارِبِ
وقال أحيحة بن الجلاح (٥) :

مَا أَحْسَنَ الْجَيْدَ مِنْ مُلَيْكَةٍ وَاللَّ بَاتَ إِذْ زَانَهَا تَرَائِبُهَا
يَا لَيْتَنِي لَيْلَةَ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ وَنَامَ الْكَلَابُ صَاحِبُهَا

وقلت : وفي الكلب قذارة (٦) في نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة سُلَاحِهِ
وبوله ، على أنه لا يرضى بالسُّلَاحِ على السُّطُوحِ ، حتَّى يحفر ببرائته وينقب
بأظافره ، وفي ذلك التَّخْرِيبُ .

(١) في الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب في حمة البحري ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدي .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذي يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر في الخزائنة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصل : « قذرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الوكف ، وفي الوكف من منع النوم ومن إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتفزع الولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرّض للزوّار ، ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه وربّحه وتهيجّه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم والوثوب عليهم ^(١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحُرْم والأزواج ، والسّراريّ والحظيّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكّره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُتَبَع وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أَشْطَ ^(٢) وأنْعَظَ بحضرتيّ ، ولعلّهنّ يكنّ مغيباتٍ ^(٣) أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلّهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يعمّهنّ .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجُميّ أمّ أناس من العرب ، أن الكلب الذي كان يسمّى قُرْحَان ^(٤) ، كان يأتي أمّهم ، حتّى استعدّوا عليه ، وحبسّه في ذلك عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشط الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق والتقايف ٢١٩ ليدن ومعاذ

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويخاف مثله ، لما بلغ منه عثمان ما بلغ ، حتى مات في حبسه ^(١) . وفي ذلك يقول ضابي بن الحارث :

تَجشَّم نَحْوِي وَفَدُّ قُرْحَانِ شُقَّةٍ تَظَلُّ بِهَا الرَّجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَزَوَّدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْمَرْزَانَ أَمِيرُ ^(٢)
فَأَمَّكُمْ لَا تَرَكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرُ ^(٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبي أنه أبصر رجلاً يكوم كلبةً من كلاب الرعاء ، ومراً بذلك الزُّبُّ العَظِيمُ في ثفرها - والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالخِرٍ من المرأة والطَّيْبَةُ من الأثان والحجر ، والحياء من الناقة والشاة - فزعم أنها لم تعقد عليه ، ولا ندرى أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما النَّاسُ في مُلْح أحاديثهم : أَنَّ رجلاً أَشْرَفَ على رجل وقد ناك كلبةً فَعَقَدَتْ عليه ، فبقى أسيراً مستخزياً ^(٤) يدور معها حيث دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنْبَيْهَا . فأطلقته ، فرفع رأسه إليه ، فقال : أخزاه الله أَيُّ نِيَّاكِ كَلْبَاتٍ هُوَ !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزنة والتناقض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والبتاج لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ : « بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزنة والتناقض .

(٤) ط : « مستخزياً » وصوابه في س .

وخبّرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرف من سطح له قصير الحائط ،
 فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى
 رأسَ إنسانٍ يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،
 فتأمل في ذلك (٢) فإذا هو بحارس ينيك كلبة . قال : فرجته وأعلمته أني
 قد رأيته ، فصبّحتني من الغد يقرع الباب عليّ ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما
 جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمضي على وجهك إلى
 البراري . قال : جُعِلْتُ فداك ، أسألك أن تسرَّ عليّ ، سرَّ الله عليك ،
 وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلاك ، فما اشتبهت من كلبة ؟ ! قال :
 جُعِلْتُ فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو ينيك إنناثَ
 الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضه ؟
 قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها
 في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [أن] (٥)
 يوعبه كلُّه لم تستقر له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور
 الناس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة ، فقال :
 لا أدري لعلها لاتعقد عليه ، لأنه لايدخله فيها إلى أصله ، ولعل ذلك أيضاً
 إنما هو شيء يحدث بين الكلب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع
 الالتحام . قال : فقلت : فطيب هو ؟ قال : قد نسكت عامة إنناثِ
 الحيوانات فوجدن كلهنَّ أطيبَ من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إنناث الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا
 ١٨٣ دار الماء في صلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فربما التزمت السكبة
 وأهويت إلى تقيلها . ثم قال : أما إن الكلاب أطيب شيء أفواهاً ،
 وأعذب شيء ريقاً ، ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام ، ولو ذهبت
 أن أنيكها من خلف وثبتت رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظن بي أني
 أريد غير ذلك فتسكدم في وجهي . قال : فقلت : فإني أسألك بالذي
 يستر عليك ، هل نزعْتَ عن هذا العمل منذُ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة ؟
 قال : ربما حننتُ إلى ذلك فأحتبس^(١) بعهدك . قال : وقلت : وإنك
 لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنِّي لأحنُّ إليها ، ولقد تزوجتُ بعدك امرأتين ،
 ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعود شيئاً لم يكذب صبرٌ عنه ! قال :
 فقلت له : هل تعرف اليومَ في الحراس من ينك السكبات ؟ قال : نعم ،
 خذ محموله الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارساً
 الحمائم فإن فارساً كان حارساً وكان قيم حمام ، وكان حلقياً ، فزعم أنه
 ناك الكلاب خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبح وتشنج ، حتى كان
 لا ينيكه أحد . قال : فلم يزك يحنُّ لسكبه عنده حتى ناكه . قال :
 وكان معه بغير حتى قتله للصوص ، ثم أشرف على فارس^(٢) ، هذا المحتسب
 الأحذب ، وهو ينك كلبة فرماه بحجر فدمعه^(٣) .

قال : فالكلاب كما ترى تُتهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك
 الرجال ، وليس شيء أحق بالنفي والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمعه : أصاب دماغه .

من السباع العادية الوحشية في راحة ، إلا في القِرط^(١) فإن لها عُراماً على بعض المشاية ، وجنايةً على شرار العامة^(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بعيرٍ ونطح كَبشٍ ، أو خَشَّ سِنُورٍ أو رَمَحَ حمارٍ ، ولعلَّ ذلك يكون في الدهر المرّة والمرتين ، ولعلَّ ذلك أيضاً لا ينال إلا عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالسكّلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون ، وإلى قَشْرِ طِينِ السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى نتن السُّلاح وقَذَرِ المأكول والمشروب تقصدون ، فالسُّنُورُ أكثرُ في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَافَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان ذلك في السنائير مغتفراً ، لانتفاعهم بها في أكل الفأر ، فمنافع السكّلاب أكثرُ ، وهى بالاعتقاد أحقّ . وفي إطلاق ذلك في السُّنُورِ دليلٌ على أنّه في السكّلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاضه ، فلعمري إنّه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرسَ ولا البرذونَ والبغلَ والحمارَ والتيسَ في المواضع التي تراها النساءُ . والسكّلبُ ١٨٤ في ذلك أحسنُ حالا . وقد كرهه ناسٌ لإدخال منازلهم الحمامَ والديكَةَ والدجاجَ والبطَّ خاصةً ؛ لأنّ له عند السفاد قضييا يظهر ، وكذلك التيس من الظباء ، فضلاً عن ثيوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم مجرى في وجوه كثيرة

(١) القِرط : الندرة . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحام^(١) خاصة من الاستشارة^(٢) ، والسكتم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس^(٣) مثله ، ثم التقبيل والتغزل والتنفّش^(٤) ، والابتهاج بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأثني للذكر و [عدم]^(٥) إمكانها لغير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء مما ذكرتم^(٦) . فلم أفردتم الكلب بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرْمُولَ واحدٍ منها ، حقّرت بعلها أو سيّدتها ، ولم يزل ظلّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبّئها ساعة الغفلة ، ويحدث لها التمتّى لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلّ وأعظم إلى ما هو أخسّ وأصغر ؟!

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان^(٧) عند العبث والتعرّض ، والتحكك والتهبيج^(٨) والنحرش ، فلو أن الذى يأتى صبياتكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العبث - والصبيان أقسى الخلق وأقلهم رحمة - أنزلوه بالأخف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حذيفة ، نلحرجوا^(٩) إلى أقبح مما يخرج إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يد ابنه ، فهو أحقّ باللائمة .

(١) ط : « الحام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفّس » .

(٥) زيادة يقتضها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهبيج » ، والوجه : « التهبيج » .

(٩) ط : « نلحرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَّ على صبيٍّ فقَرَّه من تلقاء نفسه ، وإنَّه ليرتدُّ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضمٍّ ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبه ، ولا في الأرضِ مجوسى يموت فيحزن على موته ويحمل إلى النأوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنَّه لا ينجي عليه في شمه عندهم ، أحيى هو أم ميّت ؛ للطافةِ حسّه ، وإنَّه لا يأكل الأحياء^(١) . فأما اليهود فأنهم يتعرّفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر^(٢) وهو يرى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميّتٌ مسحوا آستهُ بدهنٍ وحفّوا حوله بقرامٍ

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جنایاتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنایاتِ الديكة

أعظمُ من جنایاتِ الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفّان ، ابنَ بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعِثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونه من جنایاتِ الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حَسَكَة بن عَتَّاب^(٣) ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما في اللسان (حم) . وقيل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكرٍ لشمّ بنى الطلاح أهلَ حمامٍ

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ وإليان : : ٣٦ .

وقد قر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهد فاعور ، ثم ضربته الحجرة فمات .

ووثب ديك فطعن بصيصته عين^(١) بنت لثمame بن أشرس ، قال لثمame : فأتاني الصريح ، فوالله ماوصلت إليها حتى كد وجهها كله واسود الأنف والوجنتان وغارت العينان . وكان شأن هذا الديك - فيما زعم لثمame - عجباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقال لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك ، فزعم أنه قد وجه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا في ذلك . فلم أبرح حتى اشتريته ؛ وكنت أصونه وجعلته في مكانة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنتي هذه لتنظر إليه ، فكان هذا جزأى منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتى وطئ في ذؤابته ثم أقبل ينقر دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان تطأه الدجاج^(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإن له يداً تشج^(٣) وأخرى تأسو ، بل مايدفع الله بحراسته ويحلب من المنافع بصيده^(٤) أكثر وأغمر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .

(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً منشوراً . وانظره في الكامل ٧١٠ لبيك . وفي

الأصل أيضاً « لانطوها » وتصحيحه من الكامل ،

(٣) في ط : « تسبح » وهو تحريف ما في س .

(٤) ط : « بعده » وتصحيحه من س وم .

الغامر لا المغمر ، والفاضل لا المفضول . والديك يفتأ العيونَ وينقرُ الأدمغة
ويقتل الأتقس ، ويشجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه ضَرْفٌ وخيره ممزوج . إلاَّ أنْ
يزعموا أنَّه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذى يحتاج إلى
البرهان . و[من] ^(١) عارض منافع الكلاب وحراستها أموالَ الناس من
الصوص ، ومنع السَّبَاع من الماشية ، وموضعَ تقع الكلب فى المزارع -
وذلك عيان ونفعه عامٌّ وخطبه عظيم - بما يُدَّعى من حراسة الدِّيكَة
للشيطان ؛ لم يكايل ولم يُوازن ولم يعرف المقايسة ، ولا وقَّف قطُّ على معنى
المقابلة ^(٢) وذلكَ بذلك على أنَّ مبلغَ رأيه لا يجوز رأى النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة ^(٣) :

ألم أكُ جارَكُم فتركتمونى لِكَلبي فى دياركم عواء ١٨٦
وقال الشاعر :

وإني امرؤٌ لا تقشعرُّ ذؤابتى من الذئب يعورى والغراب المحجل
وقال الشاعر ^(٤) :

ومستنجحٌ تستكشط الريحُ ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصمٌ

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل « الفتاة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت فى ديوانه بصرح السكرى من قصيدة مطلعها :

ألا أبلىع بنى عوف بن كعب وهل قوم على خلقٍ سواء

(٤) الأبيات فى الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِيْتَانِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلِمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذَّنْبُ حَزُونًا كَانَ عَوَاهِ عَوَاءُ فَصِيلِ آخِرِ اللَّيْلِ مُخَلِّ
وَقَالَ آخِرُ :

وَمِنْهُلٍ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ يَعْوَى بِهِ الذَّنْبُ وَتَرْقُو هَامُهُ
وَقَالَ عَمِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ .

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذَنْبٌ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْخَصِيِّ حَوْلَ زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ^(١) :

وَمَعْرَسٌ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ ^(٢)
قَدْ بَثَّهُ وَهْنًا وَأَرْقَى ذَنْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جَذْلُ
فَتَرَكْتُهُ يَعْوَى بِقَفَرَتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ
بِتَنُوقَةٍ جَرْدَاءَ يَجْزَعُهَا لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ ^(٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ ^(٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذَنْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمَهَا ^(٥)

(١) كَانَ مِنْ حِكَاةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَحِكَايَتِهِمْ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٦٩١٨ وَالْأَغَانِي ١٢ : ٤٣-٤٧ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ .

(٣) يَجْزَعُهَا : يَقْطَعُهَا ، وَفِي ط : « لِحَبِّ » وَصَوَابُهُ بِالْهَاءِ كَمَا فِي س وَ م .

(٤) مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ : شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْخَزَانَةِ ٢ : ٤١٩ بُولَاق .

(٥) ط : « مُسْتَشَار » .

إِذَا هُنَّ لَمْ يَلْحَسْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دُمًا هَلِيسَتْ أَجْسَادُهَا وَلِحُومُهَا^(١)

١٨٧

وَقَالَ الْأَحْمِرُ السَّعْدِيُّ^(٢) :

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وَقَالَ آخَرُ^(٣) :

وَعَاوِ عَوَى وَاللَّيْلُ مُسْتَحْلَسُ النَّدَى

وَقَدْ زَحَفَتْ لِلغُورِ تَالِيَةَ النَّجْمِ^(٤)

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ بَاغِيًّا أَوْ زَائِرًا ، أَوْ مَن يَلْتَمِسُ الْقَرَى ،

وَلَمْ يَرِ بِاللَّيْلِ نَارًا ، عَوَى وَنَبَحَ ، لَتَجِيَّهِ الْكَلَابُ ، فَيَهْتَدِي بِذَلِكَ إِلَى مَوْضِعِ النَّاسِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمُسْتَنْبَحُ أَهْلِ الثَّرَى يَلْمَسُ الْقَرَى

إِلَيْنَا وَمَسَاهُ مِنَ الْأَرْضِ نَازِحُ

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ :

وَمُسْتَنْبَحُ بَعْدَ الْهَدْوِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارَى الشَّتَاءِ طُرُوقُ

فَهَذَا مِنْ عَوَاءِ الْفَصِيلِ وَالذَّنْبِ وَالْكَلْبِ .

(١) فِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِي ٣٩١ :

إِذَا هُنَّ لَمْ يُولُغْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دُمًا هَلِيسَتْ أَبْدَانُهَا وَلِحُومُهَا

(٢) ط : « الْأَحْمَرُ » وَصَوَابُهُ فِي س . وَهُوَ شَاعِرٌ مِنْ لُصُوصِ الْعَرَبِ .

(٣) الْبَيْتُ لَحْمِيدِ الْأَرْقُطِ كَمَا فِي الْبَحْلَاءِ ٢٠٠ .

(٤) ط : « لِلغُورِ » وَصَوَابُهُ فِي س . وَفِي الْأَصْلِ : « مُسْتَحْلَسُ النَّدَى » وَصَوَابُهُ فِي الْبَحْلَاءِ

٢٠٠ . اسْتَحْلَسَ النَّدَى : تَرَكَهُ .

(ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وجبه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطَّثَرِيَّة (١) :

يا أُمَّ عمرو أنجزى الموعودا وارعى بذلك أمانةً وعهودا
ولقد طرقت كلابَ أهلك بالضحي حتى تركت عقورهن رُفودا
يضرِبْنَ بالأذنانِ من فرح بنا متوسِّداتٍ أذرْعاً وخدودا

وقال الآخر (٢) :

لو كنتُ أحملُ خيراً يومَ زرتُكم لم يُنكرِ الكلبُ أني صاحب الدَّارِ
لكنْ أثبتُ وريحُ المسكِ يفعمني والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النارِ (٣)
فأنكر الكلب ربحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزُّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القيني في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخِي (٤) :

سأمدحُ مالكا في كلِّ ركبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رذِلٍ

(١) في الأصل : « وقال ابن الطَّثَرِيَّة » والوجه مأثبات . والشعر في البخله ٢٠٣ .

(٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخله ٢٠٢ . وهو في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزاري ، وهو شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب : ترجم له أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .

(٣) نعمه الطيب وفغمه : ملا خياشيمه . وفي الأصل : « يتعمى » ، وصوابه في البخله ٢٠٢ . وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يقغنى » بالعين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قتيل خفاف بن نديبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

هنا أنا والبقارة من مخاضٍ عظامٍ جِلَّةٍ سُدسٍ وُبَزَلٍ
وقد عرَفْتُ كلابَهُمُ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ ونَسِيتُ أَهْلِي
نَمْتُ بِكَ مِنْ بَنِي شَمَخٍ زِنَادٌ لها ، أَشْنَتْ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلِي

١٨٨

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا :

عَنيفٌ بَتَسْوَاقِ الْعِشَارِ وَرَعِيهَا وَلَكِنْ بَتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رَفِيقُ
سَنِيدٍ يَظَلُّ السَّكَلَبُ يَمَضُغُ ثَوْبَهُ لَهُ فِي دِيَارِ الْغَانِيَاتِ طَرِيقُ
وقال الآخر :

بَاتَ الْحَوْرُثُ وَالْكَلَابُ تَشْمُهُ وَسَرَتْ بِأَبْيَضِ كَالْهَلَالِ عَلَى الطَّوْى
وقال ذو الرمة :

رَأَيْتِي كَلَابُ الْحَى حَتَّى أَلْفَنِي وَمُدَّتْ نُسُوجَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي ^(١)
وقال حسان بن ثابت :

أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يَبِيضُ الْوُجُوهِ نَفْيَةً حُجْزَاتِهِمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)
يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وَبَوَّاتُ ^(٣) يَبْنِيكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبٍ الْمَبَاءَةِ وَالْمُشْرِحِ
كَفَيْتَ الْعُقَاةَ طِلَابَ الْقِرَى وَتَبَحَّ السَّكَلَابِ لِمُسْتَنْبَحِ ^(٤)

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيت » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « أتني » .
وفي ط : « على رحل » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بواته في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب القرام « وقبح » ، صوابه في الحيوان ١٣٥ : ٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطْيُ أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ

وَلَوْ كُنْتُ فِي نَفَقِ زَائِعٍ لَكُنْتُ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ ^(١)

وفي مثل ذلك ، وليس في ذكر إلف الكلاب ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعاً إِلَى هَذِهِ الْأَشْعَارِ ، وَبِكَ إِلَى ذَلِكَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، قَالَ
أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَايَاتُ مُتَسَوِّكٌ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذَرَاكَ
وَقَالَ الْبَزَّارُ الْحَلِّيُّ ، فِي الْمَعْنَى الْأُولَى :

أَلِفَ النَّاسِ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرَّ ^(٢)

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ :

١٨٩ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ ^(٣)

فَبَابِكَ أَلَيْنُ أَبْوَابَهُمْ وَدَارُكَ آهْلَهُ عَامِرَةٌ

وَكُلِّبِكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابَتِهَا الزَّائِرَةُ

وَكَفَّفِكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةُ

فِيْنِكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّدَاءُ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٌ

وَقَالَ هَلَالُ بْنُ خَثْعَمٍ ^(٤) :

إِنِّي لَعَفٌُّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوٌّ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « ولو كنت في نفق » والوجه ما في س و م .

(٢) في الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه في البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزارع الحفاني .

(٣) للشعر في الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .

(٤) كذا نسب الشعر في البخلاء ٢٠٢ . ويرى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجري في الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكن لها زَمْجوراً ولم تأنسْ إلى كلابها
وما أذا بالداري أحاديثَ سرِّها ولا عالمٍ من أيِّ حوكٍ ثيابها^(١)
وإن قَرَّابَ البطنِ يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفانة ، وكان
أسره ثوب بن شحمة العنبري مجير الطير^(٢) :

إذا ما بجيلِ النَّاسِ هَرَّتْ كلابُهُ وشقَّ على الضَّيْفِ الغريبِ عَقُورُها
فإنِّي جبانُ الكلبِ بيتي موطأً جَوادُ إذا ما النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُها
ولكن كلابي قد أَقَرَّتْ وعُودَتْ قليل على مَنْ يعتريها هَرِيرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إن كثيراً من هجاء الكلب ، ليس يراد به
الكلب ، وإنما يراد به هجاء رجلٍ ، فيجعل الكلب وُصلةً في الكلام
ليبلغ ما يريد من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناسُ به من أسباب
الكلاب . ولذلك قال الشاعر^(٣) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ نُ لَيْلِ مَظْلَمٍ وَحَفِيفِ نَافِجَةٍ وَكَلْبِ مُوسَدٍ^(٤)
وَأُخْوَكِ مَحْتَمَلِ عَلَيْكَ ضَغِينَةٍ وَمُسِيفِ قَوْمِكَ لَا تَمِّمْ لَا يَحْمَدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبية رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان .

٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجيء بقوة . وفي الأصل : « نافجة » وإنما الخفيف للريح . وتصحيحها :
من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحْبَبُهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَّانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فهو لم يرد مدح الكلب بالجبن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

• وحفيف نافجة و كلب موسد ^(١) •

فإن كان الكلب إنما أسرَه أهله ، فإِنَّمَا اللُّومُ عَلَى مَنْ أَسْرَهَ . وإنما

هذا الضرب كقوله ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبُهُمْ قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُؤَى عَلَى النَّارِ

ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حَقَّرَ أَمْرَهُمْ وَصَغَّرَهُمْ .

وقال ابن هرمة :

وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَى كَلَابِي ^(٣)

وقال ابن مهية :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ شُعْبَى تَشَكَّى حَوَافِرَهَا الدَّوَابِرَ وَالنُّسُورَا

فلما أن طَلَعْنَ بَعِينَ جَعَدِي وَأَهْلَ الْجُوفِ انْقَبَلُوا غُرُورَا

وَلَمْ يَكُ كَلْبُهُمْ لِيَفِيقَ حَتَّى يُهَارِشَ كَلْبُهُمْ كَلْبَا عَقُورَا

ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافجة » ، وانظر التذييه السابق .

(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماهجينا بشعر هو أشد علينا

من هذا البيت ! » . ديوان الماعاني ١ : ١٧٥ .

(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخوثة قد يحسبُ المجدُ فرصةً إلى أهله أو ذمّةً لا تُخفّرُ
حيبٌ إلى كلبٍ الكريمِ نباؤه كربةً إلى الكوماء والكلبُ أبصرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحى يتبعها شحمٌ يزفُّ به الداعى وترعيبُ
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هجمنا عليه وهو يسكّمُ كلبه
دع الكلبَ ينبحُ إنما الكلبُ نابحٌ^(١)
وقال الآخر :

وتكّم كلبُ الحى من خشية القرى
وناركُ كالعدراء من دونها سترٌ^(٢)
وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلت معاوية بن عمرو على الأطواء خنقت الكلابا
فالكاب مرّةً مكعوم^(٣) ، ومرّةً مخنوق ، ومرّةً مؤسد ومحش ، ومرّةً
يجعله جباناً ، ومرّةً وثاباً ، كما قال الراعى فى الخطيئة :

ألا قبّح الله الخطيئة إنه على كلّ ضيف ضافه فهو سالح
وقعنا إليه وهو يحنقُ كلبه دع الكلبَ ينبحُ إنما الكلبُ نابحُ
وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنبية رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) فى الأصل : « وتطعم » صوابه فى اللسان (كم) .

(٣) فى الأصل : « مطعوم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَيْثُ قَرِيَّتِهِ أَلا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ^(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى قَتِيٍّ إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا

(وقال الآخر :

• دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ •

وقال الآخر :

• أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَا لَكَ نَابِحٌ •

وقال الفرزدق :

• إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا^(٢)) •

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ يَنْشَقُّونَ بِذِكْرِ

الكلب ، وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، لا على أَنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِي ذَكَرُوهُ قَدْ كَانَ

على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير^(٣) :

ولو كنت في نَجْرَانَ أَوْ بِعَمَايَةَ إِذْ لَأَتَانِي مِنْ رَبِيعَةٍ رَاكِبٌ^(٤)

(١) البيت في العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعي . وقد رواه ثالبيا البيت

السابق ، برواية :

• أَلا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ •

وانظر البهلاء ٢٠٣ .

(٢) ما وضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، ولست أدري لم أعيدت .

(٣) وهو جرير ، الأرجح أن تكون على هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئین .

والأبيات في ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : بخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت

في غمدان » .

يُثير الكلابَ آخرَ الليلِ وطَوْه كَضَبُ العَرَادِ خَطْوُهُ متقاربٌ^(١)
فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وضَوْبَهُ وَيَنْظُرُ من لُقَاعَةٍ وهو كاذبٌ^(٢)
فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار^(٣)
الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها
ودِقَّةِ حسِّها .

وفما ذكروا من حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذي يليق ،
وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأَجَحَرَ الكلبَ مُبَيَّضُ الصَّقِيعِ بِهِ

وَأَلْجَأَ الحَيَّ من تنفاحه الحَجَرُ^(٤)

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل لفسب وردا
وردا ، فقال :

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا

إلا عرادا عردا وصليانا بردا

وعنكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت
في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس :
« وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على
شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الجحر ، وحينما تكون الحجر ملجأً للحى
يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الخزانة ٢ :
١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الخطيئة :

إذا أبحر الكلب الصقيعُ اتَّقَيْنَه

بأنجاج لا خور ولا قفِرات^(١)

وقال ابن هرمة :

وسلى الجارَ والمعصَّب والأضـ ياف وهناً إذا تحبَّوا لدياً^(٢)
كيف يلقونني إذا نبَّح الكـ ب وراء الكُـ سور نبَّحاً خفياً
ومشَى الحالبُ الميسُّ إلى الثاـ ب فلم يقر أصفر الحى ربنا
لم تكنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل ورثتُ ذاكَ علياً
وقال الأعشى :

وتبرَّد تبرَّد رداء العرو

س في الصَّيفِ رَقَرَتْ فيه العبيرا^(٣)

وتسخن ليلةً لا يستطيعُ معُ نباحاً بها الكلب إلا هرباً
وقال الهذلي^(٤) :

وليلةٍ يصطلي بالفَرثِ جازِرها يخنسُ بالنَّقَرِ المُرَّينِ داعيها
لا ينبُحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشَّتاءِ ولا تسرى أفاعيها

(١) أبحره وجهره : أدخله في الجحر . وفي ط : « أبحر » وصوابه في س ، والبيت من قصيدة في ديوان الخطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » ، وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ .
المعصَّب : الذي يتعصب بالخرق جوعاً ، والرجل الفقير . وفي الأصل : « الجار المعصَّب »
وتصححه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفي الأصل : « تحبوا » بياء موحدة وهي
على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه في س و م .

(٤) انظر ماسياتي من تعليق في ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق^(١) :

إذا حمرَّ آفاقُ السماءِ وهتَكَتْ

كُسُورَ بُيُوتِ الحَيِّ نَكَبَاءُ حَرْجَفَ

وجاءَ قريعُ الشَّوْلِ قبلَ إفاها ^(٢) يَزِفُ وجاءتْ خَلْفَهُ وهى زُحْفُ

هتَكَتِ الأطنابُ كلُّ ذِفْرَةٍ لها تاملُكُ من عاتقِ النِّىِّ أعرفُ ^(٣)

وباشَرَ راعِيها الصَّلَى بلبانه وكَفَّ لحرِّ النارِ ما يتحرَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحَيِّ عن نارِ أهله ليرِيضَ فيها، والصَّلَا متَكَنِّفُ ^(٤)

وأصبحَ مَبِيضُ الصَّقِيعِ كأنَّه على سَرَواتِ النِّيبِ قُطُنٌ مُندَفُ ^(٥)

تمَّ الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى ^(٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يذقه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفى الأصل :

« ليريض منها والصلا متكشف » وليس بشئ ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الطلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .

(٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١	: « طابن ولا يعلم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخلداع الخب .
٨		: « شوك العضاه » .
١٣		: « قد ابتلى أيضا بأن أخته » .
٢٢	٨	: « وعباس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
١٤		: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقل رمادك » .
١٧		: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١٢ - ١١	: « ويجعلونها متخيرة غير مسخرة » .
٢٧	٤	: « لانتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرز (٢٥٦)] : « الأزهرى عن ثمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جُمَيْلٌ حُرٌّ » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد [والذئب والأسد » .
٧		: « ما يكون سلاحه سُلَاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالخبيل » .
	١٦	: « والبند » بدل « الينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزرر » بدل « ويزار » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت في الحواشي .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأبنة النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ - ٦	: « والحكمة بلوحيان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما
		كما يخبر الخزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق
		السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم في الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشافقة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاعتاظ والانتزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشئ » .
	١٢	: « مارأيت في أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علةً للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

- ص س
- ٣٨ ١ : « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصل » .
- ٥ - ٦ : « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب ما يورث .
- الطول من الكد » ، مع إسقاط ما في أثناء الكلام .
- ١٤ : « ونعم المجلس والقعدة » .
- ٣٩ ٢ - ٣ : « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهلك بواذره » .
- ١٣ : « أو روضة تنقلب » .
- ٤٠ ١ : « ويترجم كلام الأحياء » .
- ٦ : « حين العناية تامة لم تنقص ، والأذهان فارغة لم تقسم » .
- ٧ : « فهي أقبل ما تكون للطابع » ، وهو الوجه .
- ٨ - ٩ : « حين هذه الخصال لم يلبس جديدها ، ولم يقل غربها » .
- وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب ليس ،
- إذا كثرت لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
- ٤١ ١ : « بعد الذي أبصرت من يسه » .
- ٥ : « أدبت عرسي » .
- ٨ : « في طلبها ليلة » .
- ١٢ : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
- ٤٢ ٢ : « أحسن مواتاة » .
- ٨ : « والمذاهب القديمة » .
- ١٩ : « لازمة لطبايعهم » .
- ٤٣ ١ : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

- ص س
- ٣ : « معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
- ٤ - ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وجبال متقيدة » .
- والتكلمة التي في س٧ لم ترد في النسخة :
- ٤٤ ٤ : « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
- ١٠-١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
- ١٥ : « ومعرفاً لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .
- ١٦ : « الأشباح المثل » .
- ٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبط به » ، بالضاد المعجمة .
- ١٤ : « تكمل بمنسه الذي » .
- ١٧ : « والسكنة الثابتة التي لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
- ٤٦ ٤ : « والذائق [في ذلك] نصيباً » .
- ١٠ : « هذه الآلة لكان » .
- ٤٧ ٢ : « مجرى البيان ، [وألحق البيان] بالقرآن » .
- ١٠-١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .
- ٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .
- ٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
٩		: « لبطل الطَّرب كله » .
١٢		: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نهت في الحاشية .
٦		: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
٧		: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستريح الذى لا يستزيدك » .
١٢-١١		: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفريات » ، بدل « الفكاهات » .
٩ - ٨		: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
١٥		: « ذهب المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
٩		: « وانقطاع المادة من قبّله » ، وهو الوجه .
١٠		: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
١١		: « القينى » بدل « العتبى » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
١٠		: « به هذا الظن [كله] » .
١١		: « كذا [وكذا] » ، في الموضعين .

و

الوزَّغ : قتل المائة له ٣٠٤

٣ - ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

ا

إبليس : (علم حَيَّ) صديقه ١٩٠

أخزم : قولهم « شَنِشَنَة أعرِفها من أخزم » ٣٣٥

الأخفش : أبو الحسن

أرسطو : زعم له في التتاج المركَّب ١٨٣

ب

بلقيس : ما زعموا فيها ١٨٧

ت

أم تأبَّط شرًّا : قولها في ولدها ٢٨٦

ج

جُرْهُم : نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ١٨٧

جرير : هو والزعاعى ٢٥٨

الجمَّاز : هو وجارية آل جعفر ١٧٤

ح

الحجَّاج : ما ابتدعه من الشُّنن والحامل ٨٢ أهون من تَبَالَة

على الحجَّاج ٣٢٣ هو والمنجَّم حينما حضرته الوفاة

- أبو الحسن الأخفش : استغلق كتبه ٩١
أبو حنيفة : كتبه ٨٧ رأى في قفاه ٣٤٧

خ

- خرافة العذري : حقيقته ٣٠١
الخليل بن أحمد : غروره ١٥٠

د

- ديسيموس اليوناني : نوادره ٢٨٩
ديمقراط : قوله في تأليف كتب العلم ١٠١

ذ

- ذو القرنين : مازعموا فيه ١٨٧

ر

- الراعي : هو وجري ٢٥٨

س

- سلمويه : عصبته ٢٤٦
سنيار : قصته ٢٣
أبو سيارة : غيره ١٣٩

ص

- صحر العبدى : قوله في الإيجاز وتقدمه ٩٠

ع

- عبد الأعلى القاص : من طرائفه ١٠٧
عبد الله بن الحارث : هو وعبد الملك بن مروان ١٣٤

ص	س	
٤		: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
٦		: « إذا تذكرت منى » .
٧		: « الحزين في الأرض » .
٦٤	١	: « يخططن » .
٥		: هذا البيت الثاني ساقط من النسخة .
٦		: « وقال الحزين الكندي » .
١١		: « ما تنقضى عراقي » .
١٤		: « في نواح » ، و « لم تغلّل لهم » ، أى لم تتعلّل بعلّة .
١٥		: « تتلقط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
١٠		: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
٢		: عجزه في النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
٨		: لم يرد هذا البيت في النسخة في هذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالي بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١		: « حده لحسامه » .
١٣		: « في الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
٢		: « مخلولف السن » .
١١		: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهي رواية الديوان ٢٥٧ .

- ص م
- ١٥ : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٦-٤ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحرى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحرى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو الناقى » .
- ١٠ : « هو الناقى » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .
- ٦٩ ٣-٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [حق] الحلف والمُدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً له [من النسيان] .
- ٧٠ ٧-٦ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

- ص س
- ٨ : « أوبها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .
- ٤ - ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه المدح به . قال : وذهبت العجم » .
- ٦ : « مثل كردنذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد ومارد » .
- ٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٧٥ ٢-٣ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنشور مع سقوط « والكلام المنشور » بعده .
- ٤ : « المنشور الذي حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧٦ ٦-٧ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما .
٧٨	٤ - ٥	: « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ - ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدءاً من] التقصير » .
٧٩	١ - ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك » .
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ - ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « في سير البُحْثية » ، كما في ل .
	١٥	: « وضرباً من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شَدُّوا من معرفة ذلك شَدُّوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مثنوئتهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفني العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل » .
	١٦	: « ولو ألجئنا » .

ص	س	
٨٦	١ - ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .
٦		: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
١٢		: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان في كل حال إنساناً يدرسه » . صواب
		ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ،
		كما في اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧
		بتحقيقنا ففيه : « ويدرسهم مناقبهم » .
٧		: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
١٥		: « فظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغب ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
٦		: « وتوقف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله في النسخة عبارة
		لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم
		وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
١٢		: « إلى التواويس فالماخور » :
٩٥	٩	: « علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همة » .
١٣		: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتسب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

- ص س
- ٣ : « التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأميروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأميروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
- ٩٩ ٨ : « وصاحب المال بعرض فساد » .
- ١٦ : « تسكن النفس ويثلج الصدر »
- ١٧ : « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة .
- ١٠٠ ١٠ : « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
- ١٠١ ١ : « ما بعد كلمة « حظاً » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
- ٤ : « طريق تدبج له » .
- ١٢١ ٧ : « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .
- ١١ : كلمة « المرى » ليست في النسخة .
- ١٢٢ ١ : كلمة « المحنثين » ساقطة من النسخة .
- ٢ - ٣ : « كأنها تمررة فقال اليعقوبي » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .
- ٤ - ٥ : « إلا بالخصاء دون الإحصاء » .
- ١٣ : « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
- ١٢٣ ١ : « وقال يوما » .
- ٢ - ٣ : « لا يحمل إلا التمر » ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه لا يحمل إلا الخلال .

ص	س	
٦		: « والخصى » بدل « والخصيتين » .
١١		: « وقد زعم لنا ناس » .
١٢		: « إنما ولدوا له بعد أن نزلت بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .
١٨		: « محالسة الأعراب » بالخاء المهملة .
١٢٤	١	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :
		ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه
		« محرز » بالخاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .
٧		: « فقد يزعمون أنهم »
٨		: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصي » .
٩		: « بفرط قوته » .
١٢		: « و [من] رقة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢	: « وإن كان الخصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
٣		: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأرأى وأرمى بمعنى .
٧		: « وهى الكبرة » .
٩ - ١٠		: « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهرا »
١٢		: « هجرانى للملابسة النساء »
١٥		: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١	: « موت الخاطر »
٢		: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س	
٨		: « من الخطار »
٩		: « والدواعى لا تطوره » .
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروقي »
٥		: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
١٨		: « وقد كان عثمان بن مظعون » .
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
٤		: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
٥		: « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل » .
٦		: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
٧		: « فإذا برأ وهو محبوب القضيبي ذو بيضة واحدة » .
٩		: « موضع الخاص من بيوتهم » .
١٠		: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] وخصب العيش منعا » .
١١		: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم » .
١٢-١٣		: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان مخرجا مطردا » .
١٣٠	١	: « قتلة مريحة » ، كما فى ل
٤		: « مجامع [جلد] الخصية » .
٦		: « وتتحشف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
٩ - ١٠		: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل » .
١٥ - ١٦		: « [و] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته أجزؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

- ص ص
- ١ ١٣١ : «أما الخصاء فهو سل الخصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخصيان» . يقال خُصِيَ كما يقال خُصية .
- ٢-٣ : «حتى تسقط الخصيتان والخصيان . الواحد خصية . ويقال ملست الخصيتين أملسهما» .
- ٨ : «وقَدِيًّا غَدِيًّا» . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١-١٢ : «وأكثر السقاد يورث الضعف والهرزال» .
- ٧ ١٣٢ : «وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه» .
- ١٤ : «وإذا كنوا الكائن» .
- ٣ ١٣٥ : «عادات» بدل «عادة»
- ٥ : «الهرمى» موضع «الهرمين» .
- ١ ١٣٦ : «على طول الركوب» .
- ١٨-١٩ : «من أهل التجربة المميزين، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس»
- ٣ ١٣٧ : «ولم يجدوا مع طول العمر فيهم» .
- ٦-٧ : «قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمر والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة» .
- ٥ ١٣٨ : «إلا رديا قصير العنق» .
- ٧-٨ : «تتكلف المأكول والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب»
- ١١ : «وهزلا» بدل «وهزالا» .

- ص س
- ١٥ : « [وهي الصرصانية] «زيادة كلمة « هي » على ما في ل :
٧ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً » . ١٣٩
- ٩ - ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ،
وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حماراً أهلياً » . فلعلها « أهلياً أو وحشياً » .
- ١٤٠ ٤ - ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن قباد طلب حماراً أخذها
فطاولة ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من
ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هي الوجه في « الاغترام » .
- ١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست » .
- ٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .
- ٥ : « حجب إلى هذا »
- ٦ - ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون
من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط
كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيراً
ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصي » كما في ل
- ١٤٢ ٧ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيسر
مع شدة غلمته »
- ١٠ : « فضلاً على أن يكون بينهما نتائج »
- ١٤٣ ٢ : « بلند » موضع « بلنك » في كل موضع ، وهو تحريف .

ص	س	
٩		: « اشتر مزك »
١٠		: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
١٣		: « للناقة من الحوش فيسفلها »
١٦		: « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزرافة » . ومما لحظته
		أن « الزرافة » حينما وردت في النسخة ضبطت بضم
		الزاي ، وهي إحدى لغات فيها ، وفي اللسان :
		« وهي الزرافة والزرافة » ، والفتح والتخفيف
		أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هي بفتح الزاي
		وضمها مخففة الفاء »
١٤٤	٣	: « من شأن الورداني والراعي »
٥		: « بسماع الغرائب »
٥ - ٦		: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا
		والتوحي حظا سلمت الكتب »
١٤٥	٩	: « يحيى بن سليم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
١٤٦	١	: « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له
		حواشي ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤ .
٨		: « أراد هو التباعد به » بدل « بعينه »
١٤		: « [هو] آدم السناير وتلك السنورة [أن تكون] حواء
		السناير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] :
		أولم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
٩		: « عظما كان أم غيره » ، [و] مضمتا كان أم أجوف .
١١		: « في شدة شفرته وناره » .
١٤		: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الخمار » بدل « الخارين » .
٢		: « لبعض من [نسكره] ذكره » .
٤		: « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !
٩		: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لا والله لأعرفه » ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون .
١٥		: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
٤		: « في تركيبه و [في] إنساله » .
٧		: « لها عظيم » .
١٣		: « المجاش » موضع « المجانيق » ، كما في ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبخوا واشتوا و [ملَّوا ، و] ملَّخوا وادَّخروا » .
١٤-١٥		: « قليل الإناث » ، ولا يكْدن أيضا يجمعن البيض » .
١٥١	١٢-١٣	: « و [ذ] قالوا في الزُّرافة ما قالوا فلا تأمنهم » .
١٦		: « الذي دعا إلى القول في الزُّرافة تركيب اسمه » ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: «كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقري » .
	٢	: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والحجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
٥		: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذي يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٨ ، ٢	: « وبذل » بدل « ويزال » .
٥		: « الموقوفين على التبيذ »

٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لا يشرب

النبيذ قد مات » ، ويسقط كلمة « عامتهم » .

٩ : « فقد كانا من المعمرين »

١٠ : « وتميز الصدق فيه من الكذب »

١٦ : « إيثار المخفس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .

١ ١٥٩ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .

٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق »

تصحيح « الرائق » .

٩ : « والحبي الشريف » .

١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .

٢ ١٦٠ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »

٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع

مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، مُمرّ وتُفتل .

١٣ : « ومن جنس البط »

٤ ١٦١ : « فتؤدى ، وتصاب فى الهواشة فرد » .

٦ : « أن نعلمها بالحرق بالنار » .

٧ - ٨ : « من ألف بغير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع

عمره إلى شربة واحدة » .

١٥ - ١٦ : « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردا بوجه من

- ص ص
- ١٦٢ ٣ : « لَأَمْلِكُ الشَّيْءَ » ، كما في ل .
- ١١-١٢ : « فَإِنْ [كَانَ] ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الْعِلَاجِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمُتَكَلِّفُ يَعْرِفُ وَجْهَ الْعِلَاجِ ، فَالْمَذْهَبُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ .
وهو الصواب
- ١٦٣ ٣ : « وَلَيْسَ كُلُّ مُؤَذٍّ وَلَا كُلُّ أَذًى »
- ١٧ : « ثُمَّ زَادَهُ عَلَى قِيَمَتِهِ » .
- ١٦٤ ١-٢ : « الْمَعْرُوفِينَ بِابْتِغَاءِ مَتَاعِ اللَّصُوصِ » .
- ٢ : « مِنْ شَهْدِ السَّعَانِينَ » ، وهو تصحيح ماورد في ل :
« السَّعَانِينَ » . والسَّعَانِينَ : عيد من أعياد النصارى .
- ٣ : « وَأَصْحَابُ الْخَارِجَاتِ » كما في ط .
- ٧ : « وَخُلَطَاءُ مُتَرَاغِدُونَ » ، وهو الوجه .
- ٩ : « قَدْ قَبِلَ مِنَ الْمُقْوَسِ [الْخَصِي] كَمَا قَبِلَ مَارِيَّةٌ ، وَ [أَنَّهُ]
استخدمه » .
- ١٨ : « أَجْمَلَ مِنْهُ وَأَشْفَى وَأَخْدَمَ لَمْ يَزِدْهُ » .
- ١٦٥ ٣ : « لَا يَحِلُّ اطْرَادُهُ وَنَفْيُهُ » .
- ٦-٧ : « وَلَا يَزِيلُ عَنْهُ مُلْكُهُ إِلَّا مِثْلَ مَا وَجِبَ بِهِ لَهُ مُلْكُهُ » .
- ٩ : « تَدْبِيرًا أَوْ حِكْمَةً » .
- ١٦٦ ٦ : « مَطْرَدًا » مكان « مَطْرُودًا » .
- ٧-٨ : « فَالْفَاجِرُ لَا يَكُونُ الْمُبْغَى عَلَيْهِ » ، وهو الوجه .
- ٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « وَلَسْكَنَ ذَلِكَ الْمَاءُ
لَا يُخْرِجُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ شَدِيدٍ وَعِلَاجٍ طَوِيلٍ » .

- ص س
- ١٦٧ ١ : « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
- ٧ : « وتعظيم البعولة »
- ٩ : « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بكونها ، وأظهرت النفس ماعندها »
- ١٦٨ ٥ : « الصاحب السوء »
- ١١ : « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
- ١٢-١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .
- ١٥-١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة » .
- ١٦٩ ١ : « داعية إلى الميراثية » !!
- ٢-٤ : « سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
- لأتحقرن من الأشرار ذا صغر فالذنب ليس بأمون على الغم
ولا أعجز أعلی أهل فتنفسدها ولا خصيئاً على مال ولا حرّم
- ٩ : « فصادف قلبي فارغاً فتمكننا » .
- ١٧٠ ١-٢ : « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولاتي وسيدتي ، أثمرت ليلى » .
- ١٤ : « أشد لها إشغالا » .
- ١٥ : « ملهى في النساء » .
- ١٦ : « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

ص	س	
١٧١	١	: « غير متكشف »
٦ - ٧		: « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
١٧٢	٤	: « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التي بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
١٠ - ١١		: « فلما أبصر ذلك بزق وثقل وسقط في يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
١٣		: « ممن كان يخلفه »
١٤		: « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية في هذا السطر .
١٧٣	١	: سقطت التكملتان من النسخة .
٦		: « الماشى المعيب » .
٩		: « من الشنو والبغضة »
١٢		: « وتلقحه الجنائيات » ، وهو الأوفق .
١٤ - ١٥		: « إذا بدا لأحدهم في المزوع وفي ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
١٧٤	١	: « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
٢		: « أن يحج [البيت] » .
٩		: « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
١١		: « ولرضى منهم بالمسألة » .
١٧٥	١	: « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصي » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والا ، لا أقلع أو أخصى »
	١٠	: « بلغتنى ركب النساء » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدود » .
	١١	: « أرى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخلص ويعم بالقصود »
	١٣، ١١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	٣، ١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	٢، ١	: « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السمع » .
	٦، ٥	: « عن عرض بذى سبيب » ، وهو الوجه .
		والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضرّبون الناس عن عرض ، أى عن شق وناصية لا يبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .

ص	س	
٨		: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
١٥		: « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: « كأن شبا طرفه » .
١١		: « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
١٨٤	٦	سقط الكلام من أول السطر لإكلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .
٧		: « لا يَلْقَنَ ولا يَأْلَف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصبح . ويقال أيضا صأى يَصْئى . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تَصْئى به » .
١٥		: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
٥		: « منون قالوا سراة الجن » .
١٤		: « ولم تقل جى » .
١٥		: « أو ملك الأعجم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
٤		: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

ص	س	
١٢		: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غیری » .
٣		: « ینادی [رجلاً ویقول] : یاذا القرنین ، فقال : فرغم » .
١٠		: « علی جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « ترکب من الناس والنسناس » .
٦		: « والدوال » بإسقاط « بای » کما فی ط .
١٦		: « یَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مهنة ومُهِنَّة » .
٦		: « ذكرت [لك] كثيرا » .
٨		: « وزعم ابن میثم » .
١٩١	٢	: « حتی [إنه] ربما وثب علی صاحبه » .
٧		: « حاجب بن ذبیان » .
٨		: « إذا أسلم الحبل » .
١٠		: « حین فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال
١٩٢	٦	: « فیهزل أهل البيت » .
٧		: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .
٨		: التکملة الی فی آخر السطر لیست فی النسخة .
١٠		: « كثير الجنایة علی إلفه ، وإنما قبلوه حین قبلوه علی أن ینذرهم موضع السارق » .

ص	س	
	١١	: « وتركوا طرادہ » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه في الأرض [أبداً] يتشمم » .
	١٣	: « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق
		النصوص ونشرها من تأليف عبد السلام هارون ص ٤٥ .
		وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات :
		« وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فن هنا
		وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها
		وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزواج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا يَنَازِعِ إِلَى دِجَاجِهِ وطروقتِهِ »
١٩٦	١	: « ولو لم يُخْلَقِ » .
	٨-٧	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
	١٥ و ١٤	: « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن
		بيضه » .
١٩٧	١٠-٩	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت » .

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول السكيت » .
	٤	: « لدَى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بِكُفَى » .
	١٨	: « صغار ومن ديك تنوسُ غبا غبه » كما في ل .
٢٠٠	١	: « وقال شياخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل في حبالك » كما في ل .
	٥	: « سقطت كلمة » فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألستهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلتُ وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « في البدن ، وكما ينمى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
١٥١٤		: « ولا بد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدر من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

ص	س	
٦-٧		: « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفاً ، وآخر يطلب الملك » .
٢٠٣	٣	: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يَسْخُو ، وَسَخَا يَسْخُو ، لغات ثلاث .
٢٠٤	٤	: « والمكروه بالمحبوب » .
	٦	: « ومتى بطل التخيّر ذهب التمييز » .
	١٣	: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
	١٥	: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
٢٠٥	١	: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
	٤	: « ولأهل التمييز والروية » .
	٥	: « والسبع من لطم الدم » .
	١٠	: « والملمس اللين » .
٢٠٦	٣	: « منافعها هنيئة » .
	١١	: « بأحق من الثاني في الحق الذي جوزت فيه » .
	١٣	: « والأسباب المتقيدة » .
	١٥	: « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .
	١٦	: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
٢٠٧	١	: « أعز عليه من الحداة ، وأن الغزال أحب إليه » .
٣-٤		: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشياً » .
١٠ و ١١		: « وإن أتى بالغيث » .

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّل »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج »
	١٢	: « ومن الزيتون على زيتته والاصطباغ به » ، أى الالتئام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصطبغ به من الإدام ، وفي قوله تعالى « وصَبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود بشجرتيها و [على] ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التي بعدها
	١٤	: « وأخذنا في ذكر أمهاتها وأنسابها وأعرافها ، وتفسدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
	٥	: « وإهانة اللثام »
	٦	: « وذكر [طول] ذمائها » ، وهو الوجه .
	٦	: « وشدة مُنْهْبا ومعاهد الذمار » !
	٨ - ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » :

ص	ص
١٤	٢٢٤
١	٢٢٥
٦	٢٢٦
٧	
٨	
١٢-١٣	
٥	
٧	
١١	
١٢-١٣	
٣	
٦	
٩	
١٠	
١٧	
١	
٣	

١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها

وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها »

ضواها « أجزائها » بالراء المهملة

١ : « وسياستها ، والتي لاتلقن منها »

٦ : « فن يك عنه » .

٧ : « تظل الكلاب العاويات »

٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .

١٢-١٣ : « وقال الخريجي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب

بغداد » .

٥ : « ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] » .

٧ : « حلقى بلى كامن »

١١ : « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .

١٢-١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج المجنون ،

فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .

٣ : « وكصنان عرقها »

٦ : « وضرب بالكلب في ذلك مثلاً فقال » .

٩ : « إنها امرأة حسناء »

١٠ : « بذى لسانها »

١٧ : « وقال [في] مثل ذلك » :

١ : « بغير اليد »

٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

- ص ص
- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعقَى هو الفَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،
وقد أورد الخبر في اللسان (فقق) وقال : « الفَقَّة :
العقَى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخى وضع يده فى فَقَّة ، إني لأنزِع يدي من
جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشعر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدده تلقاء خيشومه » .
- ٢٢٨ ٢ : « وتستقبلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغض الغريض »
- ١١-١٢ : « لهُ أشد من الأسد ، ولهُ أجرى من الليث الغادى » .
- ٢٢٩ ١ : « وبأن أنفه فى أسلوب »
- ٧ : « نماء لجود أبٌ أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [مسلوخ] التمسود وبين المصلوب اليبس
كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « ملموح » . وفى
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسود هو المملح .
- ٢٣٠ ٣ : « فسَمَّكَ بالقحِر » .
- ٤ : « ويمزى فى لبان »
- ٧ : « ولو أنى أشاء قد أرفأنته نعماته ويفهم ما أقول » ، وهو
الوجه ، أرفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فَا نَعْلَمُ صَنِيعَ الْعِزِّ » .
	٩	: « وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ » فَقَط .
٢٣١	١	: « ابْنُ هَرْمَةَ » مَعَ إِسْقَاطِ « الْقَهْرَى » .
٢٣٢	٦	: « وَحَشِيهَا وَإِنْسِيَّهَا » .
	٧	: « حَيْضًا يَدِينَا » ، وَهُوَ الْوَجْه .
	١٠	: « لِأَنَّ الْإِبِلَ وَالشَّاءَ » ، وَهُوَ الْأَوَّلَى مِمَّا اقْتَرَحْتَهُ مِنْ
		تَصْحِيح .
	١٢	: « مَا قَدْ قَبَّ ظَاهِرُهُ » . وَقَبٌّ بِمَعْنَى يَبِس .
	١٤	: « الْاسْتِمْرَاءُ وَالْقَضْمُ » ، حَتَّى تَتَلَمَّسَ الدِّيدَانُ » .
	١٥	: « الْقَذَرُ » بَدَلَ « الْعَذَرَةِ » .
	١٦	: « قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ » مُطَابِقًا لِمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ل
		عَلَى الصَّوَابِ . وَانْظُرْ ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « وَالْعُنُقُ الْحُمْرُ » ، وَالْأَعْنُقُ وَالْعُنُقُ كِلَاهُمَا جَمْعٌ لِلْعُنَاقِ ،
		وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْمَعَزِ ، وَمِثْلُهُمَا « الْعُنُوقُ » .
١٣-١٤		: « طَبْعُهَا وَشَهْوَتُهَا » ، مَعَ إِسْقَاطِ « قُوَّتِهَا » ، وَالْمَعْنَى شَهْوَةُ
		الدَّجَاجِ نَحْبِثُ الْأَطْعِمَاتِ .
	١٧	: « سِبَاطَةٌ » بَدَلَ « سِبْطٌ » .
٢٣٤	١	: « الْقَرِيسُ النَّشُوطُ وَالشَّبُوطُ » .
	٨	: « لِأَذْنَابِهَا [مَحْسِيًا] » كَمَا فِي ل .
	١٠	: « قَالَ أَبُو كَلْدَةَ : أَدَمُ الْعِمْيَانِ » بِإِسْقَاطِ صَدْرِ الْكَلَامِ
		وَكَلِمَةُ « هُوَ » .

ص	س	
١٣		: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .
٣		: « يلتقم العذرة ، وزهما لا استطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
٥		: « لا يطيب مالها ولا ممقوراً » .
١١		: « وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رؤس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشهوتها للعذرة .
١٤		: « رزق الأنوقين قرنبا وجعل » .
		وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	س	ص
من البيان	من البنيان	١٠	٤٥
لا يعتقه	لا يعتقه	٦	١٦٥
من حمى ركبه	من حمى كبته	٢	١٧٣
ولا ذات	ولا ذات	١	٢٣٤
أكلباً	أكلباً	١٣	٢٥٤
تَراح	تَراح	٣	٢٧٧
للنبي	النبي	٢	٣٣٥
ولا كرمأ	ولا كرمأ	٩	٣٦٠
مُضر	مُضر	١	٣٦١

استدراك وتذييل

ص س

٧٤ ١١

في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، و زرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أواره الثاني ، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أواره) .

١٤٩ ١١

(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت في صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إخصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .

كتبه

عبد الستار محمد خير

أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء

١٧٧ ذكر ما جاء في خصاء الدواب

٢٢٠ باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايبها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس
